عصام العطار

كلمات

(الجزء الأول)

الطبعة الشبكية الثانية

محرم / ١٤٣١هجري

كانون الثاني / يناير ٢٠١٠ ميلادي

نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

جميع الحقوق محفوظة للدار الإسلامية للإعلام

Copyright © 2009, I.I.D e.V.
All Rights Reserved

© Islamischer Info. Dienst Verlag

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

2. Auflage, 01.2010

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـات

الجزء الأول

عصام العطار

الطبعة الأولى:

صفر 1420هـ

حزيران / يونيو 1999م

الطبعة الشبكية الثانية :

محرم 1431هـ

كانون الثاني 2010م

نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

© Islamischer Info. Dienst Verlag

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

2. Auflage, 01.2010

الإهداء

- إِلى أبي وأمّي وزوجتي الشهيدة بنان، وسائر أفرادِ أسرتي الذين حملوا معي ما لا يُحتملُ من المخاطرِ والمتاعبِ والفواجعِ والآلام
- إِلى إِخوة الدَّربِ العَتيدِ والهدفِ العتيد.. إِخوة السرّاءِ والضرّاءِ والصدقِ والوفاء
- إِلى كلِّ إِنسانٍ يَنْشُدُ الحقَّ والهدايةَ والحريّةَ والكرامةَ والعدالةَ لكلِّ إِنسان
- وإِلى الطلائعِ الإِسلاميّة في كلّ مكان

أُهدي هذه «الكلمات» البسيطةَ من أصداءِ الفكرِ والقلبِ والجهادِ المشتركِ وتجاربِ الأيام، وحياةِ أمَّتِنا وبلادِنا وعالمِنا.. في مرحلةٍ عصيبةٍ من مراحلِ التاريخ

عصام

تمهيد

هذه هي «كلمات» الأستاذ عصام العطار التي نشرتْها «الرائد» على امتداد زُهاءِ عشرين سنة (من ربيع الأول 1397هـ، وآذار/مارس 1977م، إلى شعبان 1419هـ وكانون الأول/ديسمبر 1998م) تَظْهَرُ الآن – استجابةً لطلبات قرائنا– في مجلّدٍ واحد. وكانت هذه الكلمات تُكْتَب وتُنْشَر مجموعةً بعدَ مجموعةٍ الحينَ بعد الحين، وبخاصّة عندما كان يتكاثر على كاتبها العمل، أو تعوّقه الظروف، أو يضيق به الوقت، فَيُعَبِّر عن فكرةٍ أو رأيٍ أو تجربةٍ أو واقعٍ قائم أو موقفٍ من المواقفِ بسطرٍ أو سطورٍ سريعة موجزةٍ محكمة، كان يُمكن أن يكون بعضُها مقالةً وافيةً لو ساعد الوقت والظرف والجهد. ولم يكن يُراعَى في الكتابة والتنسيق والنّشر وحدةُ الموضوع بين الكلمات، فربّما اتّفقَ بعضُها في الموضوع، وربّما تنوّعتْ موضوعاتُها في المجموعة الواحدة بتَنَوُّعِ الخواطرِ والبواعثِ والظّروف، فالوحدةُ الأساسيّةُ هي الكلمةُ المفردة، وهي مستقلّةٌ بنفسها، وإن تكاملتْ مع سواها أو تناسقتْ في بعض الأحيان، وهذا ما جعلنا ننشرُها مُتَعاقِبةً لا نفصلُ فيها بين مجموعةٍ ومجموعة، وإن فاتنا –مع الأسف– أن نذكرَ تواريخَ هذه المجموعات، فقد كان ذلك أعونَ للقارئ على رَبْطِ بعضِ الكلماتِ بمناسباتها، ومتابعةِ تسلسلِ بعض الأحداثِ من خلالها.

وكلمات الأستاذ عصام العطّار في هذا الكتاب صدىً لفكرِهِ وشعورِهِ وتجربتهِ العميقة الغنيّةِ في مختلف المجالات، فهي تُلقي الضّوءَ على حياته، وبعضِ ما أحاط به من ظروف، ومَرّ به وبالعمل الإسلاميّ من أحداث، كما أنّ حياتَه تشرحُ بعضَ هذه الكلمات، وتساعدُ على فهمها، وإدراكِ أبعادها، واستخلاصِ مغزاها، وحسنِ الاستفادة منها

وإنّنا لننصحُ الشّبابَ بأن يقفوا عند كلِّ كلمةٍ من هذه الكلماتِ الموجزةِ المركّزة، وأن يتأمّلوا فيها ويتدبّروها، ولا يمرّوا بها مروراً سطحيّاً سريعاً لا يَسْتَخْرِجُ منها كلَّ ما يمكن استخراجُه من محتواها الغزيرِ العميق، ففي هذه «الكلمات» فكرٌ وعاطفة ورأي ونقد للواقع الراهن، وتطلّعٌ إلى المستقبل، وومضاتٌ إسلاميّة وإنسانيّة أصيلة: نفسيّة واجتماعيّة وسياسيّة وتربويّة وأخلاقيّة

وفي هذه «الكلمات» معالمُ أساسيّةٌ في جوانبَ متعدّدة من العملِ الإسلاميّ، ونظراتٌ في الواقع والواجب، والصواب والخطأ، والحاضر والمستقبل

وفي هذه «الكلمات» تجسيدٌ حيٌّ لمعاناةِ الإنسانِ المسلمِ الصّادقِ الحرِّ في بلاده وعالمه وعصره، وعنفوانِ الإنسانِ المسلمِ وشموخِه وصلابتِه في مواجهةِ الطّاغوت، ورفضِ الإنسانِ المسلمِ للاستسلام مهما كانت

الظّروف، وتصميم الإِنسانِ المسلمِ تصميماً نهائيّاً قاطعاً على متابعة طريقه، وأداءِ رسالته، ولو كان في ذلك التشرّدُ والعذابُ والموت

وقد اجتهدنا فوضعنا في صفحات الكتاب الأولى بعض أبيات للأخ عصام وجدناها تُعَبّر عن شخصيّته وموقفه الفكريّ والنفسيّ والعمليّ، وتناسبُ موضعها هناك، كما وضعنا كلمةً من كلماته الكثيرة القديمة، لأنّها ممّا يدلُّ على مَساره ونهجه على امتداد حياته، ويساعد بالتالي على فهمٍ أفضل لبعض الكلمات

نسأل اللّهَ عزَّ وجلَّ أن ينفعَ بهذا الكتابِ كما نفعَ بما تَقَدّمه، وأن يُيَسِّرَ لنا من الظّروف والأسباب، ويَبْسُطَ لنا من الرّعاية والعون، ما يمكّنُنا من إخراج كتب و«كلمات» أخرى، في أقرب وقت

والله أكبرُ والعاقبةُ للمتّقين

الدار الإِسلاميّة للإعلام – بون

■ عندما يَزْدادُ انطباقُ الظّلامِ على شُعْلَةِ الحقِّ التي نحملُها يَزْدادُ شعورُنا بالحاجةِ إلى النّور، وبضرورةِ الاستمرارِ في رفعِ هذه الشّعْلَةِ إلى أن تُسْدِلَ أيدينا قَبْضَةُ الموت

■ نحن لا ننظُر إلى الحاضرِ وحدَه، ولكنّنا ننظرُ مَعَهُ إلى المستقبل
ولا نخاطبُ هذا الجيلَ وحدَه، ولكنّنا نخاطبُ مَعَهُ الأجيالَ المقبلة، والإنسانَ من حيث هو إنسان

■ إنّنا لا نكتبُ بالْمِداد، ولكنْ بِدَمِ القلب.. فمعذرةً إذا ظهرَ في سطورنا أثرُ الجراح

■ إنّنا نضعُ في كلماتِنا حياتَنا.. فأوصلوا هذه الكلمات إلى حيث لا يمكنُ أن نصلَ بها نحن، وتجاوزوا بها الحدودَ المغلقةَ في وجهِ الحقِّ والمستقبلِ الإسلاميّ والإنسانيّ المنشود

وما أُبالي إذا التاريخُ أنْصفَني ... أَوْ جارَ في حُكْمِهِ أَوْ ضَلَّ أَوْ كذَبَا
وما أُبالي لِسانَ الدَّهْرِ توَّجَني ... بالحمْدِ أمْ أَعْمَلَ الأنْيابَ والقُضُبَا
الظالمونَ على شَتّى مَذاهِبِهِمْ ... مَالُوا عَلَيَّ، وما بالَيْتُهُمْ، عُصَبَا
اللّهُ قَصْدي وهذا الكَوْنُ أَجْمَعُهُ ... لم يَسْتَثِرْ رَغَباً في النفسِ أوْ رَهَبا
حَسْبي طَهارةُ قَلْبي في مَقاصِدِهِ ... والنّهْجُ ما رَضِيَ الرحمنُ أوْ طَلَبا
إنْ نِلْتُ مَرْضاتَهُ فالشَّمْسُ دُونَ يَدِي ... فكَيْفَ أَقْبَلُ في آمالِيَ الشُّهُبَا

نَمْشي إلى الغَايَةِ الكُبْرى على ثِقَةٍ ... عَزْمٌ حَدِيدٌ ونَهْجٌ غَيْرُ مُنْبَهِمِ
وأَنْفُسٌ قدْ شَرَاهَا اللّهُ صادِقَةٌ ... أَقْوَى مِنَ الْمَوْتِ والتَّشْرِيدِ والأَلَمِ
ما طَأْطَأَتْ قَطُّ للطَّاغُوتِ صاغِرَةً ... خَوْفاً وعَجْزاً وما أَلْقَتْ يَدَ السَّلَمِ[1]

---
(1) السَّلَم: الاستسلام، والتسليم، والأسر من غير حرب. وألقت يد السلم: استسلمت وانقادت.

ما قَيَّـــدَ الفِكْـــرَ مِنَّا جَـــوْرُ طَاغِيَـــةٍ أَوْ أَوْهَـــنَ العَزْمَ بَطْشُ الْمُسْـــتَبدِّينَا
غَرامُنَـــا الْحَـــقُّ لَمْ نَقْبَـــلْ بِـــهِ بَـــدَلاً إِنْ غَيَّـــرَتْ غِيَـــرُ الدُّنْيَـــا الْمُحِبِّينَـــا
فِي الخَوْفِ والأَمْنِ مَا زَاغَتْ مَواقِفُنَـــا وَالعُسْـــرِ واليُسْـــرِ قَدْ كُنَّـــا مَيَامِينَـــا
فَمـــا رَآنَـــا الهُـــدَى إلاّ كَوَاكِبَـــهُ ومـــا رَآنَـــا النَّـــدَى إلاَّ عَنَاوِينَـــا
ومـــا رَآنَـــا العِـــدَى إلاّ جَبَـــابِـــرَةً ومـــا رَآنَـــا الفِـــدَا إلاَّ قَرَابِينَـــا
نُفوسُـــنَا السَّلْسَلُ الصَّافِي فَإِنْ غَضِبَتْ لِلْحَـــقِّ ثارَتْ على البَاغِـــي بَرَاكِينَـــا
عِشْـــنَا أَبِيِّيـــنَ أَحْرَاراً فَإِنْ هَلَكَـــتْ فِي الحَـــقِّ أَنْفُسُـــنَا مِتْنَـــا أَبِيِّينَـــا

يا شـــامُ قَدْ عَظُمَـــتْ قَـــدْراً مَطالِبُنـــا يا شـــامُ قَدْ بَعُـــدَتْ شَـــأْواً مَرامِينَـــا
نَمْضِـــي مَـــعَ اللهِ لا نَدْري أَتُدْنِينَـــا أَقْدارُنَـــا مِنْـــكِ أَمْ تَأْبَـــى فَتُقْصِينَـــا
نَمْضِـــي مَعَ اللهِ لا تَدْري جَوَارِينَـــا[2] مَتى وَأَيْنَ تُرَى نُلْقِـــي مَرَاسِـــينَـــا
نَمْضِـــي مَعَ اللهِ قُدْمـــاً لا تُعَوِّقُنَـــا عَنِ المُضِيِّ -وَإِنْ جَلَّـــتْ- مَآسِـــينَا
نَمْضِـــي مَعَ اللهِ والإِســـلامُ يَهْدِينَـــا اللّـــهُ يُمْسِـــكُنَـــا وَاللّـــهُ يُزْجِينَـــا
نَمْضِـــي مَعَ اللهِ والجُلّـــى[3] تُنَادِينَـــا رَاضِينَ رَاضِينَ ما يَخْتَـــارُ رَاضِينَـــا

■ أمّا الوزاراتُ والمناصب، فالحاكمون يعلمونَ كما يعلمُ الشعب أنّني لا أُفكِّرُ فيها ولا أَقبلُ بها، وأنّني قد رفضتُ الاشتراكَ في هذه الحكومة عند تأليفها أوّل مرّة، كما رفضتُ الاشتراكَ في الحكومة الدُّستوريّة التي سبقتها، وأنّ مكاني الذي اخترتُه لنفسي هو أنْ أخدمَ دعوتي وأُمّتي على الصعيد الفكريّ والشعبيّ

من حديث صحفي للأخ عصام العطار في دمشق يوم الجمعة 17 ربيع الأول 1382هـ الموافق 17 آب / أغسطس 1962م

---

(2) جَوارِينا: سُفُنُنا

(3) الجُلَّى: الأمر العظيم، والخَطْب العظيم

■ لقد جاهدتُ، وأُجاهد، وسَوْف أُجاهد، لرفعِ العُبوديّةِ والظّلْمِ والخوفِ عن كلِّ فردٍ من أفرادِ شعبنا دونَ تمييز، وتحقيقِ الحريّةِ والعدالةِ والأمنِ لكلِّ فردٍ من أفرادِ شعبنا دونَ تمييز، وفتحِ أبوابِ المستقبلِ الكريمِ العظيمِ لأجيالِنا الحاضرةِ والمقبلةِ جميعاً –إن شاء الله–

عصام العطار في دمشق سنة 1963م

■ إنّ حُرّيّةَ كلِّ مواطنٍ في سورية هِيَ حُرِّيّتي، وكَرامتَهُ هِيَ كَرامَتي، وسَلامته هِيَ سَلامَتي.. وإنِ اخْتَلَفَ مَعي في الرّأْي، أو وقف مِنّي مَوْقِفَ الخصْم.. وسأُدافع عن كلِّ مواطنٍ مُسْتَضْعَفٍ مظلوم، وعن حُقوقه الأساسيّة المشروعة، في مُواجَهَةِ كلِّ حُكْمٍ غاشم، وكلِّ طاغوتٍ ظالم، وكلِّ عُدْوانٍ آثمٍ مهما كان مصدره.. ولو كلّفَني ذلك الحياة

عصام العطار في دمشق سنة 1963م

■ إنّني أَتوَجّه إلى الشعبِ كلِّه، لِتحريرِ الشعبِ كلّه، وإطلاقِ إرادتِه المقَيَّدَة، وطاقاتِه الْمُهْدَرَة، وتحقيقِ ذاتِه وإمكاناتِه، وأهدافِه وآمالِه الكُبرى، على كلِّ صعيد

عصام العطار في دمشق سنة 1961م

ويُشْـرِقُ الحـقُّ في قَلْبي فَلا ظُلَـمٌ ... ويَصْدُقُ العَـزْمُ، لا وَهْنٌ ولا سَـأَمُ
دَرْبٌ سَــلَكْناهُ والرّحْمـنُ غايَتُنـا ... مَا مَسَّـنا قَـطُّ في لأْوائِـهِ نَـدَمُ(4)
نَمْضِي ونَمْضِي وإنْ طالَ الطريقُ بنا ... وسَـالَ دَمْـعٌ على أطْرافِـهِ ودَمُ
يَحْلُـو العَـذَابُ وعَيْـنُ اللهِ تَلْحَظُنـا ... ويَعْذُبُ المـوتُ والتشـريدُ والأَلَـمُ

أَمضِي مَعَ الحَقِّ والصَّحْراءُ مُحْرِقَةٌ ... لا ظِلَّ فيها ولا مَأْوَى لإِنسانِ
أَمْضِي مَعَ الحَقِّ والأَمْواجُ هَادِرَةٌ ... وَقَدْ تَقاصَرَ خَوْفاً كُلُّ رُبَّانِ(5)
أَمْضِي مَعَ الحَقِّ والأَجْواءُ عاصِفَةٌ ... والأُفْقُ يُشْعِلُ نِيرَاناً بِنيرانِ

---

(4) اللأْواء: الشدّة والمحنة والمرض وضيق العيش

(5) تقاصَرَ عن الأمر: كَفَّ وعجز. وتقاصرتْ نفسُ فلان: تضاءلت.

أَمْضِي مَعَ الحَقِّ والظَّلْماءُ حَالِكَةٌ ... وَبارِقُ الْفَجْرِ لَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنانِ
أَمْضِي مَعَ الحَقِّ والأَخْطارُ مُحْدِقَةٌ ... والْمَوتُ يَرْنُو بِأَشْكَالٍ وأَلْوانِ
أَمْضِي مَعَ الحَقِّ والأَهْواءُ حَاكِمَةٌ ... فلا تَرَى غَيْرَ أَهْواءٍ وعُبْدَانِ
أَمْضِي مَعَ الحَقِّ والأَسْقامُ ضَارِيَةٌ ... والْجِسْمُ شِلْوٌ مُدَمّىً بين عِقْبَانِ
أَمْضِي مَعَ الحَقِّ ما دارَ الْجَدِيدَانِ ... وَلا سِلاحَ سِوَى عَزْمي وإِيماني(6)
أَمْضِي وَلَوْ سَدَّ دَرْبِي كُلُّ طُغْيَانِ ... وَلَوْ تَنَكَّرَ لِي أَهْلِي وَإِخْوَاني
اللّهُ حَسْبي.. لَهُ قَلْبِي وَوِجْدَانِي ... وَوَحدَهُ القَصْدُ في سِرّي وَإِعْلانِي

تَفْنَى الْحَياةُ ويَبْقَى مِنْ كَرامَتِنا ... مَا لَيْسَ يُفْنيهِ أَسْقامٌ وَأَعْمارُ
كُنّا مَعَ الْفَجْرِ أَحْراراً، وقَدْ غَرَبَتْ ... شَمْسُ الشَّبابِ، ونَحْنُ الْيَومَ أَحْرارُ

قَلْبِي هُوَ الْمُزْنُ لا حِقْدٌ يُلَوِّثُهُ ... وهوَ الرَّبيعُ بِأَزْهارٍ وَأَنْداءِ(7)
بَذَلْتُهُ لِلْوَرَى طُرّاً فَمَنْهَلُهُ ... عَذْبٌ سَخِيٌّ لأَحْبَابِي وَأَعْدائي
وَعِشْتُ لِلْحُبِّ أُغليهِ وأُكْرِمُهُ ... فَوْقَ الصَّغَائِرِ مِنْ حِقْدٍ وأَهْواءِ

كَمْ ذا جَزَيْتُ عَلَى الكُفْرانِ عِرْفَانَا ... وكَمْ جَزَيْتُ على مَا سَاءَ إِحْسَانَا
وَكَمْ أَسَوْتُ جِراحَاتِ الأُولَى ثَمِلُوا ... مِنْ نَزْفِ جُرْحِيَ أَقْدَاحاً ونُدْمَانَا
للهِ قَلْبِي نَمِيرٌ كُلُّهُ وسَنَىً ... أَحَالَهُ الْحُبُّ والإِيمانُ غُفْرَانَا
سَـــمَا بِيَ الْحُبُّ فِي عَلْيَاءِ جَنَّتِهِ ... فَكِدْتُ أُخْطِئُ وَجْهَ الأَرضِ أَحْيَانَا

الْحُبُّ نَبْعٌ إِذا ما غَاضَ كَوْثَرُهُ ... فَلا حَياةٌ وَلا خَيْرٌ وَلا أَمَلُ
وَلا حَنانٌ وَلا عَفْوٌ وَلا كَرَمٌ ... وَلا سُمُوٌّ إِلى الْجُلَّى وَلا عَمَلُ
وَلا جَمَالٌ ولا فَنٌ ولا أَدَبٌ ... وَلا تَوهُّجُ رُوحٍ وَهْوَ يَبْتَهِلُ

---

(6) الجَدِيدَانِ: الليل والنَّهار.
(7) المُزْنُ: السّحابُ يحملُ الماء.

ولا سَعادَةُ نَفْسٍ في سَمَاحَتِهَا والأَرْضُ مِنْ حَوْلِهَا بالحِقْدِ تَشْتَعِلُ
قَلْبي هَوَى الْحُبِّ، لا يَجْفُو خَمَائلَهُ هَيْهَاتَ عَنْهُ هَزَارُ الْحُبِّ يَرْتَحِلُ
يُغَرِّدُ الْحُبُّ في قَلْبي فَيُطْرِبُني مِنْ مُهْجَتي شَجْوُهُ وَالشَّدْوُ والنَّهَلُ
حُبٌّ تَجَاوَزَ أَحْبَابي فَوَارِفُهُ ظِلُّ الْعَدُوِّ إذا طَاحَتْ بِهِ السُّبُلُ(8)
أَقِيهِ بالْجَفْنِ مِنْ حَرٍّ ومِنْ خَطَرٍ وَفي ضُلُوعِيَ مِنْ أَحْقَادِهِ أَسَلُ(9)

---

(8) وَرَفَ النَّبْتُ والشّجر: تنعَّم واهتزّ، ورأيتَ لخضرته بهجة من رِيِّه ونعمته. ووَرَفَ الظِلّ: اتّسع وطال وامتدّ فهو وارف. طاحت به السُّبلُ: تاه وسقط وأشرف على الهلاك.

(9) الأســـل هنا: النَبْلُ والرِّماح وكلّ ما رُقِّق وحُدَّ من الحديد، من سيف أو سكين أو سِنان.

كلمات

من ربيع الأول 1397 إلى شعبان 1419

الموافق ل آذار 1977 إلى كانون الأول / ديسمبر 1998م

لا يجتمعُ نورُ الإيمانِ وظلامُ الحقدِ في قلبٍ واحد

❧❧❧❧❧

ويلٌ لمن لا يطلبُ من الدّينِ إلاّ الوجاهةَ والكَسْب

❧❧❧❧❧

شرُّ الشّياطينِ مَنْ يَظهرُ لك وهو شيطانٌ في ثوبِ مَلاك

❧❧❧❧❧

كيفَ تكونُ عبداً مخلصاً للهِ إذا خِفْتَ النّاسَ ورَجَوْتَ النّاسَ وقَبِلْتَ أن تكونَ في خدمةِ أعداءِ اللهِ عزَّ وجلّ

❧❧❧❧❧

من قَوَّم نفسَه بمنزلتِه من السُّلْطان، كان عبداً تافهاً لا شخصيّةَ له
ومن قَوَّم نفسَه بمنزلتهِ من اللهِ عزَّ وجلَّ، كان حُرّاً كريماً في مختلفِ الظّروف

❧❧❧❧❧

كَمْ في بلادِنا اليومَ من عبيدِ العقولِ والقلوبِ والضّمائرِ الذين يلوكونَ ألفاظَ الحريّةِ ويَختالون برِداء الأحرار

❧❧❧❧❧

كيفَ تقبلُ يا أخي المسلم! أن تُغْمِدَ خَنْجَرَكَ في قَلبي بقُوّةِ الحكمِ الجاهليّ الذي تخدمُه، لأَنّني أبَيْتُ أن أجعلَ فيه إلهاً آخرَ مع اللهِ؟!

❧❧❧❧❧

دَرَكاتُكَ في جهنّمَ على حَسَبِ دَرَجاتِكَ عندَ الطّاغوت، فلا تَتِيهَنَّ علينا بمكانِك من الجحيم

ما أبعدَ الفَرْقَ بينَ خِدْمةِ الإِسلامِ واستخدامِ الإِسلامِ، وما أكثرَ الذينَ يستخدمونَه أو يحاولون استخدامَه وتسخيرَه لآلهةٍ أخرى

لن تزالَ الدّنيا بخيرٍ ما دمتَ تستطيعُ أن تقولَ للباطلِ: لا، ولو قالتْ له الدّنيا كلُّها: نعم، وأن تقولَ للحقِّ: نعم، ولو قالت له الدّنيا كلُّها: لا، وأن تدفعَ ثمنَ هذا أو ذاكَ الحياة

قلتُ لأخي لي:

- إِن لمْ تستطعْ أنْ تكونَ سيفَ الحقِّ فلا تكنْ سيفَ الباطل، وإِن لمْ تَكُنْ في جُندِ اللهِ فلا تكنْ في جندِ الطّاغوت
- فقال لي أخي:
  وهل أكونُ في غيرِ جندِ الطّاغوتِ إِن لم أكنْ في جندِ اللهِ عزَّ وجلّ

من أراد صُحْبَتي فلْيُحَرِّكْ في نفسِهِ جناحَيِ النَّسر.. فإِنّني لا أطيقُ السَّيْرَ البطيء، ولا الزّحْفَ على الوحول

لا يتساءلُ المسلمُ الصّادق أبداً:

- هل أعملُ للإِسلامِ أو لا أعمل؟
  ولكنّه يستاءلُ باستمرار:
- كيفَ أعملُ على أفضلِ وجهٍ ممكن؟ وكيفَ أرفعُ عملي إِلى مُستوى الإِسلامِ وحاجةِ الإِسلامِ والمسلمين؟

إِذا استولتِ الدّنيا على قلوبِ الشّبابِ المسلمين، وجعلتْهم في خدمةِ الواقعِ الفاسد والطّاغوت، فَمَنْ يحملُ رسالةَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويَشُقُّ لها طريقَها الأصيلَ الْمُتَميِّز، ويجاهدُ لإقامةِ الحياةِ الإِسلاميّةِ والحكمِ الإِسلاميّ؟..

لقد غدتِ الأهدافُ الإِسلاميّةُ –وا أسفاه- مُجَرَّدَ شعاراتٍ لا يربِطُها بواقعِ أكثرِ من يُرَدّونَها ويرفعونَها أدنى رِباط

ليستِ الرّجولةُ أن تُفكِّر بالأشياءِ الجليلةِ، أو تحلُمَ بها وأنت بعيدٌ عن الناسِ لا يراكَ أحدٌ، ولا يسمعُكَ أحدٌ، ولا يعلمُ بما يدور في نفسِك أحد، أو أن تهمِسَ بها هَمْساً لبعضِ خُلَصائك المقرَّبينَ، أو أصحابِك المأمونين.. حتّى إِذا رجعتَ إِلى مجتمعِكَ الواسعِ، لاقيتَه بالرأيِ الذي يُحِبُّ، والقولِ الذي يحبُّ، والثّيابِ التي يحبُّ، أو بما تظنُّه يَدْفَعُ عنكَ أذىً محتمَلاً، أو يحقّقُ لك مصلحةً قريبةً عاجلة، ولو على حساب الحقّ.. ولكنّ الرّجولةَ أن تعيشَ معتقداتِك وأفكارَك السّاميةَ في نفسِكَ وسلوكِك، وأن تمارسَها وتلتزمَ بها في مجتمعكَ وعالمِكَ وحياتِكَ كلّها.. مهما فوَّتَ عليكَ ذلك من مَغْنَم، أو جرَّ عليكَ من بلاء، وأن تستمرَّ على ذلك إِلى نهايةِ الشَّوط، دونَ أيِّ تردّدٍ أو تفكيرٍ بالتّوقُّفِ والنُّكوص

ما الفرقُ بينَ إِلحادٍ غَربيٍّ وإِلحادٍ شَرقيّ؟! وفسادٍ أمريكيٍّ وفسادٍ روسيّ؟! وبأيِّ مِقْياسٍ من مقاييسِ الإِسلامِ نَقْبَلُ الأوّلَ ونرفُض الثّاني؟!. إِلاّ أن يكونَ الإِسلامُ عندنا مجرّدَ أداةٍ وستارٍ لمقاصِدَ أخرى لا علاقة لها بالإِسلام

لا تكونوا –أيّها المسلمون- سيفَ الرّأسماليّةِ على الشّيوعيّة، ولا سيفَ الشّيوعيّةِ على الرأسماليّة، كما يريدُ أن يجعلَ منكم المخادِعون، والسّماسِرةُ المضلِّلون، ولكن كونوا سيفَ الإِسلامِ ينتصرُ به الحقُّ والعدل، وينهزمُ به الباطلُ والظّلم، شيوعيّاً كانَ أو رأسماليّاً، وشرقيّاً كان أو غربيّا

نحن لا نرفضُ الشُّيوعيّةَ لأنّها مُسْتَوْرَدَة، ولكنْ لأنّها باطلٌ يأباه الإِسلامُ، ونحنُ نرفضُ كلَّ باطلٍ من داخلِ الحدودِ أو خارجِ الحدود، ونقبلُ كلَّ حقٍّ ونافعٍ من حيثما جاء

❊❊❊❊❊

كيفَ تكونُ المبادئُ عندَ بعضِ حكّامِنا وعلمائنا مستوردةً إِذا جاءتْ من موسكو، ولا تكونُ كذلك إِذا جاءت من باريس ولندن وواشنطن؟!

❊❊❊❊❊

إنّ أعداءَ الإِسلامِ يحاربونَنا من داخلِ صفوفِنا ومن خارجِها على السّواء.. ولم تَخْلُ الصّفوفُ الإِسلاميّةُ من ضِعافِ نفوسٍ يبيعونَ دعوتَهم وأمّتَهم -خوفاً أو طمعاً- للطّاغوت

❊❊❊❊❊

إِذا نظرتَ في عملِك إِلى اللهِ، أَمْكَنَكَ أن تستمرَّ في جهادِك في مختلف الظّروف، وإِذا نظرتَ إِلى النّاسِ، فلا بُدَّ أن تتوقّفَ أو تنحرف

❊❊❊❊❊

إِنّني أُحِسُّ بالطَّعْنةِ الغادِرَةِ بَعْدَ الطّعنةِ الغادرةِ بين كَتِفَيّ، ولكنّني سأمضي ولا ألتفتُ إِلى الوراء، وإِذا كُتِبَ عليَّ الهلاكُ يوماً، فسأسقطُ وعينايَ على الهدف، وقدمايَ على الطّريق

❊❊❊❊❊

لو طُلِبَ إِلَيَّ أن أكونَ حاكماً للعالمِ الإِسلاميّ كلّه على أُسُسِهِ الرّاهِنَةِ لأبيْتُ كلَّ الإِباء، فكيفَ أقبلُ أن أكونَ تَبَعاً لبعضِ حكّامِه على هذه الأُسُسِ الفاسدة؟!.. أَمِنْ أجلِ حُطامِ الدّنيا الزّائل؟! وما الدّنيا كلُّها في نظرِ المؤمنِ إِلاّ تراب

❊❊❊❊❊

ليس جديراً بأن يحملَ رسالةَ اللهِ مَنْ لم يكنْ في نفسِهِ أكبرَ من الحكّامِ الحائدينَ عن طريقِ الله

يجبُ أن تكونَ في نفسِكَ أكبرَ من الواقعِ الفاسدِ، لتُغيِّرَ الواقعَ الفاسد.. أمّا إذا شعرتَ بأنّكَ أصغرُ منه فهو الذي سيُغَيِّرُك

كيفَ ترى نفسَك -إن كنتَ صادقَ الإيمانِ- ضعيفاً أمامَ الطّاغوت، ومعك الله، وهو ربُّ العالمين

إذا كنتم تَلْتَمِسونَ لأنفسكُمُ الأعذارَ في مُهادَنَةِ الباطل، فما هو عُذْرُكُم في محاربةِ الحقّ؟!

عدوٌّ واحدٌ مُقَنَّع أخطرُ على المسلمينَ أحياناً من جيشٍ مكشوف

إنّ خنجر «بْروتُس» يستطيعُ أن يَنْفُذَ إلى مقاتلِ المسلمينَ أكثرَ من ألوفِ الخناجرِ التي تُقابلُهم وجهاً لوجه

عندما يَزْدادُ انطباقُ الظلامِ على شُعْلَةِ الحقِّ التي نحملُها يزدادُ شعورُنا بالحاجة إلى النور، وبضرورةِ الاستمرارِ في رفع هذه الشُّعْلَةِ إلى أن تُسدِلَ أيدينا قَبْضَةُ الموت

لقد بدأَ اللَّهَبُ يَخبو في الشُّعْلَةِ التي تَحمِلُها، و لم تَعُدْ تتّقِدُ كما كانت بالأمس..

نعم يا أخي! لقد اتّقدتِ الشّعلةُ أمسِ بالصّبا والشّباب، و لم يبقَ للشّعلةِ اليومَ من وَقودٍ إلاّ الكهولةُ المعتلَّةُ، وما تركَه المرضُ من حُطام.. ولكنَّ الشّعلةَ ستبقى مع ذلك حَيَّةً -إن شاءَ اللهُ- ما بَقِيَ لي نَبْضٌ من حياة

إنّنا لا نفتقِرُ إلى الذين لا يقولون كلمةَ الحقِّ إلاّ إذا ملكوا معها أسبابَ الوِقايةِ والنّصر.. إنّما نفتقرُ إلى الذينَ يقولونَ كلمةَ الحقِّ وهم لا يملِكونَ معها ولا يملكونَ لها ولا يملكونَ بها إلا الموت

إنّ دماءَ هؤلاءِ الأحرارِ هي التي تحفظُ بقايا العقيدةِ والعزيمةِ في القلوبِ والشّعوب، وتوقِدُ شعلةَ الأملِ والنّضالِ في ظلماتِ اليأسِ والاستسلام، وتُزَلْزِلُ الأسوارَ الشّاهقةَ في سجنِ الحاضرِ الرّهيب، وتفتحُ المنافذَ الواسعةَ، وتشقُّ الطّريق الصّعبَةَ، إلى المستقبلِ الكريم

لن يفهمَنا أبداً أولئك الذين يقيسونَ الأمورَ بمقاييسِ المنافعِ الماديّةِ، والمطالبِ الدُّنْيَويّةِ، والعصبيّات العائليّةِ والإقليميّةِ والحزبيّة.. لن يفهمَنا إلاّ أولئك الذينَ آمنوا بحقائقِهم لا بِمُجَرَّدِ شعاراتِهم، وأخلصوا وصدَقوا كلَّ الصّدقِ في إيمانهم، فأحبّوا للهِ وأبغضوا لله، وأعطوْا للهِ ومنعوا لله، واتّخذوا الإسلامَ وحدَه مِقياساً يقيسونَ به الأمور، ويحكُمون به على الأشياء.. هؤلاء هم الذين يفهمونَنا ونفهمُهم، ويلتقونَ بنا ونلتقي بهم على طريقِ الجهاد.. أمّا الذين لا يتجاوزُ الإسلامُ عندَهم أن يكونَ شِعاراً أو سِتاراً، فهم في وادٍ ونحنُ في واد، وهَيْهاتَ أن يكونَ هنالك لقاء!

إنّنا لا نكتبُ بالمداد، ولكنْ بِدَمِ القلب.. فمعذرةً إذا ظهرَ في سُطورِنا أثرُ الجراح

إنّني أمزّقُ كثيراً ممّا أكتُب، لأنّ منَ الحقائقِ ما هو أشدُ مَرارةً وهَوْلاً من أن يُنْشَرَ على النّاس

إذا لم تَعِشْ بعضَ تجربةِ الرّسولِ صلى الله عليه وسلّم، و لم تُعانِ بعضَ ما عاناه في سبيل الله عزَّ وجلَّ، فلن تفهمَ شخصيّتَه فهماً حقيقيّاً أصيلاً، ولن تشعرَ شعوراً واقعيّاً حيّاً بمدى سموِّ خُلُقِه العظيم

قالت لي نفسي:

إنّك تستطيعُ أن تقولَ في هؤلاءِ بالحقِّ ما لا يستطيعونَ أن يقولوا فيك بعضَه بالباطل.. فلم السّكوت؟!

قلت لنفسي:

فأينَ أنتِ إذن من قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ:

﴿...**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:134]

لا أكونُ صادقَ الإيمانِ إن لم أرَ نفسي أكبرَ من الواقعِ الجاهليِّ القائمِ، وأكبرَ من كلِّ طاغوتٍ على الأرض

حَجْمُ الأشياءِ الحقيقيّ، إنّما هو حجمُها في النّفوسِ والأفكار.. فَرُبَّ حادثٍ واحدٍ، لَهُ في ألوفِ الأشخاصِ، ألوفُ الأحجامِ والآثار

إذا أردتَ أن تتحرّر فلا تجعلِ الدّنيا كبيرةً في نفسِك

إذا كانَ اللهُ عندَك حَقّاً هو الأكبر، أصبحتَ سيّدَ هذه الدّنيا، وأصبحَ كلُّ ما فيها مُسَخَّراً لخدمتِك

ما أبعدَ الفرقَ بينَ أن يكونَ اللهُ هو الأكبرَ على لسانِك، وبينَ أن يكونَ هو الأكبرَ في فكرِكَ ووجدانِك

كان اللهُ هو الأكبر حقيقةً في نفوسِ الرّعيلِ الأوّل من سلفنا الصّالحِ فملكوا الدّنيا، وكان هو الأكبرَ لفظاً على ألسنُنِا فملَكَتْنا الدّنيا، واستعبَدنا أذلُّ النّاس

لم يَعُدِ الإنسانُ المسلمُ يفترقُ عن غيرِه -وا أسفاه- إلاّ بالعُنوانِ ودعوى اللسان.. أمّا حقيقةُ الإسلامِ فهيَ ما نفتقدُه أشدَّ افتقاد

إنَّ التّغْييرَ الحقيقيّ ليسَ تغييرَ العناوينِ والكلمات، ولكنّه تغييرُ النّفوس..
وكم ناسٍ تَغَيَّرَتْ شِعاراتُهم، ولم تَتَغَيَّرْ حقائقُهم، فاستمرّوا يحملونَ حقيقةَ الجاهليّة، تحتَ عنوانِ الإسلام

لا يمكنُنا دونَ قاعدةٍ راسخةٍ صُلْبَةٍ أن نقيمَ للإسلامِ أيَّ بناءٍ شامخٍ باق.. إنّ هذا البناءَ دونَ هذه القاعدةِ سينهارُ من الأساسِ عندما يواجِهُ الشّدائدَ والْمُغْرِياتِ وتحدّياتِ الحياة

يريدُ أقزامُ النّفوسِ أن نُصَغِّرَ لَهُمُ الإسلامَ لِيَتَلاءمَ مع قاماتِهم.. لا أن يُكَبِّروا هم أنفسَهم حتّى يتلاءموا مع الإسلام

أنا لا أقبلُ أن أهبطَ بالإسلام إلى مُسْتَوى المسلمينَ اليوم، ولكنّني أريدُ أن أرتفعَ بالمسلمينَ إلى سماءِ الإسلام.. وهذا هو التحدّي الحقيقيُّ الكبيرُ الذي يواجهُنا، والواجبُ الخطيرُ الذي ينتظرُنا، والذي يحتاجُ إلى عزائمِ أولي العزائمِ من المؤمنينَ الصّادقين

لقد ضَعُفَتْ عزائمُ المسلمينَ عن أهدافِ الإسلامِ ومطالبه الشّامخةِ البعيدةِ في هذا العصر، وأصبحَ من يدعوهم إليها غَريباً، ومن يسلُك سبيلَها وحيداً، ومن يستقيمُ إليها، فلا ينحرفُ عنها لمصالحِهِ الدّنيويّةِ، مُغَفَّلاً أو مجنوناً!!

کم أحتقرُ هؤلاءِ الذينَ يُعَلّقونَ أقذرَ مطامِعهم وأهوائِهم على مَشاجِبِ الْمُثُلِ العُلْيا!

لو بذلَ أدعياءُ الإسلامِ في محاربةِ أعداءِ اللهِ المبطلين، عُشْرَ ما يبذُلونَه في حربِ أولياءِ اللهِ الصّادقين، لانتصرَ الإسلامُ من زمنٍ بعيد.. ولكنْ من النّفوس ما يَنْشَطُ في الباطلِ ما لا يَنْشَطُ في الحقّ، ويندفعُ لأهوائه ودنياه ما لا يندفعُ لآخرتِه ومرضاةِ ربّه عزَّ وجلّ

لا يمكنُ أن تجمعَ بين طاعةِ اللهِ وطاعةِ الطّاغوت، فاخترْ لنفسك هذا أو ذاك

الإنسانُ المسلم في هذا العصرِ يَرْسُفُ بقيودِه الذاتِيَّةِ الداخليّةِ أكثرَ ممّا يَرْسُفُ بقيودِ الطّواغيتِ من الحكّامِ المستبدّينَ المناهضينَ للإسلام

هنالك قَيْدٌ خارجيٌّ منظور، وقيدٌ داخليٌّ لا تراه العيون.. وقد يتحرّرُ الإنسانُ من القيدِ الخارجيِّ في لحظات، ولكن لا يتحرّرُ من القَيْدِ الداخليِّ إلاّ بالإيمانِ والصّدقِ والعلمِ والمجاهدةِ المستمرّةِ للنّفس

إذا كنتَ لا تسيرُ إلاّ في طريقٍ مُمَهَّدٍ آمن، فمنِ الذي يَشُقُّ الطّريقَ البِكْرَ للسّائرين، ويَرْكَبُ الخطرَ إلى الأهدافِ الكبيرةِ، والآمال البعيدة، الجديرةِ بالإنسانِ المسلم

ما أَشْقى الأمّةَ التي يحكمُها صغارُ العقولِ أو صغارُ النّفوس، هؤلاءِ يُضَحّونَ بها على مَذْبَحِ الشّهَواتِ والأهواء، وأولئك يُورِدونَها المهالكَ وهم يَحْسَبونَ أنّهم يُحْسِنونَ صُنْعا.. وكلاهُما آثمٌ بنظرِ الإِسلام

ليسَ من العسيرِ أن تنطلقَ إلى أهدافِكَ البعيدةِ بأملٍ وعزمٍ ونشاط، ولكنَّ العسيرَ أن تحتفظَ بأملِك وعزمِك ونشاطِك إلى آخرِ الشّوط

إنّنا لا نستطيعُ أن نواجهَ الصهيونيّةَ والصليبيّةَ والاستعمارَ القديمَ والجديد في بلادِنا العربيّةِ والإسلاميّةِ إلاّ بالوَحْدَة.. فكلُّ خُطْوَةٍ في طريقِ الوَحْدةِ هي خُطْوَةٌ في طريقِ التحرّرِ الحقيقيّ، وكلُّ خُطْوَةٍ في طريقِ التّجزئةِ هي خطوةٌ في خدمةِ الصهيونيّةِ والصليبيّةِ والاستعمار

لقد علّمَنا التّاريخُ والواقعُ والتّفكيرُ السّليم أنَّ وحدةَ العربِ ما كانتْ في الماضي، ولن تكونَ في الحاضرِ والمستقبلِ، إلاّ بالإسلام.. فالذين يَدَّعون الإيمانَ بالوحدةِ ويرفعونَ شعارَها للنّاسِ وهم يُحاربونَ الإسلامَ مباشرةً أو غيرَ مباشرة، جاهلونَ أو منافقونَ يُظهِرونَ الإيمانَ ويُبْطِنون الكفر.. مهما كانتِ الادّعاءاتُ والشّعارات

لقد وحَّدَ الإسلامُ العربَ المتفرّقين وجعلَ منهم أمّةً واحدةً ودولةً واحدة

أمّا القوميّاتُ الجاهليّةُ فقد جعلتِ الأمّةَ الواحدةَ والدّولة الواحدةَ أكثرَ من عشرينَ أمّةً ودولةً متفرّقة.. ولكنْ ما أكثرَ العُمْيَ الذينَ لا يُبصرونَ الحقائقَ الظّاهرةَ للعيون، والمبصرينَ الذين يَرَوْنَ الحقائقَ ويتعامَوْنَ عنها لمرضٍ في القلوب

لقد حاربوا الإِسلامَ باسمِ محاربةِ الطائفيّة، وباسمِ الوحدةِ القوميّةِ والوطنيّة، وخَدعوا بذلك كثيراً من النّاس.. ثمّ ظهرَ للعيونِ أنّهم همُ الطائفيّون، وأنّهم ما حاربوا الإِسلامَ إلاّ لمصلحتِهم الطائفيّة، على حسابِ المصلحةِ القوميّةِ والوطنيّةِ الحقيقيّة التي لا تكونُ إلاّ بالإِسلام

❦❦❦❦❦❦

ما أجهلَ أولئكَ الذين يضعونَ الإِسلامَ في طرفٍ والعلمَ والتقدّمَ في طَرَفٍ ثمّ يَدْعونَ الشّبّابَ إلى الاختيار لقد كان الإِسلامُ في الماضي طريقَنا إلى العلمِ والتقدّم، وسيكونُ طريقَنا إلى العلمِ والتقدّمِ في الحاضرِ والمستقبل، فالإِسلامُ والعلمُ لا يفترقان؛ ولكنّه جهلُ الجاهلينَ أو مكرُ الماكرينَ هو الذي يَطْرَحُ القضيّةَ بهذه الصّورةِ الزّائفةِ المضلّلةِ الخاليةِ من النّزاهةِ والإِخلاص للعلمِ والتقدّمِ وللإِسلامِ والمسلمين

❦❦❦❦❦❦

إنّ كفاحَنا لتحريرِ شعوبنا الإِسلاميّةِ من السّيطرةِ الخارجيّةِ والدكتاتوريّاتِ الداخليّةِ جُزْءٌ لا يتجزّأ من كفاحِنا لتحقيق الإِسلام.. فَعَبْرَ اقتناع الشّعوبِ، وإِرادةِ الشّعوب، وجهادِ الشّعوبِ.. يجبُ أن يصل الإِسلامُ إلى الحكم

❦❦❦❦❦❦

لقد حارَبْنا الدكتاتوريّةَ في الماضي وسنحاربُها في الحاضرِ والمستقبل، ولن نتنازلَ عن حريّتنا وكرامتِنا وحقّنا لأحَدٍ مهما كانَ اسمُه أو وصفُه.. وليس عندنا فرقٌ إن كانتِ اليدُ المتحكّمَةُ ناعمةً أو خَشِنَة، وقيودُ الحريرِ لا تَقِلُّ في نظرِنا خطورةً عن قيودِ الحديد

❦❦❦❦❦❦

إنّنا –في خيرِ أحوالِنا– نُرَبّي أجيالَنا الإِسلاميّةَ الجديدةَ على بعضِ الشّعاراتِ والعباداتِ والآداب.. لتنقادَ لنا فيما سوى ذلك من شؤونِ الحياةِ انقيادَ الجاهلِ الذي لا يَعلم، والأعمى الذي لا يُبصر.. ولا نُنْشِئُ هذه الأجيالَ على فهمٍ شاملٍ للإِسلامِ وواقعِ المسلمينَ وواقعِ العالم والعصر.. بحيث تكونُ قادرةً على نقدِنا إن أخطأنا، ومعارضتِنا إن أَصْرَرْنا، وإقصائنا إن انحرفْنا، وتَجاوُزِنا إن عجزنا أو قصّرنا.. وهذا من أحوَجِ ما يحتاجُه المسلمونَ في الحاضر والمستقبل

أَبْغَضَكَ لأنّكَ أحببتَ اللهَ فاستقمتَ على طرِيقه فلم تنحرف، ولو أنّك انحرفتَ بما يُحَقِّقُ مطامِعَه لأحبّك.. ويدّعي مع ذلك صِدْقَ الإيمان!

إيّاكَ -إن كنتَ تريدُ العاجِلَةَ- أن تقفَ في وجهِ أصحابِ المطامع، فإنّهم سيغرِسونَ خناجرهم في قلبك حتّى الموتِ إن سهّلَ لهم ذلك الطّريقَ إلى مطامعهم الحقيرة، مهما يَكُن بينَك وبينَهم من الأواصر، ومهما تَعارَض ذلك مع الحقّ والْخُلُقِ والضّمير

أمّا إن كنتَ تريدُ الآجلةَ فَقُمْ بواجبِكَ ولا تَخْشَ أحداً إلاّ الله.. فالموتُ في سبيلِ الله -إن كُتِبَ لك الموتُ- هو أكبرُ انتصار

أَلاّ يُحاسِبُ «هؤلاءِ» أنفسَهم عندما ينفرِدون بأنفسهم؟! أم مات عندهم كلُّ ضميرٍ وإحساسٍ وخوفٍ من الله؟!

ليسَ رُجُولةً أن تكونَ سَوْطَ الطّغاةِ على أجسادِ الأحرارِ، وأفكارِ الأحرار، وأنفسِ الأحرار، ولكنّ الرّجولةَ أن تكونَ دِرْعَ الأحرارِ في مواجهةِ الطّغاةِ، ولو مزَّقَتْ جسدَك السّياطُ، واخترَق قلبَك الرّصاص

رُبَّ فائزٍ في الدّنيا في نظرِ النّاسِ خاسرٌ يومَ القيامةِ عند الله

ورُبَّ خاسرٍ في الدّنيا في نظرِ النّاس فائزٌ يومَ القيامةِ عندَ الله

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:185]

رُبَّ مغلوبٍ في الدّنيا كالْحُسَيْنِ بن عليّ، وغالِبٍ في الدّنيا كالشَّمِرِ بنِ ذي الْجَوْشَن[10]، ولكنْ كمْ من المؤمنينَ الصّادقينَ يقبلُ لنفسهِ أن يكونَ الشَّمِرَ، ويأبى لنفسه أن يكونَ الْحُسَيْن

نقمَ الكافرونَ على المؤمنينَ من أصحابِ الأُخْدودِ ﴿...أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج:8]، ولكنْ لم يكنْ يخطرُ قبلَ التّجربةِ الأليمةِ بالبالِ أن ينقمَ «مؤمنون!» على مؤمنينَ آخرينَ أن يُؤمنوا باللهِ العزيزِ الحميد، ولا يُشْرِكوا به أيَّ ضَرْبٍ من ضروبِ الطّاغوت

❊❊❊❊❊❊

يُحارَبُ المسلمُ الصّادقُ الآنَ في كلِّ مكان.. ولكنْ تختلفُ الجهاتُ والدّرجاتُ والوسائلُ والأساليب

❊❊❊❊❊❊

ليس هنالك حرّيّةٌ حقيقيّةٌ للإسلامِ والمسلمينَ الصّادقينَ في أيّ مكانٍ من الأرض
إنّ أعداءَ الإسلامِ السّافرينَ والْمُقَنَّعينَ سيضربونَكَ مباشرةً أو غيرَ مباشرةٍ عندما يُحِسّونَ من جِهَتِكَ الخطر
وقد تُصيبُك الضَّرْبَةُ الفاجرةُ الغادرةُ بيدٍ تحملُ الْخَنْجَرَ والصّليب، أو بيدٍ تحملُ الخنجرَ والمصحف

❊❊❊❊❊❊

صِغارٌ نفوسُهُم هؤلاءِ الذينَ يظنّونَ أنّهم يستطيعونَ أن يشتروا بأموالهم كلَّ إنسان، ولو كانتْ نفوسُهُم كِباراً لعرفوا بالقياس عليها أنّ مِنَ الأنفُسِ ما لا يُباعُ ولا يُشتَرى بمالِ الأرض

❊❊❊❊❊❊

نحنُ لا نبيعُ أنفسَنا ودعوتَنا لأحدٍ من أعداءِ الإسلامِ ومستغلّيهِ في الدّاخلِ أو الخارج، لا مباشرةً ولا عن طريقِ السّماسرةِ الكثيرينَ هذه الأيّام.. ولو كان لبعضَ هؤلاءِ المستغلّينَ والسّماسرةِ لافتاتٌ جميلةٌ على الأبواب

❊❊❊❊❊❊

---

(10) أحدُ قَتَلَةِ الحسين رضي الله عنه يومَ كَرْبَلاء.

يُساومُكَ أعداءُ الإسلامِ ومستغلّو الإسلامِ على نفسِكَ وعلى إخوانِك وعلى الإسلامِ والمسلمينَ بشتّى الوسائل والأساليب؛ فإن قبلتَ المساومةَ كان لك أجرُك المقدورُ على حسبِ وزنِكَ ومَطْمَحِكَ وحاجتِهم إليك، وإن كنتَ صادقَ الإيمانِ بقضيّتك ومنهجك، وَفِيّاً لإخوانك ودينك وأمّتك، حُرّاً كريماً لا تُباع ولا تُشترى ولا تُستعبَدُ مهما كان الثّمنُ ومهما كانت الظّروف.. حاربوك وربّما قتلوك.. والتفتوا إلى سواك من طلاب المنفعةِ وعبيدِ الدّنيا المنتظرينَ المتلهّفين، الذين يعرِضون أنفسَهم على الطّواغيت في كلّ مكان، ويقفون صباحَ مساءَ على الأبوابِ والأعتاب

ماذا تفعلُ أقلامٌ قليلةٌ في مواجهةِ ألوفِ الأقلامِ الخادعة، وألسنةٌ قليلةٌ في مواجهةِ ألوفِ الألسنةِ الكاذبة، ومجلاتٌ صغيرةٌ محدودةٌ في مواجهة ما لا يُحصى من الصّحفِ والمجلاتِ الكبيرةِ المنوَّعةِ المنتشرةِ التي تتخطّى كلَّ حدودِ الأرض؛ ولكنَ الحقّ مع ذلك كلّه له نورُه الذي يَهدي إليه، واللّهُ من وراء ذلك كلّه بالمرصاد.. ﴿...**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾ [الشعراء:227]

كيف تصلُ كلمةُ الإسلامِ إلى النّاسِ إذا كان أعداءُ الإسلامِ ومستغلّو الإسلامِ ومن لا يبالونَ بالإسلامِ يملكونَ كلَّ وسائلِ الإعلام؟!

إنّ عليكم أنتم يا طلائعَ الإسلامِ العظيم أن تصلوا به وبكلمتِه الحرّةِ إلى كلَّ منطقةٍ وكلّ بلدةٍ وكلّ حيٍّ وكلّ بيتٍ وكلّ فردٍ من الأفراد

إنّها مهمّةٌ من مهمّاتِكم التاريخيّةِ في هذه المرحلةِ الحاسمةِ من حياةِ الإسلامِ والمسلمين

إنّ الحقَّ الذي نؤمنُ به، ونجاهدُ من أجله، أقوى من كلِّ حصارٍ محليٍّ أو عالميّ، وأقوى من القيود التي يكبّلوننا بها، ومن الموت نفسه إن نزلَ بنا ما يُرادُ لنا من الموت.. ولا بدَّ أن تصلَ كلماتُنا من وراء الأسوارِ والأغلالِ إلى الطّلائع الإسلاميّةِ التي تنشدُ الحقَّ وتعرفُه وتلتزمُه إذا استبان، وأن يُثمرَ في قلوبها، وعقولها، وحياتها، وحياةِ المسلمين بها، أطيبَ الثّمار

ما أتعسَ البشريّةَ إذا كانت أمورُها ومصائرُها بأيدي أفرادٍ أو دُوَلٍ يملكونَ القوّةَ، ولا يملكون الوعيَ أو لا يملكون الضمير

لا أستطيعُ أن أنسى أولئك الأوفياءَ الذين وقفوا معي على طريقِ الحقِّ في أحلكِ الظّروف، واحتملوا معي ما لا يحتملُه إنسانٌ من الكَيْدِ والأذى.. وكان بإمكانهم أن ينالوا من الدّنيا بانصرافِهم عنّي ما يَسيلُ له لُعابُ قومٍ آخرين

يا أخي الذي ما رأيتُ وجهَهُ مِنْ قَبْلُ، ولا سمعتُ اسمَه من قَبْلُ، ولا أسديتُ إليه يداً من قبل، ولا أملكُ أنْ أُسْدِيَ إليه الآنَ أيَّ يَد..

يا أخي الذي أحبّني في الله، ووقفَ معي لله، وناضلَ معي في سبيلِ الله، واحتملَ معي الأذى من أعداءِ الله.. أبشرْ فقد استكملتَ بذلك الإيمان، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**» رواه أبو داود

لَئن تَنَكَّرَ لي من أجلِ الدّنيا في غُرْبَتي ومرضي ناسٌ ما ظَنَنْتُ أن يتنكّروا، فقد وَفَى لي ناسٌ آخرون، وقفوا في سبيلِ اللهِ معي، ولقيتُ من بِرّهم بي، وعونِهم لي، في غُربتي ومَرضي، ما لا يَلقاه أخٌ من أخٍ أو والدٌ من ولد.. فجزاهم اللّهُ عن دعوتِه وعنّي أحسنَ الجزاء

وكذلك هي الدّنيا، فيها من هؤلاء، وفيها من هؤلاء.. فلا تيأسْ من الخيرِ في النّاس

نحن لا نريدُ في بلادنا أن نستبدلَ دكتاتوريّةً بدكتاتوريّة، ولا تَبَعِيَّةً بتبعيّة.. ولكنّنا نريدُ الحريّةَ الحقيقيّةَ الداخليّةَ والخارجيّة، وأن نقيمَ الحياةَ الإسلاميّةَ والحكمَ الإسلاميّ، عَبْرَ اقتناعِ الشّعبِ وإرادتِه وجهادِهِ الخالص في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلّ

إنّ أعداءَ الإسلامِ ومُسْتَغِلّي الإِسلامِ لا يبالونَ بأن تَرْفَعَ شِعارَ التحرّرِ من التَّبَعِيَّةِ الداخليّةِ والخارجيّةِ بالكلام، ولكنّهم سيحاربونك أشدَّ الحرب، وسيحاولون القضاءَ عليكَ بكلِّ وسيلة، إذا كنتَ صادقاً فيما تقول، وتَحَوَّلَ عندكَ الِشّعارُ إلى حقيقة، والقولُ إلى عمل، ورفضتَ التبعيّةَ بالفعل، وسلكتَ بنفسك، وبمن يستجيبُ لك، طريقَ الإِسلامِ الحرِّ المستقلِّ المتميّز

❧❧❧❧❧❧

إنّ الحكّامَ العملاءَ أنفسَهم يرفعونَ أحياناً شعاراتِ التحرّرِ من التبعيّةِ خداعاً للنّاس، فلا تنظرْ إلى الشّعاراتِ والأقوالِ وحدَها في الوصولِ إلى الحقيقة، ولكن انظرْ معَ الشّعاراتِ والأقوالِ إلى الوقائعِ والأعمال.. وسيتبيّن لك عند ذلك في أكثرِ الأحوالِ الْخُلْفُ العميقُ بينَ القولِ والعمل

❧❧❧❧❧❧

ما أكثرَ حَمَلَةَ الشّعاراتِ الكريمةِ في بلادِنا وعالمِنا الآن، وما أقلَّ من تنطبقُ عليهم وعلى أعمالِهم هذه الشّعارات

❧❧❧❧❧❧

إذا كانتِ الكلمةُ لا تَعْني مَوْقِفاً، والإيمانُ لا يعني التزاماً، فقد بطلَ مَدْلولُ الكلمات، واستحالتْ ألفاظُنا إلى ضَرْبٍ من الخِداعِ أو العبثِ أو الهَذَيان

❧❧❧❧❧❧

لا يكفي أن نطالبَ بالحريّةِ الحكّامَ المستبدّين، ولكنْ يجبُ أن نبرهنَ لهم بمواقِفنا المختلفة، ونضالِنا المستمرّ، على إنّنا جادّونَ بمُطالبتِنا كلَّ الجدّ، ومُصِرّونَ عليها كلَّ الإِصرار، ومستعدّونَ من أجلِها لأكبرِ التّضحيات

❧❧❧❧❧❧

إنّنا لا نَحْتاجُ ولا نقبلُ أن نفرضَ الإِسلامَ على شعوبنا بقوّة السلاح، فشعوبُنا لا تختارُ إذا ملكتْ حريّتَها إلاّ الإِسلام، إنّما يحتاجُ السّلاحَ لفرض آرائهم وأهوائهم أولئك الطّغاةُ الذين يحولون بينَ شعوبِنا المؤمنةِ وبينَ إِسلامها بالقوّة الغاشمة، خدمةً لمصالحهم الخاصّة، ولأعداءِ الأمّةِ والبلاد

❧❧❧❧❧❧

إنّنا نضعُ في كلماتِنا حياتَنا.. فَأوصِلوا هذه الكلماتِ إلى حيث لا يمكنُ أن نصلَ بها نحن، وتجاوزوا بها الحدودَ المغلقةَ في وجهِ الحقِّ والعدلِ والمستقبلِ الإسلاميِّ والإنسانيِّ المنشود

إذا كانتِ الولايات المتحدة ُ أو الاتّحادُ السّوفييتيّ، والدّولُ الغربيّةُ أو الشّرقيّة، وحكوماتُنا الرأسماليّةُ أو الاشتراكيّة.. هيَ التي تختارُ للمسلمينَ قادتَهم، وتفرضُهم عليهم بما تملِكُ من وسائلِ الإغراءِ والإرغامِ والإعلام، فاقرأْ على الإسلامِ والمسلمينَ السلام.. ولكنْ هيهاتَ هيهاتَ أن يقبلَ المسلمون هذه العبوديّةَ والتبعيّة، وهؤلاء القادةَ المزيّفينَ المفروضينَ بإمكاناتِ أعداءِ الإسلامِ والمسلمين، وأتباعِهم المستغِلّين المعروفين

نحنُ لا نُقارِعُ الباطلَ بسَيْفِ الباطلِ ولكنْ بسيفِ الحقّ، ولا نحاربُ باطلاً مِنْ أجلِ باطلٍ آخرَ ولكنْ من أجلِ الحقّ، فالحقُّ عندَنا هو الوسيلةُ وهو الغاية.. وهذا ما يُميّزُنا عن كَثيرٍ ممّن يخوضونَ المعاركَ ويحملون السّلاح

نحنُ لا نكفُرُ بالطّاغوتِ في مكانٍ ونؤمنُ به في مكان، ولا نحاربُه في بَلَدٍ ونكونُ جُنْدَهُ في بَلَد، ولكنّنا نكفرُ بالطّاغوتِ ونحاربُه حيثما كان، ونقِفُ مع الحقّ في كلّ مكانٍ وزمان

هَيْهاتَ! هَيْهاتَ!.. إنّ مُخاصَمَتي لطاغوتٍ لا يمكنُ أن تَصْعَني في خدمةِ طاغوتٍ آخرَ مهما كانت الظّروف

يهونُ عليَّ الحاكمُ المنحرفُ المستبدُّ بمقدارِ انحرافِه واستبدادِهِ وبعدهِ عن الله

إن كنتَ تقِفُ معي للهِ عزَّ وجلَّ فأهلاً وسهلاً ومرحَباً، وإن كنت تقفُ معي لغيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ فلا حاجةَ بي إليك

أنا لا أخافُ من السّيْرِ وحدي مع الحقّ، ولا أقبلُ السّيْرَ مع الباطلِ ولو سارَ في رَكْبِه الملايين

أنا لا أهتمُ كثيراً بما يفعلُه الفجّارُ الذينَ دَأَبوا على محاولةِ تشويهِ صورتِنا في أنفسِ النّاس بالكذبِ علينا والكذبِ على الحقيقةِ والتّاريخ.. فالذي يُهِمُّني أوّلاً وآخراً هو حقيقتُنا عندَ الله

قد تجدُ في واقعِ المسلمينَ الإيمانَ والإخلاص، وقد تجدُ العلمَ والوعيَ والخِبرة، وقد تجدُ العملَ والجهادَ والتّضحية.. ولكنَّ المهمَّ أن تجتمعَ هذه الصّفاتُ كلُّها في وَحْدَةٍ عُضْويَّةٍ مُتَكاملةٍ ليولدَ المستقبلُ الإسلاميّ المنشود

كم ذا أُحِبُّ أن يقرأَ المسلمونَ وهم يبحثونَ عن أسبابِ ما يترلُ بهم من المصائبِ قولَ اللهِ عزَّ وجلّ:
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:30]
وأن يقرؤوا وهم يَتَلَمَّسون طريقَ الخلاصِ قولَ الله عزَّ وجلّ:
﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11]
ففي هاتَيْنِ الآيتيْنِ الكريمتينِ سِرُّ الدّاءِ والدَّواء

لقد انصرفَ اهتمامُ أكثرِ العاملينَ للإسلامِ مع الأسفِ إلى العُنْوانِ لا إلى المَضْمون، وإلى مَظْهَرِ العملِ لا إلى حقيقةِ العمل، وإلى خداعِ النّاسِ لا إلى مرضاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإلى مكاسبِ الدّنيا لا إلى ثوابِ الآخرةِ الذي يزعمونَ أنّهم يريدونَه ويُؤْثِرونَه على كلِّ ما سواه

عندما تَصْغُرُ النّفوسُ تَعْظُمُ الألقابُ ويتنازعُها أو يتبارى فيها النّاس..
أمّا أنا فأحبُّ أن أُنْشِدَ دوماً مع الشّاعرِ البارودي:

حَبَوْتُكَ ألقابَ العُلى فَادْعُني بِاسْمي   فَما تَخْفِضُ الألقابُ حُرّاً ولا تُسْمي

ما سمعتُ ضخامةَ الألقابِ التي يرغبُ فيها ويسعى إليها ويتباهى بها الملوكُ والرّؤساءُ والزّعماءُ في البلادِ العربيّةِ والإسلاميّة، والتي يَتَفَنَّنُ في اختراعِها لهم وإغداقِها عليهم المنافقون والمتكسّبونَ والأتباعُ المأجورون.. إلاّ تذكّرتُ الحكّامَ الذين أضاعوا الأندلس، وقولَ الشّاعر فيهم وفي ألقابِهم الفارغة:

مِمّا يُزَهِّدُني في أرضِ أَنْدَلُسٍ   تَلْقيبُ مُعْتَمِدٍ فيها ومُعْتَضِدِ
ألقابُ مَمْلَكَةٍ في غَيْرِ مَوْضِعِها   كالهِرِّ يَحْكي انتفاخاً صَوْلَةَ الأَسَدِ

لقد أُتيحَ لي أن أشاهدَ كثيراً من زعماءِ السّياسة وأدعياءِ العقيدةِ والجهادِ على مسرحِ التّمثيلِ أمامَ الجماهير، وعلى حقيقتِهم العاريةِ وراءَ الكواليس.. ومن هنا فَجيعتي الْمُرّة، واحتقاري لأكثرِ هؤلاءِ الأبطالِ المزيَّفين

إنّ الجاهلَ الذي ينحرفُ فيتابعُ هواه وهو يعترفُ أنّه مخطئ، أفضلُ ألفَ مرّةٍ من العالِمِ الذي يلتمسُ لانحرافِه الْمُبَرّراتِ، ويُلْبِسُ أقنعةً زائفةً من الدّينِ والمصلحة.. والدّينُ والمصلحةُ من ذلك بَراء

إنّنا نرفضُ تبريرَ الانقيادِ إلى الأنظمةِ الرأسماليّة، والمخطّطاتِ الأمريكيّةِ الغربيّة، باسمِ الخوفِ من الشيوعيّةِ والخطرِ السوفيتيِّ الشرقيّ، ونَعُدُّ ذلك انحرافاً عن الإسلام، وخيانةً للأمّة والبلاد.. فالإسلامُ الحقُّ كما أنزله اللّهُ

عزَّ وجلَّ يختلفُ عن الرأسماليّةِ اختلافَه عن الشيوعيّة، ويحرّمُ الانقيادَ للغربِ كما يحرّمُ الانقيادَ للشّرقِ على حدٍ سواء

يقولُ لنا بعضُ الإسلاميّينَ الْمُوالينَ لبعضِ الحكوماتِ الرأسماليّة، المرتبطةِ بالولايات المتّحدةِ الأمريكيّة:

لماذا هذه المقاومةُ الضّاريةُ للارتباطِ بالولاياتِ المتّحدة؟.. ألا يُعَدُّ ذلك في مواجهةِ الاتّحادِ السوفييتيِّ أَخْذاً بأَخَفِّ الضَّرَرَيْن؟

ونحن نقولُ لهؤلاءِ الإسلاميّين:

إنَّ الارتباطَ بالولاياتِ المتّحدةِ في بلادِنا بالذّات، وفي هذه المرحلةِ بالذّات، هو الضَّرَرُ الأشدُّ والأكبرُ والأخطرُ من كلِّ ضَرَر

ونقولُ لهؤلاءِ الإسلاميّينَ قبلَ ذلك وبعدَ ذلك:

إنّنا نَحْتَقِرُ هذا المنطقَ الذي لا ينبعثُ على الدّوامِ إلا من روحِ التَّبَعيَّة، ولا ينطلقُ إلاّ من منطِقِ العبوديّة، ولا يفكّرُ إلاّ في الْمُقارَنَةِ بينَ سَيّدٍ وسَيّد

إنَّ هذا المنطقَ غريبٌ كلَّ الغربة عن الإسلامِ، فالإسلامُ لا يوجَدُ أصلاً مع العبوديّةِ لغيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا يتعايشُ مع التبعيّةِ للطّاغوتِ وشرائعِ الطّاغوت.. والمسلمونَ الصّادقونَ لا يستسلمونَ أبداً للعبوديّةِ والتبعيّة، ولا يكونونَ إلاّ سادَةً رادَةً قادَةً على طريقِ الحريّةِ والتّحريرِ والحقِّ والخير

كثيرٌ من النّاسِ الذينَ أُحارَبُ بواسطتِهم الآنَ ليسوا أكثرَ من أداةٍ وسِتارٍ للأنظمةِ الرأسماليّةِ المستغِلّة، والمخابرات الأمريكيّةِ والغربيّةِ التي يخدمونَها مباشرةً أو من خلالِ هذه الأنظمة، فأنا أعرفُ العدوَّ الحقيقيَّ المحرّكَ الرئيسيَّ من وراءِ سِتار، ولا أخشاهُ ولا أخشى أحداً إلاّ اللهَ عزَّ وجلَّ، ولا يَقِفُني عن متابعةِ طريقي الذي سلكتُه إلاّ الموت

إنّني أفضّلُ أن أموتَ -كما ماتتْ زوجتي[11]- على أيدي القَتَلَةِ المجرمينَ من حكّامِ دمشق أو غيرِ حكّامِ دمشق.. على أن أُطَأْطِئَ من أجلِ السّلامةِ والحياةِ رأسيَ الشّامخَ بالإسلامِ لِشَرْقٍ أو لِغَرْبٍ، ولأنظمةٍ تابعةٍ أو عميلةٍ للشّرقِ أو للغرب

---

(11) الأخت المجاهدة « أم أيمن » بنان علي الطّنطاوي : استشهدت -رحمها الله تعالى- في مدينة آخن بألمانيا الغربيّة في 1981/03/17م عندما اقتحم القتلةُ المجرمون شقّةَ الأخ عصام العطار في شارع هرستالر (Herstaler-Str. 14) لاغتياله والقضاءِ عليه، دون أن يكونَ في طريقهم أيُّ عقبةٍ من العقبات!.. ولم يكن الأخ عصام يومها في البيت

لَئِن استطاع أعداءُ الإِسلامِ ومستغلّوه أن يكبّلوني في غُرْبَتي بالقيود والأغلال، وأن يمنعوني كلَّ مكانٍ أستطيعُ أن أنشرَ فيه ما أعتقدُه من الحقّ، فإِنَ أعداءَ الإِسلامِ ومستغلّيه لن يستطيعوا أن يُقوّلوني الباطلَ مهما مارسوه من الضُّغوط، ومهما كرّروه من الوعيد، ومهما حاولوه من القتل، ومهما أمعنوا فيه من الحرب، ومهما لوّحوا به من المغريات.. فدنياهم هذه وألفُ دنيا مثلُها ليست أكثرَ في عيني من التّراب

يتلفّتُ الجريحُ الغريبُ المشرَّدُ بلا مأوى ولا سَنَدٍ في ديار الغرب، فلا يجدُ حولَه إلاّ الغِربانَ والرَّخَمَ من بعض حكّامِ العربِ والمسلمين، يتربّصون به أن يضعفَ فيستسلم،أو أن يتعذّبَ ويتعذّبَ ويموت؛ ولكنْ هيهاتَ هيهاتَ لهذا المؤمنِ الجريحِ الغريبِ المشرّدِ أن يستسلمَ لطاغوتٍ، أو يذِلَّ لمخلوق. إنّه على استعدادٍ لأن يتعذّبَ ويتعذّبَ من غير حدود، ويموتَ ويموتَ ألفَ مرّةٍ، ليحفظَ على الإِسلامِ نصاعتَه وكرامتَه، وطريقَه الأصيلَ المستقلَّ المتميّز

يُرَدِّدُ أعداءُ الإِسلامِ ومستغلّوه فرحينَ شامتين: لقد انتهى فلانٌ ولم يَبْق منه على المرض ما يعينُه على متابعةِ المسير. وقد يكون بعضُ ما يقولونَه صحيحاً؛ ولكنَّ كلَّ زَفْرَةٍ ضعيفةٍ في صَدري، وكلَّ خَفْقَةٍ واهنةٍ في قلبي، ستكونُ دعوةً إلى الحقّ، ودفاعاً عن الحقّ، وتحدّياً للباطل في مختلف صورِه وأشكاله، وحُداءً لركبِ الطّلائعِ الإِسلاميّة: ركبِ المستقبلِ الإِسلاميّ العظيم.. إلى أن ألفظَ آخرَ الأنفاس، وأسعدَ بلقاءِ الله عزَّ وجلّ

إنّ ثقتي بانتصارِ الإِسلامِ -يا شبابَ الإِسلامِ- ليس لها حدود.. وليس المهمُّ عندي أن أنجوَ وأسلم؛ ولكن أن تسلمَ دعوةُ الله من كلِّ تحريفٍ أو تشويهٍ أو استغلال، ولا أنْ أصلَ بنفسي إلى الأهداف؛ ولكنْ أن تُتابعوا أنتم -حيثما كنتم من الأرض- المسيرَ إلى الأهداف.. فأهدافُنا أبعدُ من أعمارِنا، وأكبرُ من حياتِنا، وأهمُّ من أنفسِنا وأحبابِنا

تابعوا المسيرَ -يا شبابَ الإِسلامِ- ولا تلتفتوا إليّ، ولا تنشغلوا بي، ولا تحزنوا من أجلي، ولا تضعفْ عزائمُكم لغيابي، إن غبتُ عن ساحة العملِ بالشّهادة أو الموت، أو بأيّ سببٍ آخرَ من الأسباب

تابعوا المسيرَ -يا شبابَ الإسلامِ- واثقينَ كلَّ الثّقةِ باللهِ، متوكّلينَ كلَّ التوكّلِ على اللهِ، مُسْتَرْخِصينَ كلَّ تضحيةٍ وبذلٍ في سبيلِ اللهِ، آخذينَ بقوّةٍ بكلّ ما أوجبَ اللّهُ الأخذ به، وبكلّ ما يعينُ العلمُ والعصرُ عليه من الأسباب.. وسيكونُ لكم النّصرُ -إن شاء اللهُ- فلا بدَّ أن ينتصرَ الحقُّ على الباطل.. لا بدَّ أن ينتصرَ الإسلام

يا إخوتي ويا أبناءَ وطني

إنّ دماءَكُمُ الجاريةَ تتفجّرُ من قلبي، وإنّ دموعَكُمُ السّاكِبَةَ تَتحدَّرُ من عيني، وإنّ مآسيَكم الفاجعةَ ترافقني في يَقظَتي ونومي.. وإنّ اللهَ تعالى لبالمرصادِ لكلِّ الظّالمين، من الأعداءِ السّافرينَ أو المقنَّعين ﴿... **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ [الشعراء: 227]

كم ذا نعيدُ ونكرّرُ ونؤكّدُ أنّه لا بدَّ للطّلائعِ الإسلاميّةِ لأداءِ دورِها التاريخيِّ المنشودِ في هذا العالم والعصر، من أن تجمعَ في وقتٍ واحدٍ بينَ الإخلاص والتجرّدِ والحماسة، والمعرفةِ والوعيِ والخِبْرَة، والطّاقةِ والقدرة، والعملِ والتّضحية

فالإخلاص والتجرّدُ والحماسةُ دونَ معرفةٍ ووعي، ودونَ خبرةٍ تتكاملُ من خلالِ العملِ والزّمن، ضياعٌ وانحرافٌ وهلاك

والمعرفةُ والوعيُ والخبرةُ دون إخلاص وتجرّد وحماسة، سكونٌ وجمودٌ وحياةٌ على هامش الفعل والتّأثير، واستغلالٌ أحياناً وانحرافٌ بعلمٍ عن سواء السّبيل

أمّا الطّاقةُ والقدرةُ والعملُ والتّضحيةُ.. فكيف يمكن أن نحقّقَ أهدافَنا الكبيرةَ البعيدة، إن لم تكن طاقاتُنا وقدراتُنا على مستوى تحقيقِ هذه الأهداف على كلّ صعيد؟! وكيف نخطو أو نُنْجزُ في أنفسنا، وفي محيطنا وعالمنا، أيَّ خطوة حقيقيّة واسعة، أو أيَّ إنجازٍ فعليٍّ جليلٍ، دونَ عملٍ دائب، وتضحيةٍ دائمة، بكلّ معنىً من معاني العملِ والتّضحيةِ التي تخطرُ بالبال

ما أكثرَ ما أحلُمُ في غربتي وشِدَّتي ومَرَضي بأولئك الشّباب الذين يقفونَ مع الحقِّ ولو أعرضتْ عنه الدّنيا، ويثبتونَ عليه ولو حاربتْهم لذلك الدّنيا، ويرفعونَ أنفسَهم من خلال إيمانِهم وإخلاصِهم وعلمهم ووعيهم وإرادتهم وجهدهم المنهجيِّ اليوميِّ المستمرّ، إلى مستوى تحقيقِ أهدافِ الإسلامِ والمسلمينَ في عالمهم وعصرهم، على كلّ صعيدٍ وعلى أفضل وجه

إِنّه -يا شبابَ الإِسلامِ- تحدٍّ تاريخيٌّ مَصيريٌّ يواجهُنا في هذا العالمِ والعصر، ويحتاجُ منّا إِلى أقصى درجاتِ التجرّدِ والتّضحية والبذل والجهد الخارقِ الكبير الكبير

وإِنّه لَيُخَيَّلُ إِليَّ -يا شباب الإِسلامِ- أنّه لم يعدْ أمامَنا أيُّ مجالٍ للخيار:

إِمّا أن نبلغَ القِمّةَ في أداء الواجبِ، وإِمّا أن نَضيع

ما لم نصعدْ بإِمكاناتِنا إِلى مستوى تحقيقِ أهدافنا، فستبقى هذه الأهدافُ ضرباً من الأحلام، ويبقى أصحابُها ضرباً من الحالمينَ المخادعينَ لأنفسهم وللنّاس، لا المؤمنينَ الصّادقينَ الواعينَ المجاهدين، الذين تتحقّقُ بهم الآمالُ الكبيرة، ويتغيّرُ بهم مجرى التّاريخ

صدّقوني: إِنّ أكثرَ هزائمِنا إِنّما ينبعُ بالدّرجة الأولى من جهلنا، وعجزِنا، وغَلَبَةِ أهوائنا علينا، وعبوديّتِنا بشكلٍ أو بآخرَ للدّنيا، وعدمِ أخذِنا بالأسبابِ كما أوجبَ ذلك الإِسلام.. فلا تُلْقوا كلَّ تبعاتِ الهزائمِ على الأعداءِ والظّروف، فهذا ضربٌ من التّبريرِ الكاذبِ والخداعِ الآثمِ، وخيانةٌ للحقيقةِ والإِسلامِ والمسلمين

إِنّ الإِسلامَ يحتاجُ إِلى عناصرَ مؤمنةٍ صادقةٍ عالميّة المستوى في كلّ اختصاصٍ ومجالٍ، لتقودَ خطى المسلمينَ بإِخلاصٍ وبصيرةٍ واقتدارٍ في هذا العالمِ المعقّدِ الصّعب المزروعِ بالمخاطر والمهالك وأصنافِ المكرِ والغدر والاحتيال والاستغلال..

فأين هذه العناصرُ العالميّةُ المستوى التي يحتاجُها الإِسلامُ، والتي يرتبطُ بوجودِها أو عدمِهِ هزيمتُه أو انتصارُه، ومستقبلُه إِلى حدّ بعيد

وأين هم المؤمنون المخلصون الذين يجاهدون ويجاهدون لتكونَ منهم هذه العناصرُ في مُقْبِلاتِ الأيّام، أو الذين يساعدون غيرَهم من أربابِ الموهبةِ والاستعداد والإِرادة والمؤهّلات اللازمة على التقدّم في هذا الطّريق

لا تقلْ لي يا أخي المسلمِ لِتُعْفِيَ نفسَك من المسؤوليّة، وتبرّرَ لها القعودَ عن أداء الواجب: إِنّني لا أجدُ من يأخذُ بيدي، ويرفعني إِلى مستوى حاجة الإِسلامِ والمسلمينَ في عالمي وعصري.. فقليلٌ من يقدرُ على ذلك من النّاس، وأقلُّ منه مَنْ يمدُّ يدَه إِليك بالعونِ إِن قدَرَ عليه

إنّ عليك أن تعتمدَ على نفسك إن لم تجدِ العونَ من سواك، وأن تحاولَ بإيمانٍ وإخلاص وشجاعة وعزم وإصرار أن تصلَ إلى هدفك، وأن تجدَ بنفسك الطّريق، رغمَ كلِّ المصاعبِ والمتاعب والمعاناة

وستجدُ يا أخي بالجهدِ والعمل والتّجربة والخطأ طريقَك الصّحيح، وستكونُ رائداً من الروّاد على هذا الطّريق، وستكونُ قادراً على مساعدة من كانوا في مثل حالِك من الشّباب، وسيكون منك ومن أمثالك الذين يشعرون شعوراً قويّاً مُؤَرّقاً بالمسؤوليّة، ويتحرّكون بدافعٍ ذاتيٍّ عنيف متجدّد لا يمكنُ معه الوقوف.. سيكون منك ومن أمثالِكَ هؤلاءِ طلائعُ الإسلامِ المرجوّةُ في هذا العالم والعصرِ، لإنقاذ الإسلامِ والمسلمينَ وإنقاذِ الإنسان

❦❦❦❦❦❦

لو نُظّمتِ الجهودُ الإسلاميّةُ المبذولة في سبيل الله، والطّاقاتُ الإسلاميّةُ الْمُهْدَرَةُ أو الضّائعة، تنظيماً علميّاً مُحْكَماً، ضِمْنَ رُؤْيَةٍ صادقةٍ واضحةٍ للحاضر والمستقبل، والأهدافِ والوسائل، والعالمِ والعصر؛ لَتجاوزْنا كلَّ ما نشكوه من التخلّفِ والضّعف والعبوديّة والهوان، وبلغنا جُلَّ ما نرجوه من التقدّم والقوّة والحريّة والكرامة؛ ولَتَغَيَّرَ واقعُنا وتاريخنا، وواقعُ العالم وتاريخُه، إلى حدٍّ بعيد.. فما أحوجَنا نحن المسلمينَ إذن إلى هذا التّنظيم، وما أكبرَ إثمَنا ومسؤوليّتَنا إن أهملناه أو قصّرنا فيه.. وما أعظمَ تَبِعَةَ الطّلائعِ الإسلاميّةِ وواجبَها ودورَها المأمولَ في التَّبْصِرةِ به، والدعوةِ إليه، وتحقيقِه في ذاتها وخارجَ نطاقِها، على أفضل وجه، وإلى أقصى حدٍّ مستطاع

❦❦❦❦❦❦

يا شبابَ الإسلام: لا تُعْطوا الفرصةَ بأخطائكم، وقصورِ رؤيتكم وخبرتكم، لأعداء الإسلامِ، لضربكم وتصفيتكم واتّخاذِكم، أو اتّخاذِ بعضِ أعمالِكم، ذريعةً لضربِ الإسلامِ والمسلمينَ المخلصينَ العاملين، ومحاولاتِ القضاءِ على البعث الإسلاميّ، قبلَ أن يكتملَ ويأخذَ مداه

ولا تعطوا الفرصةَ لأعداءِ الإسلامِ لاستدراجكم أو دفعِكم إلى أعمالٍ أو مواقفَ أو مواقعَ تُسَهّلُ لهم ما يريدون

وثقوا كلَّ الثّقةِ أنّ المستقبلَ لنا إن آمنّا وأخلصنا وصدَقْنا، وسِرنا على بيّنةٍ من ربّنا، ومعرفةٍ وخبرة بواقعنا وعالمنا وعصرنا، وعلمٍ بواجبنا، واستعدادٍ دائم لأدائه على أفضل وجهٍ من الوجوه

إنّ الله معنا، وإنّ السُّنَنَ الكونيّةَ التي سخّرها لنا -إن وَعَيْناها وأحسنّا استخدامَها- عونُنا، وإنّ مصلحةَ أمّتِنا وبلادنا، ومصلحةَ الإنسانِ في عالمنا وعصرنا، عندما تنزاحُ الحُجُب، وتنكشفُ الحقائقُ للعيون والعقول والقلوب.. مرتبطةٌ برسالتِنا، وبنا، وبانتصارِنا، وإنْ نَسْتَأهِلْ نصرَ اللهِ بأسبابه وشروطِه ينصرْنا.. وما ذلك على الله بعزيز

❦❦❦❦❦❦

إنّ الذي يسيرُ على طريق العملِ الإسلاميّ الخالص الأصيل في بلادنا وعالمنا وعصرنا، كمن يسيرُ في طريقٍ مزروعٍ بالفِخاخِ والكمائنِ مغروسٍ بالألغام.. فلا بدّ له من غاية الشّجاعةِ والمعرفة والخبرة واليقظة والحذر.. وكلّما أَوْغَلَ في الطّريق كلّما زادتِ الفخاخُ والكمائنُ والألغام، وتَكَشَّفَتْ وجوهٌ جديدة من المهالك والأخطار.. ولكنّ المؤمنَ الصّادق يسيرُ رغمَ ذلك ويسير، إلى نهايةِ الشّوطِ، أو نهايةِ الحياة، ويستكملُ خلالَ سَيْرِه المخلصِ البصير كلَّ ما ينقصُه من المعرفة والخبرة والإمكانات والوسائل، إلى أن يمتلكَ القدرةَ على التغلّبِ على المهالك والمخاطر والعقبات، وعلى بلوغ أهدافِه المنشودةِ: أهدافِ الإسلام

❧❧❧❧❧❧❧

يا أخي المسلم.. لقد أقاموا بيني وبينَك حُجُباً من الكذب والافتراء والتّزوير والتّشويه، فانظرْ إليّ ولأَنْظُرْ إليك، وابسُطْ إليّ يدكَ ولأَبْسُطْ إليكَ يدي، من وراء هذه الحجب الظّالمة الآثمة الزّائفة، فلا بدَّ أن نلتقي رغم إرادة أعداء الإسلامِ والمتاجرين بالإسلام، ومن يسير في ركابهم من المنتفعين أو الجاهلين.. لا بدَّ أن نلتقي معاً، قلوباً وعقولاً وجهوداً، لنصنعَ مستقبلَ الإسلامِ العظيم

❧❧❧❧❧❧❧

حقوقُ الإنسانِ في الدّساتير المحليّة والمواثيقِ الدوليّةِ شيء، وفي الواقعِ العمليّ: المحليّ والدوليّ شيءٌ آخر؛ فلا تنظروا إلى الدّساتير والمواثيقِ المحليّة والدوليّة وحدَها؛ ولكن انظروا قبلَ ذلك وبعدَ ذلك إلى الواقع

❧❧❧❧❧❧❧

إنّ العالَمَ يتحرّكُ بمنافعه ومصالحِه أكثرَ ممّا يتحرّكُ بعقلِه وضميرِه.. وكمْ داسَ هذا العالَمُ أسمى المبادئِ والقِيَمِ من أجل أحقرِ المنافعِ والمصالح؛ فلا تغترّوا بالكلماتِ والشّعارات التي ترتفعُ هنا وهناك

❧❧❧❧❧❧❧

تطلّعَ حكّامُنا مرّاتٍ عديدةً إلى إنكلترا وإلى أمريكا وإلى الاتّحاد السوفييتيّ وإلى جهاتٍ أُخرى لحمايتهم وللمحافظة على عروشهم ومراكزهم؛ ولكنّهم لم يتطلّعوا مرّةً واحدةً بصدقٍ وإخلاص إلى الله عزَّ وجلَّ، وإلى الطّريق الذي رسَمَه للنّجاة والفوز.. وهذا هو سِرُّ الفشلِ والتخبُّطِ والضّياع

❧❧❧❧❧❧❧

لا تَتَرَدَّدْ في عملٍ ما استبانَ لك ضرورتُه وصوابُه مخافةَ أن تندمَ عليه في المستقبل؛ فما مِنْ شيءٍ أدعَى إلى النّدمِ من التردّدِ والقعودِ عن العمل

***

أخطرُ من اتّخاذِ القرارِ الخاطئ عدمُ القدرةِ عندَ الحاجةِ على اتّخاذِ قرار

***

لا تكنْ أخطاءُ الأمسِ حاجزاً بينَك وبينَ صوابِ اليوم، ولا تَغْدُ أسيرَ طريقٍ سلكتَه أمسِ إذا وجدتَ أنّ الطّريقَ الأقومَ والأفضلَ طريقٌ سواه

***

لا تقلْ لم يعدْ بإمكاني أن أصحّحَ خطَئي بعد أنْ تمادَيتُ فيه إلى هذا الحدّ، فأنت تملكُ التّصحيحَ ما مَلَكْتَ الإخلاص والإرادةَ والشّجاعة.. وإيّاكَ إيّاكَ أن تهرُبَ من واجب التّصحيحِ بتبريرِ خطئِكَ لنفسك وللنّاس، ففي ذلك الضّياعُ الحقيقيّ، والهلاكُ كلُّ الهلاك، والخَسارُ كلُّ الخسار

***

إنّ إمكاناتِنا ومستوياتنا لها أثرُها البعيدُ في أساليبنا في العمل

فالزّورقُ الصّغيرُ ذو المجاديفِ الضّعيفةِ يتحرّكُ على الجوانب ببطءٍ شديد، ويتمايلُ ويتحايلُ للوصولِ إلى ما يمكنُه الوصولُ إليه من غايته الْمُتَوَخّاة، والزّورقُ البخاريُّ القويّ يشقُّ بقوّةٍ وسرعةٍ إلى غايته المنشودةِ قلبَ التيّار

لماذا يقنعُ أكثرُ العاملينَ للإسلامِ يا تُرى بإمكاناتهم المحدودة، ومستواهم المنخفض، ويُلْزِمون سائرَ المسلمينَ بأُسلوبِ الزّورقِ الصغيرِ ذي المجاديفِ الضعيفةِ وحدَه دون غيرِه من الأساليب، في عالَمٍ تجاوزَ بأبنائه عصرَ المجاديف والبخار، ومَخَرَ بسُفُنه العجيبةِ حتّى أجوازَ الفضاء؟!

***

ما أحوجَ العاملينَ للإسلامِ إلى الصّدق: الصّدقِ مع الله، والصّدقِ مع أنفسهم، والصّدق مع النّاس، فالكذبُ والخداعُ لا يُرضي الله عزَّ وجلَّ، ولا ينفعُ أصحابَه، ولا ينفعُ الإسلامَ والمسلمين، ولا يقومُ عليه بُنْيان

وما أحوجَ المسلمينَ على الدّوام، وما أحوجَهم في هذه المرحلةِ بالذّات، إلى التَّمْييزِ بينَ الصّادقينَ والكاذبين، والأمناءِ والمخادعين.. فعلى هذا التّمييزِ الواضحِ، في هذه المرحلة الخطيرة، يَنْبَني الهُدَى أو الضّلال، والنّجاحُ أو الإخفاق، والرّبحُ أو الخَسار، والسّلامةُ أو الهلاك

آهٍ ثمّ آهٍ ثمّ آهٍ من هذه «البَيادِقِ» المنتشرةِ في صُفوفِ العاملينَ للإسلام!!

إنّ «البيادقَ» يمكنُ أن تُحرّكها أيدي الصّالحينَ أو الفاسدين، والمستقيمينَ أو الغشّاشين، والمخلصينَ أو المستغلّين.. ولا مَعْرِفَةَ لها بالبواعثِ والغاياتِ والوسائل، ولا رأيَ لها بالحركةِ أو الوقوفِ أو الاتّجاه إلى هنا أو هناك، ولا موقفَ لها ممّا يُصْنَعُ بها، أو يدورُ حولَها، على رقعةِ الشّطرنج

وقد تُحَرِّكُ هذه «البيادقَ!!» أحياناً يدُ الإسلامِ لخدمةِ الإسلام، وقد تحرّكُها أيدي أعداءِ الإسلامِ من وراء ستارٍ أو قناعٍ أو قُفَّاز.. وهي لا تدري، أو تدري ولكنّها تنقادُ رغمَ ذلك للتيّار، فلا تُعارِضُ التيّار، ولا تفكّرُ -ربّما- أصلاً في معارضة التيّار

شَريكُ المبطلينَ في باطِلِهم من يساعدُهم بجهلِهِ على الباطل، ولا يكلّفُ نفسَه عناءَ المعرفةِ والبحثِ عن الحقّ

ما أسهلَ ما يَخلعُ أعداءُ الإسلامِ ومستغلّوه أقنعةَ الصّداقةِ والتجرّدِ والودِّ عندما تُواتيهمُ الفُرَصُ ويكونُ من مصلحتهم أن يَنْقَضّوا على المسلمينَ بوجوهِ الوحوشِ وأنيابِ الوحوش.. فلا تكنْ أيّها المسلمُ من الغافلينَ أو المتواطئين

لا بُدَّ من النّظرِ البعيدِ المنفسحِ إلى الأمور، فالذي لا يَرى أبعدَ من أنفِه جديرٌ بأن يَضِلَّ طريقَه إلى هدفه، وبأن يقعَ ويُوقعَ سواه في شراكِ الأعداءِ الماكرينَ المتربّصينَ على جوانب الطّريق

نحن لا نُلْزِمُ العربيَّ غيرَ المسلم بأن يُؤمنَ بالإِسلامِ ديناً مترلاً من السّماء، فلهُ أن يعتزَّ بالإِسلامِ تُراثاً ويفتخرَ به حضارة.. ولكنَّ المسلمَ الذي يتنازلُ عن الإِسلامِ ديناً، ويقبلُ بأن يكونَ مجردَ تراثٍ وحضارة، يخونُ الحقيقةَ، ويخونُ اللهَ والرّسولَ والمؤمنين

الأخذُ بالإِسلامِ لأنّه تراثٌ خَلَّفَهُ الآباءُ والأجدادُ جاهليّة، والأخذُ بالإِسلامِ لأنّه الدّينُ الحقُّ المترلُ من عند الله إِسلام.. وما أبعدَ الفرقَ بينَ الجاهليّةِ والإِسلام!

إِذا كُنّا نؤمنُ حقيقةً لا كلاماً بأنّ الإِسلامَ هو الحقُّ الذي أنزلَه الله، وأنَّ فيه خيرَ الدّنيا والآخرةِ على السّواء.. فإِنّ من الخيانةِ للنّاسِ كما هو خيانةٌ لله.. أن نتخلّى مرضاةً لهم عن الإِسلامِ، وأن نلتقيَ معهم على غيرِ طريقِه، وأن نبتعدَ بهم وبأنفسِنا معهم عن نهجِه القويم

أُريدُ أن ينتهيَ الاحتواء: احتواءُ الأنظمةِ المحلّيّةِ، والقوى الخارجيّةِ، وأربابِ المالِ والأعمالِ والمصالحِ الكبرى.. للإِسلاميّينَ بمختلفِ المبرّراتِ والأشكالِ، ووراءَ مختلفِ الأقنعةِ والواجهات

أريدُ أن ينتهيَ هذا الاحتواء؛ المكشوفُ منه والمستور، وألاّ تتحوّلَ باستمرارٍ تضحياتُ الألوفِ والألوفِ من المؤمنينَ الصّادقينَ في قاعدةِ العملِ الإِسلاميّ إِلى خدمةِ أعداءِ الإِسلامِ، ومستغلّي الإِسلام.. وهم لا يشعرون

أريدُ أن ينتهيَ هذا الاحتواء.. وسأعملُ من أجلِ ذلك ما حَيِيت.. وسأجاهدُ من أجلهِ ولو أَنْزَلَ بِي ذلك أشدَّ الشّدائدِ والمحن، وكلّفني الحياةَ وما هو أغلى من الحياة

إنّ الإنسانَ المسلمَ هو وحدَهُ في عصرنا الإنسانُ الذي ليسَ لهُ قيمة، والذي يُضَحّي بهِ قادتُه وأعداؤه على السّواء، دونَ أيّةِ حاجةٍ أحياناً، ودونَ أيِّ اكتراث

افتحوا عيونَكم وآذانَكم جيّداً يا شبابَ الإسلام، واستخدِموا عقولَكم في فهمِ ما تَرَوْنَ وتَسمعونَ على الصّعيدِ العربيِّ والإسلاميّ والدوليّ.. وأنا ضامنٌ أن تصلوا إلى الحقِّ والصّواب في كثيرٍ من الأمورِ الملتبسةِ عليكم الآن.. شريطةَ أن يكونَ عندكم التجرّدُ لله عزَّ وجلَّ، والصّدقُ والإخلاص في طلبِ الحقِّ والصّواب؛ فالأهواءُ والمصالحُ والعبوديّةُ للدّنيا، تحجُبُ الرّؤيةَ الواضحة، أو تجعلُ أصحابَها يُكابرونَ في المحسوسات، ويجادلونَ في نور الشّمسِ أسْطَعَ ما يكون

لا تتحوّلوا بجهلكم أو منافعِكم إلى ألاعيبَ بأيدي الأنظمةِ الاستغلاليّة، أو القوى الدوليّة، تُسَخّرُكم -شاعرينَ أو غيرَ شاعرينَ- لخدمةِ أغراضِها ومصالحِها، وتُضَحّي بكم -إن قضتْ بذلك الأغراضُ والمصالح- بكلِّ بساطةٍ وصَفاقَةٍ وجُحودٍ وبرود

ما أحقرَكَ إذا لبستَ للنّاس ثيابَ الأمناء، وأنتَ تخونُهم وتخونُ ضميرَك وتخونُ الله

كيف أَنفُذُ إلى قلبك لأغرس فيه شجرةَ الصّدق، فما أحوجَنا إلى ظلالها وثمارِها وأنسِها في عالَم الكذب والخداع، وفي وَقْدَةِ الهاجرةِ ووحشةِ الطّريق إلى الغاية والأهداف

إنّنا نريدُ للإسلامِ وللإنسانيّة أجيالاً مؤمنةً صادقة.. فإذا كانَ الصّدقُ، كانت سائرُ الصّفات الحميدة، وتَحقّقَ من خِلاله سائرُ المطالبِ والآمال

الحياةُ مسرحٌ -كما يقولون- ولكنّنا لسنا فيها مُجرَّدَ «نَظّارة» ولكنْ أصحاب أدوار، والحكمُ الحقيقيّ الأخيرُ لنا أو علينا في دارٍ أخرى غير هذه الدّار

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:8-9]

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:47].

لَيسَ لعملٍ من الأعمالِ ولا لشيءٍ من الأشياءِ قيمةٌ إلاّ بمقدارِ ما فيه من الحقّ والخيرِ والإخلاص.. وما سوى ذلكَ باطلُ الأباطيلِ وقَبْضُ الرّيح

وحَبَابٌ إذا علا الماءَ ولّى فاسأل الماءَ هلّ دَرى بِحَبابِهْ

فلا تُعَلّقْ قلبَك بالأباطيلِ والأوهام، ولا يغرَّنّك حَبابُ الحياةِ وزَبَدُها الذي يطفو على السّطح

أَمُدُّ نظري عشراتِ السّنينَ فَقَطْ إلى الأمام، فأرى طواغيتَ العالمِ والعصرِ جُثثاً مُتَفسّخَةً يأكلُها الدّود، أو هياكلَ عاريةً من العظام، أو تراباً عاديّاً من تراب الأرض

يجبُ أن نَمُدَّ أبصارَنا الحينَ بعد الحينِ في الزّمان والمكان، لتأخذَ الأشياءُ عندَنا حجمَها الحقيقيّ، ووزنَها الواقعيّ، ولِنُفرّقَ بينَ الزّائلِ والخالد، والعَرَضِ والجوهر، ولنحرّرَ أنفسنا من كلِّ عبوديّةٍ لغيرِ الله الحيِّ الباقي الذي لا يزول، ولا نربطَ قلوبَنا وعقولَنا بأحدٍ ولا بشيءٍ غيرِه عزَّ وجلَّ

نحن لا نملِكُ أكثرَ من نوايانا الخالصة، وعزائمِنا الصّادقة، وجهودِنا الدّائبة، والأخذِ بكلِّ ما يستطيعُه البشَرُ من الأسباب.. والباقي بيدِ الله لا بيدنا؛ وإن كانَ اللّهُ قد عوّدَنا في سُنَنِهِ التي لا تتغيّرُ ولا تتبدّلُ أن تقترنَ الأسبابُ بالنتائجِ عندما تجتمعُ لذلك الشّروط، وأن يقترنَ السّعيُ المخلصُ البصيرُ المكافِئُ لأهدافِهِ المتوخّاةِ بالنّجاح

النّجاحُ الحقيقيّ يحتاجُ إلى جهادٍ حقيقيّ.. أمّا النّجاحُ السطحيُّ الموقوتُ القائمُ على الكذبِ والخداع، فإنّنا نأْنَفُ منه ونأباهُ ولا نريدُه لدعوتِنا ورجالِها المخلصين

❦❦❦❦❦

لا تُبالغوا في إساءةِ الظنِّ بالإنسانِ، ولا تقطعوا الأملَ من استجابَةِ النّاسِ للحقِّ مهما بدا في أوّلِ الأمرِ من الصدِّ أو الإعراض، فقد يكونُ من وراءِ صخورِ القلوبِ الباديةِ للعيونِ ينابيعُ كامنةٌ للإيمانِ والخير.. ولكنْ أينَ من يُفَجّرُ بإيمانهِ وصِدْقهِ، وصبرهِ ومُثابرتهِ، ووعيهِ واقتدارهِ، هذه الينابيعَ الكامنة؛ ليكونَ لنا من بعضِ هؤلاءِ المعرضينَ الآنَ بعضُ ما كانَ في الماضي من عُمَرَ بنِ الخطّاب وخالدِ بنِ الوليد وأمثالِهما على يد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، والسّابقينَ الكرامِ من أصحابهِ إلى الإسلام

❦❦❦❦❦

يجبُ أن ننتصرَ على الباطلِ والشرِّ في أنفسِنا، مُقَدّمَةً لانتصارِنا عليهما في أرضِ الواقع؛ فانتصارُنا الثّاني ثمرةٌ لانتصارنا الأوّل، ولا بدّ لنا لأداء مهمّتِنا التاريخيّةِ من إحرازِ هذينِ النّصرينِ المتكاملين

❦❦❦❦❦

إن ضاقتْ عليَّ الشّراكُ فلم أعدْ أستطيعُ الإفلاتَ من الشّراك، فيجبُ ألا أتركَ التّفكيرَ والعملَ لأهيّئَ لغيري ولمن بعدي أسباب النّجاة

❦❦❦❦❦

أنا أشعرُ بمسؤوليّتي عن كلِّ إنسانٍ، ولكنّني لا أُحَمّلُ مسؤوليّةَ مواقفي وكلماتي لإنسان

❦❦❦❦❦

لا أتكلمُ –إن لم تَدْعُ لذلك ضرورةٌ– إلا باسمي الخاصّ
ولكن ألا تُمَثّلُ كلماتي –إن كانتْ صادقةً واعيةً– كلَّ النّاسِ أو أكثرَ النّاس

❦❦❦❦❦

إنّك لا تفهمُني إلاّ بإخلاصِك ومعرفتِكَ وتجربتِك، وكلّما زادَ نصيبُك من الإخلاص والمعرفةِ والتّجربةِ زادَ نصيبُك من الفهم

إذا غدَتِ المنارةُ الهادِيَةُ في البحرِ أداةَ خِداعٍ وتضليل.. فكيفَ تَهتدي بها السُّفُنُ الْمُدْلِجَةُ، وتنجو بها من الضّلالِ والهلاك؟!

إنّ الذي يُسايرُ النّاسَ في الباطلِ لينالَ وَلاءَ النّاسِ وتأييدَ النّاس، هو في حقيقتِهِ عبدٌ حقير، وإنِ ارتدى ثيابَ القادةِ والزّعماء

قبلَ أن تسْألَ نفسَكَ عندَ أيِّ مَوقفٍ أو قرار: ماذا سيقولُ النّاس؟ اسألْها: ماذا سيقولُ اللهُ

وقبلَ أن تسألَ نفسَكَ: ماذا سأقولُ للنّاس؟ اسألْها: ماذا سأقولُ للهِ يومَ ألقاهُ فلا ينفعني عندَه إلا إيماني وصدقي وعملي الصّالحُ الذي أراقب اللهَ فيه، وأتحرّى فيه الحقّ والصّوابَ ومصلحةَ النّاسِ ما استطعت؟

ليس أسوأ من العبوديّةِ للحكّامِ إلاّ العبوديّة للعوامّ

وكم مِنْ عالِمٍ تمرّدَ على الحكّامِ وانقادَ للعوامِّ فيما يُخالِفُ الشّرعَ والعقل، ويُسْخِطُ اللهَ عزَّ وجلَّ، ويضرُّ بسمعةِ الإسلامِ والمسلمين.. حرصاً على مكانَةٍ زائفةٍ ووجاهةٍ زائلةٍ هي في حقيقتِها عبوديّةٌ وصَغار

قلِ الحقَّ بشجاعةٍ يَسْتَجِبْ لكَ أهلُ الحقِّ عندما يتبيّنونَ فيكَ الصّدقَ والإخلاص.. أمّا أهلُ الباطلِ فالأفضلُ لكَ أنْ يبتعدوا عنك

سأقولُ لكَ الحقَّ وأدفعُ ثمنَهُ الحياة .. فلا أقلَّ من أنْ تفهمَ عنّي ما أقول، وتُبَلّغَ عنّي ما فهمت، وتَقِفِ معه -ما استطعتَ- بشجاعةٍ وإِخلاص

ما أضْيَعَ كلماتِنا إِذا لم تَجِدِ الأُذُنَ التي تَعي، والقلبَ الذي يَعْقِل، والإِرادةَ التي تُحَوّلُ الاقتناعَ والشّعورَ إِلى عمل

لا يستطيعُ مسلمٌ صادقٌ أن يجمعَ في هذه المرحلةِ من حياةِ المسلمينَ بينَ الأمنِ وراحةِ الضّمير
إِن نهضَ بواجبهِ تعرّضَ للمخاطِرِ والمتاعبِ، وإِن لم ينهضْ بالواجبِ أَرَّقَهُ ضميرُه الذي لا ينام

يجبُ أن تقيسَ نفسك وعملكَ بالواجبِ لا بالواقع، وإلاّ فقدتَ كلَّ قدرةٍ على التطوّر، وعلى التّغييرِ والإِصلاح

إِذا بَرَّرْتَ انحرافَك بانحرافِ الآخرينَ فلا أملَ بأَنْ تستقيمَ يوماً على الطّريق

إِذا سقطتَ في شِراكِ الواقعِ الفاسدِ، غدوتَ على الزّمنِ جزءاً من هذا الواقع، وعدوّاً فِعْليّاً لكلّ مَثَلٍ أعلى وهدفٍ رفيع.. وفَقَدَ وجودُك غايتَه ومعناهُ الأصيلَ الكريم

أيّها الحاكمُ المتغطرس
إِنّني مستغنٍ باللهِ عنكَ وعن دنياك؛ ولكنّكَ لا تستطيعُ أن تستغنيَ في دنياكَ وآخرتِكَ عمّا أحملُه إِليكَ من الحقِّ والنّورِ والخير

كيف يُمكِنُ للخائنِ أن يعلّمَ الأمانة، وللجبانِ أن يعلّمَ الشّجاعة، وللمحتالِ أن يعلّمَ الاستقامة، وللكاذبِ أن يعلّمَ الصّدق، وللبخيلِ أن يعلّمَ الكرم، وللذّليلِ أن يعلّمَ العزّةَ والكرامة، وللمنافقِ أن يعلّمَ النّصيحةَ والجهرَ بالحقّ.. ولو أوتِيَ هؤلاءِ أوفرَ نصيبٍ من العلمِ والفهمِ وزلاقةِ اللسان

❊❊❊❊❊❊

لا بدّ لنا من العملِ مع العلم، ومن القدوةِ مع الدّعوة، إذا أردنا أن نربّيَ أجيالَنا الجديدةَ تربيةً إسلاميّةً حقيقيّة، وأن تُجَسّمَ هذه الأجيالُ في حياتِها وواقعِها الإسلامَ وأخلاقَ الإسلامِ ومزايا الإسلامِ وقدرةَ الإسلامِ على تغييرِ واقعِنا الفاسد، وبناءِ المستقبلِ العظيمِ المأمول

❊❊❊❊❊❊

من أكبرِ أسبابِ انتصارِ الإسلامِ في عهدِه الأوّلِ، أنَّ دعوتَه قد اقترنتْ منذ خطواتِها الأولى بالقُدوةِ الكاملةِ، والقيادةِ القادرةِ، مُجَسَّمَةً في رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وكبارِ أصحابِه رضي الله عنهم أجمعين.. ولا بدَّ أن تقترنَ الدّعوةُ، والقدوةُ، والقيادةُ القادرةُ المبدعةُ، في حياةِ المسلمينَ من جديد، ليكونَ لهم نصرٌ جديدٌ إن شاءَ الله

❊❊❊❊❊❊

يكفي أن يكونَ لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلّم أسوةٌ حسنة، في مختلف جوانبِ حياتكم، لتكونوا أسوةً حسنة لمن معكم، ولمن يأتي بعدكم

❊❊❊❊❊❊

سأقبلُ التَّشَرُّدَ والعذابَ ما شاءَ أعداءُ الحقِّ والإنسانيّةِ أن أتشرَّدَ وأتعذّب، والقتلَ مباشرةً أو غيرَ مباشرة، تحتَ هذا السّتار أو ذاك السّتار، ولنْ ينخفضَ أبداً أبداً رأسِيَ الذي رَفَعَهُ الإيمان، ولن أَنحرِفَ أبداً عن طريقيَ الإسلاميِّ المستقلِّ المتميّز إن شاء الله

❊❊❊❊❊❊

إِن حرمني حكّامُ العربِ والمسلمينَ من مكانٍ متواضعٍ في وطني الإِسلاميّ آوي إِليه، وآمَنُ فيه، وأدعو منه في شيخوختي ومرضي إِلى الله عزَّ وجلَّ، فلي برحمةِ الله وفضلِه –لا باستحقاقي وعملي– مكانٌ رفيع في جنّة الخلد، إِن تمكّن منّي أعداءُ الله، فاستشهدتُ في سبيل الله

ليس دمي –إِن قُتِلْتُ– في أعناقِ هذه الجهةِ التي تُرَتّبُ لقتلي أو تلك؛ ولكنّهُ في أعناقِ سائِرِ المسلمينَ الذينَ يَسْتَغْرِقُ كثيرٌ منهم في جهلهم أو تجاهلهم أو سَلبيَّتِهم أو مصالِحهم الحقيرةِ وأهوائهم الصّغيرة.. هذا إِن أَغْضَيْتُ عن ذِكْرِ المتواطئينَ مع الطّاغوت في الجهر أو السِّر.. ولا حولَ ولا قوّة إِلاّ بالله

قولوا لي ماذا أفعل؟ إِنّني لا أستطيعُ، لا أستطيعُ، إِلاّ أنْ أستصغرَ الطّاغوتَ والطّغاةَ المتكبّرين

لقد قلتُ مِراراً مرارا:

«قيودُ الحريرِ لا تقِلُّ في نظري خطورةً عن قيودِ الحديد»

لقد عِشتُ في القِمّةِ حيثُ يعيشُ الصقر، وسأموتُ في القِمّةِ حيث يموتُ الصقر، ولن تراني أبداً –إِنْ شاء اللّهُ– مُقْلةُ السَّفْح

إِنّ مواقفَ الرّجالِ منعطفاتٌ في مجرى التّاريخ؛ فكونوا رجالاً يا حملةَ رسالةِ الإِسلام، لتكونوا المنعطفاتِ المأمولةَ لما هو أفضلُ وأكرمُ وأَقْوَمُ والمسلمين، وللإِنسانيّة جمعاء، ولو دفعتم ثمنَ ذلك الحياة

لا تَغُرَّنَّكُمُ العناوينُ الكبيرة، والشّعاراتُ العظيمةُ في ديارِ الغرب، فكم خلفَها -أحياناً- من نوايا الخديعةِ والخَتْلِ والاستغلال، ومن أقزامِ النّفوس والأخلاقِ والأعمال

إن حرموني الاستقرارَ والطُّمَأْنينةَ في الأرض، فلن يَحرموني الرّحمةَ والعونَ من السّماء

لم تُؤْلِمْني طَعَنَاتُ الإمبرياليةِ المتواليةُ بمقدارِ ما آلمني أن يكونَ من أدواتِها بعضُ أدعياءِ الإسلام

لا يخافُ ولا يَجْبُنُ ولا يَيْأسُ ولا يستسلمُ من كانَ مع الله، وكان معهُ الله

ما أجهلَكم بنا يا أصحابَ الشّعاراتِ الزّائفةِ، يا عبيدَ الدّنيا!

إنّني أُفَضّـــلُ أن أُبْعدَ من هذا البلَد، ومن كلِّ بَلَد، وأن أواجهَ كلَّ بلاءٍ وعَناءٍ وخَطَرٍ في الأرض، على أن أنحرفَ عن طريقِ الإسلام، وأضعَ دعوتي وأمّتي وإخواني في خدمةِ الشّرقِ أو الغرب

إذا قَضى اللهُ أن أَحْيا حَيِيتُ لَهُ وإنْ قضى الموتَ لَمْ أَخْسَرْ ولم أخِبِ

يا رَبِّ قدْ خَلَصَتْ في الْحبِّ أنفسُنا فما رَضِيــتَ لَنــا يا رَبِّ نَرضــاهُ

إنّنا نريدُ أن نقفزَ بالمسلمينَ قفزةً نَوْعِيَّةً تصلُهم بينابيعِ إسلامِهم الصّافيةِ من جهة، وبعالمهم وعصرِهم من جهةٍ أخرى، وتضعُهم على مشارفِ المستقبل؛ مستقبلِ الإنسانيّةِ كلّها؛ رادةً للحقّ والهدايةِ والخير

مَطْلَبٌ كبيرٌ عسير.. ولكنّنا سنرفعُ بإيماننا ومجاهدتِنا وجهادِنا المتواصل أنفسَنا إلى مستواه، وسنبلُغه –مهما كلّفَنا ذلك– بعونِ الله وإذنِ الله

❧❧❧❧❧❧

إنّ أوضاعَ بلادِنا مرتبطةٌ بأوضاعِ عالمِنا وعصرِنا، وقضيَّةَ الإنسانِ في بلادنا مرتبطةٌ بقضيّةِ الإنسانِ في كلّ مكان، فيجبُ ألاّ نغفلَ عن واجبنا في نُصْرَةِ الحقِّ والعدلِ والإنسانِ في العالم، وفي إيقاظِ الضّميرِ البشريِّ وهدايتِه إلى سواءِ السّبيل.. على أن نُراعيَ في ذلك كلّه الأَوْلَوِيّاتِ والنِّسَبَ الموزونةَ المعقولة، وَفْقَ تصّورٍ كاملٍ شاملٍ دقيقٍ للأمور.. حتّى لا نفقدَ المنهجَ الصّحيح في العمل، ولا نَضيعَ في زحمةِ الأعمال والواجبات

❧❧❧❧❧❧

نحن نملِك إخلاصَنا وسعيَنا؛ ولكنّنا لا نملكُ الزّمنَ والمقادير، ولا حصولَ النّتائجِ وبلوغَ الغايات.. واللهُ عزَّ وجلَّ إنّما يحاسبُنا على بواعثنا، واستقامةِ خطواتِنا، وما نقدّمُه أو نقصّرُ فيه من الجهد

❧❧❧❧❧❧

عندما تتقدّمُ بنا السنّ، ويمتدُّ بنا الزّمنُ في العملِ والحياة، نصبحُ أسرى تاريخِنا الماضي، وأساليبنا السّالفة، وعاداتِنا السّابقة، وظروفِنا الخاصّة، وعلاقاتِنا المتشعّبةِ بالنّاسِ والأشياءِ والأحداث؛ وتصبحُ الأعمالُ التي نمارسُها، والمهمّاتُ التي ننهضُ بها، أسيرةً بأَسْرِنا، مقيَّدَةً بقيودنا، قاصرةً بقصورنا، أو منحرفةً عن الأهدافِ المنشودةِ والطّريقِ السويّ

إنّنا نحتاجُ إلى إخلاصٍ عظيمٍ وتجرّدٍ كبير لله عزَّ وجلَّ، وإلى بصيرةٍ ووعي، ومحاسبةٍ دقيقةٍ للنّفس، وإلى إرادةٍ صادقةٍ صارمة، ومبادرةٍ سريعةٍ حازمة، لكسرِ قيودِنا التي تتزايدُ وتثقلُ على الأيّام، وتحريرِ أنفسِنا باستمرارٍ من سائرِ الأغلالِ المنظورةِ وغيرِ المنظورة، لنبصرَ وجهَ الحقّ من وراء أستارِ العاداتِ والعلاقاتِ والمصالحِ والمطامعِ والأهواء، ونختارَ طريقَه المستقيم، ونصحّحَ زَيْغَنا عنه على الدّوام، ونمضيَ عليه بكلِّ تجرّدٍ وقوّةٍ وعزمٍ وثبات، مهما كانتِ العقباتُ النفسيّةُ والخارجيّة، ومهما كانتِ الظّروف

❧❧❧❧❧❧

لا يقاس وجوبُ الأعمالِ وفضلُها بمجرّدِ خطورتها أو أمنِها، وعسرِها أو يسرِها؛ فأوجبُ الأعمال وأفضلُها في نظري هو ما اقتضاهُ الإِسلامُ ومصلحةُ المسلمينَ في زمانٍ ومكانٍ مُعيّنٍ أكثرَ من سواه، وأدّيتَه على الوجهِ المطلوبِ بأقصى ما تَملِكُ من صدقٍ وإِخلاص وقدرةٍ وإِتقان

❦❦❦❦❦❦❦

نحن في أكثريّتِنا الكُبرى –مع الأسف– لا نَفْهَمُ عالَمنا وعصرَنا، ولا نَمْلِكُ مقوّماتِ الحياةِ الكريمةِ فيهما، ولا نَتَّخِذُ لذلك الضّروريَّ من الوسائل.. وهذا سببٌ من أهمّ الأسباب في هزائمنا الدّائمةِ وانهيارِنا المستمرّ

ولن يُغَيّرَ اللهُ ما بِنا حتّى نُغَيّرَ ما بأنفسنا

فأينَ المسلمونَ الذينَ يواجهونَ أنفسَهم وواقعَهم بشجاعةٍ وصدق، ويجاهدونَ بإِخلاص وصبر، ليتجاوزوا نقصَهم وعجزَهم، ويرتفعوا إِلى مستوى إِسلامِهم ومهمّتِهم وعصرِهم على كلِّ صعيد. فعلى هؤلاء الشجعانِ الصّادقينَ المخلصينَ الصّابرينَ يتوقّفُ مستقبلُ الإِسلامِ والمسلمينَ ومستقبلُ الإِنسان

❦❦❦❦❦❦❦

ليس مخلصاً للإِسلام ولا جادّاً في خدمته –ولو تحدّثَ عن ذلك آناءَ الليلِ وأطرافَ النّهار– مَنْ يقنعُ بمستواه المتخلّفِ المنخفض، وبإِنتاجه الضّئيلِ القيمةِ أو المقدار، ولا يحاولُ أن يرفعَ نفسَه بصدقٍ وقوّةٍ واستمرارٍ إِلى مستوى حاجةِ الإِسلامِ والمسلمينَ في هذا العالم والعصر

❦❦❦❦❦❦❦

إِنّني لا أقيسُ صدقَ الشّبابِ المسلمينَ وجدارتَهم بمقدارِ نقدِهم للواقعِ الفاسد، وحماستِهم في الكلامِ الفارغِ الرّخيص، ولكنّني أقيسُها بما يبذُلونَه من جهدٍ يوميٍّ منهجيٍّ حقيقيّ، ويتحمّلونَه من متاعبَ ومصاعبَ وتضحيات، ليرفعوا أنفسَهم وعملَهم إِلى مستوى تغييرِ الواقعِ الفاسد، وإِقامةِ الحياةِ الإِسلاميّةِ والحكمِ الإِسلاميّ

❦❦❦❦❦❦❦

لا يكفي أن تكون لنا أهدافنا العظيمة، ولكن يجب أن نعرف كيف نحقّقها في الواقع

❦❦❦❦❦❦❦

نحن لا ننظرُ إلى الحاضر وحده، ولكنّنا ننظرُ مَعَهُ إلى المستقبل

ولا نخاطبُ هذا الجيلَ وحدَه، ولكنّنا نخاطبُ مَعَهُ الأجيالَ المقبلة، والإنسانَ من حيث هو إِنسان..

فالإِسلامُ هو على الدّوام، سبيلُ الحقِّ والهدايةِ والخير، لكلِّ زمنٍ، وكلِّ جيلٍ، وكلِّ إِنسان

أَن نَرْفَعَ كلامَ المخلوقِ إِلى مستوى كلامِ الخالقِ في التّسليمِ والتّعظيمِ والطّاعةِ المطلقةِ، شِرْكٌ نَبْرَأُ إِلى اللهِ منه، وسُخْفٌ نَرْبَأُ بأنفسنا عن الانحطاط إِليه، مهما بلغ أصحابُ هذا الكلامِ في أنفسنا، واستأهلوا عندنا، من المحبّةِ والثّقة والتّقدير

إِنّنا مرحلةٌ من مراحلِ الطّريق، ولسنا نهايةَ الطّريق؛ وجسرٌ للمستقبل، فَلا بُدَّ من تجاوُزِنا للوصول إِلى المستقبل

أمّا الذينَ يقفونَ عند ما صَنَعْناهُ وكتبناه، فلن يقتربوا منَ الغايةِ الْمَرجُوَّة، ولن يُحقّقوا للإِسلامِ والمسلمينَ والإِنسانِ ما يُؤْمَل فيهم، ويُنْتَظَر منهم، من الخير

لا يصلُ الإِنسانُ إِلى الكمال، ولكن يقتربُ بسَعْيِهِ وهدايةِ اللهِ مِنْهُ، ففيه دائماً -مَهْما حاولَ- نقص

ولا تكونُ له العِصْمَةُ الْمُطْلَقَةُ فعندهُ دائماً -مهما حاولَ- خطأً

ولا بُدَّ أن يظهرَ أَثَرُ نقصهِ وخطئهِ فيما يقولُ أو يعمل

انظروا إِلى أقوالِنا وأعمالِنا بعينٍ واعيةٍ ناقدة، فتداركوا النّقص، وصحّحوا الخطأ، فذلك حقٌّ للهِ وللنّاس، وضرورةٌ للسّلامة والتّقدّم، وهو أفضلُ هديّةٍ وأكرمُ يَدٍ تُسْدونَها إِلينا في الحياة وبعد الممات

من استغنى باللهِ عن الملوك والرؤساء كان في نفسه أكبر من الملوك والرؤساء، ومن استغنى بالملوك والرؤساء عن الله كان في دنياه وآخرته أحقر الناس، وأذلّ الناس، وأضيع الناس

لقد عشت سنوات وسنوات مع الغربة والمرض والنكبات، ولكنّني لم أعش لحظة واحدة مع الذلّ والخنوع والعبودية لغير الله عزَّ وجلّ

ليست الصعوبة في اكتشاف المبادئ الصحيحة والقواعد السليمة فقط، ولكن في تطبيقاها الذكيّة الواعية أيضاً، في عالم معقّد رهيب، وواقع متغيّر تولد فيه أحداث وظروف جديدة كلّ يوم.. ومن هنا قيمةُ القيادة الحيّة الأمينة الواعية المستوعبة القادرة على الإدراك الحيّ المتجدّد الصحيح، والتصرّف السريع السليم البعيد النظر

يجب ألاّ نتّخذ من الظروف الصعبة التي تحيط بنا ستاراً لعجزنا، أو مبرّراً لقعودنا، أو انحرافنا، فالمؤمن الصادق يعمل في كلّ ظرف، ويستقيم على كلّ حال، ويجاهد دائماً ليرفع نفسه باستمرار إِلى مستوى القدرة على الواجب، ويتّخذ لذلك ما يناسبه ويُكَافِئُه من الأسباب

ما أعجبَ هؤلاء الذين يخطّطون للإِسلامِ والمسلمين فيما يزعمون، وهم جاهلون بالإِسلام، وبأوضاع المسلمين، وبالعالم والعصر!

إنّ جناية هؤلاء على الإِسلام والمسلمين، وعلى أنفسهم، أشدّ من جناية أعدى الأعداء

ما حقّقناه حتّى الآن جزء يسير جدّاً مما يجبُ أن يتحقّق ويمكنُ أن يتحقّق من خلال الإِيمان والعلم والفكر والجهاد..

أمّا إِنجازاتُنا الكبرى فما تزال بذوراً كامنة في أعماق أنفسنا، وآمالاً غالية في ضمير الغيب

العمل الإِسلاميّ بين الأصالة والمعاصرة!.. هذه مشكلة يطرحها واقعُ المسلمين، وواقعُ العمل الإِسلاميّ المتخلّف؛ فالعمل لا يكون إِسلاميّاً أصلاً إلاّ إِذا جمع بين الأصالةِ والمعاصرةِ واستشرافِ المستقبل والإِعداد له والتأثيرِ فيه على كل صعيد

إِذا لم نفهم عالمنا وعصرنا فلن نستطيع أن نفهم كثيراً مما يجري في بلادنا، ولن نستطيع مواجهته بالصورة المناسبة والقَدْر الواجب

لا يستطيع المسلمون أن يعيشوا منعزلين في هذا العالم والعصر..

هذا حقٌّ لا مِرْيَةَ فيه؛ ولكن شَتَّانَ بين أن يكون اتصالُهم هنا أو هناك اتصالَ الأتباع، أو اتصالَ الأنداد، أو القادةِ الهداة.

إِنّ المسلم صاحب رسالة في بلده، وصاحب رسالة في عالمه وعصره

كيف يستطيع المسلم أن يؤدي رسالته في عالمه وعصره إِذا جهل العالم والعصر، وأقام بينه وبينه الحواجز والأسوار، أو قصّر في رفع نفسه وإِمكاناته ووسائله إِلى مستوى أداء رسالته فيه

إِنّنا بحاجة إِلى عناصرَ إِسلاميّةٍ عالميةٍ المستوى تستطيع أن تصل إِلى عقول الناس وضمائرهم ومشاعرهم في كلّ مكان من الأرض

إِنّ هذا جزء من رسالتنا الإِسلاميّة، وضرورة من ضرورات الوجود والبقاء الْمُجدي في هذا العالم والعصر؛ فلا يمكننا أن نؤدي رسالتنا العالميّة ونحن دون مستوى فهم العالم وإفهامه والتأثر فيه، ولا يمكننا أن نعيش ونبقى في عصر الهيمنة الإمبريالية، والقنابل النوويّة، والصواريخ العابرة للقارات، وإِرهاصات حرب النجوم، وغير ذلك ممّا يمكن أن يأتي به المستقبل القريب أو البعيد، إِلاّ بتساند البشر جميعاً للدفاع عن وجودهم المهدّد في كلّ مكان، وعن القيم العليا والمصالح الكبيرة المشروعة للإِنسان

إنّ المسلم الحقّ لا يشعر بمسؤوليّته عن نفسه وعن أهله وعن أمته فحسب، ولكنه يشعر بمسؤوليّته عن الإنسانِ وهداية الإنسانِ ومصير الإنسانِ على هذه الأرض، ويترجم هذا الشعور بالمسؤولية إلى جهد حقيقيّ، وموقف عمليّ على كل صعيد.. وهذا هو بعض ما يُكَوِّن عظمة المسلم، ويؤهّله لدوره المحلّيّ والعالميّ الرائد

لن ينفعكم عنوانُ الإسلام وحدَه إذا تنكّرتم نظريّاً أو عمليّاً لمضمون الإسلام، فلا بدّ لكم من أن تردّوا للإسلام مضمونَه الحقيقيّ النظريَّ والعمليّ في أنفسكم وفي مجتمعكم وفي عالمكم، إن أردتم أن تنتفعوا به وتنفعوا به الناس، وتنالوا به خير الدنيا والآخرة

لقد اختلف الزمان، وتغيّرت صُوَرُ الواقع في بلادنا وفي الدنيا على كل صعيد، وقفزت معرفة الإنسانِ وإمكاناته ووسائله عشرات القرون إلى الأمام، ومع ذلك فما يزال كثير من الإسلاميّين يتعاملون مع واقعنا، ومع عالمنا وعصرنا، بتصوّراتهم القديمة الناقصة، ووسائلهم الابتدائية القاصرة، وقد قطعوا أنفسهم، وقطعوا من تابعهم، عن ركب الزمان والحياة، وفقدوا الصلة الحيّة الواعية الفاعلة بالحاضر والمستقبل، وشروطَ البقاء والنماء والنصر، وأهليّةَ حمل رسالة الله عزَّ وجلَّ على مستوى العالم والعصر، وحاجات العالم والعصر

أيّها المسلمون! ارفعوا أنفسكم إلى مستوى الإسلامِ والنهوضِ بتكاليفِ الإسلامِ وتَبِعات الإسلام، فإنّكم بواقعكم الحاليّ، تُعْطون الإسلامَ أمامَ العالم مضموناً كريهاً غيرَ مضمونه الحقيقيّ، وَتُشوِّهون صورته الرائعة، وتُنَفّرون منه، وتُبعِدون عنه، فتغضبون الله، وتَسُدّون طُرُقَ الهداية على الناس

التربية الإسلاميّة المطلوبة تربية شاملة متكاملة متوازنة، تُلَبّي حاجة الإسلام والمسلمين، وحاجةَ العالم والعصر، وحاجةَ الحاضر والمستقبل، وتؤهّل المسلمين لدور الريادة في حياة البشر، والقيادة إلى خَيْرَيِ الدنيا والآخرة، في كلّ مجال وعلى كلّ صعيد

بناءُ الإِنسانِ المسلمِ نفسَه، لا يتمّ بطَرْفَة عين، ولا يكون بالأمنيات وأحلام اليقظة؛ ولكنه يحتاج الباعث القويّ، والإرادة الصارمة، والجهد المخلص الواعي الذي لا يفتر ولا ينقطع، والعلمَ بغايته ومهمّته في بلاده وعالمه وعصره، والبصرَ بمتطلّبات الحاضر والمستقبل، وحسن تنظيم الوقت والجهد، والاستفادة من أفضل ما توصّل إِليه العلم والفكر من وسائل، وما يعطيه الواقع الراهن من إِمكانات.. والمثابرة على ذلك كلّه إلى نهاية الحياة؛ ولا يبلغ الإِنسانُ من بناء نفسه، مع ذلك كلّه، إِلاّ بعضَ ما يحبّه ويحتاجه ويتوجّب عليه

يجب أن نُعِدّ شبابَنا وأبناءنا لمواجهة التطوّرات والتحوّلات الكبيرة السريعة المستمرّة على الصعيد العلميّ والتكنولوجيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والسياسيّ والعسكريّ.. في بلادنا ومناطقنا، وعلى صعيد الأرض وفضائها الخارجيّ، وحيث لا نعلم الآن، وإِلاّ انفصلنا عن الركب البشريّ، وعن مجرى التاريخ، وتهنا في الزمان والمكان، وكُتِب علينا الانقطاعُ والضياع والعجز والهلاك

تحرّكوا أيها المسلمون، فلم يعد من السائغ ولا من المفيد أن تمشوا إِلى أهدافكم المتطوّرة المتجدّدة مَشْيَ السُلَحْفاةِ في عصر الصواريخ العابرة للقارات، وسفن الفضاء التي تدور حول الأرض، أو تتنقّل بين الكواكب.. والمتحكّمون في كوكبنا الأرضيّ يتّخذون أحدث ما وصل إِليه الإِبداع البشري من المعرفة والوسائل، التي تختصر لهم الزمن والمسافات، وتصل بهم إِلى أهدافهم المشروعة أو الآثمة، بأقصر وقت، وأقلّ كلفة وجهد

إِذا كانت التربية في جانب من أهمّ جوانبها إِعداداً للمستقبل على كل صعيد، فكيف يمكننا أن نربّي أبناءنا وشبابنا تربية صحيحة مفيدة شاملة، دون مواكبة علميّة واعية لعالمنا وعصرنا، ورؤية بصيرة واضحة لاحتمالات الحاضر والمستقبل

يجب أن نكون قادرين على رؤية إِمكانات الحاضر والمستقبل، واحتمالاته الإِيجابيّة والسلبيّة في بلادنا وعالمنا على كل صعيد؛ وأن نكون قادرين على تحقيق الاحتمالات الإِيجابيّة، ومنع الاحتمالات السلبيّة؛ بإِيمان

وثقة، وعلم ووعيّ، وإرادة وتصميم، وقدرة كبيرة تؤهلّنا لدورنا الإِسلاميّ والإِنسانيّ الكبير، الذي أراده لنا الله عزَّ وجلَّ، عندما استخلفنا في الأرض

إنَّ الإِسلامَ يَهْدِفُ -فيما يهدف- إذ يقودُ المسلمَ إلى النظرِ في الآفاق والأنفس، والسمواتِ والأرض وما خلَق اللهُ من شيْء، وإلى العلمِ والوعي والتفكُّر والتدبُّر.. إلى تكوين المسلم الواسعِ الأفق، المنفتحِ بعقله ونفسه على الكون وحقائقه، وعلى الحياةِ وسُنَنِها، فالإنسانُ الضيّقُ الأُفُق، الصغيرُ العقل والقلب، المحبوس في الغرائز الفطرية، والميول الأَوّلية، والنزوات العاطفية، وردود الفعل الابتدائية، والجزئيّات، والفرعيّات، والتفاهات، لا يستطيع أن يفهم الإِسلام، أو يعيش الإِسلام، أو يخدم الإِسلام والإِنسان

يا أخي المسلم.. عندي عيوب، وعندك عيوب، وليست العيوب مقصورة على الآخرين؛ فهيّا بنا نجاهد أنفسنا للتحرّر من عيوبنا، بَدَلَ أن نحاول سترها عن أعين الناس، وإلاّ تَحَوَّلْنا من مخلصين إلى مرائين، ومن صادقين إلى منافقين.. ولا يمكن للمرائين والمنافقين أن يحملوا رسالة الله كما ينبغي أن تُحْمَل رسالةُ الله، ولا أن يَلِجوا أبواب الجنّة، ويفوزوا برضوان الله عزَّ وجلّ

طبيعة التغيير الإِسلاميّ ترتبط بطبيعة الإِسلام نفسه، وبحاجات الإِسلام والمسلمين والإِنسان والعالم والعصر، فلا يمكن أن يقود خُطَى التغيير من يجهل إِسلامه وعالمه وعصره، وحاجات الإِسلام والمسلمين والإِنسان في هذا العالم والعصر، ومن لا يملك المواصفاتِ والإمكاناتِ والوسائلَ المكافئة لهذه المهمّة الكبرى

التغيير الإِسلاميّ المنشود تغيير جذريّ شامل للإِنسانِ والمجتمع، له أبعادُه العقيدية والفكرية والنفسية والسلوكية، وأبعاده الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والتشريعية، وأبعاده المحلية والعالمية والإِنسانيّة.. وليس مُجَرّد استبدال أشخاص بأشخاص، وشعارات بشعارات، وعناوين بعناوين، وطلاء خارجيّ سطحيّ بطلاء خارجيّ سطحيّ آخر.. ومن هنا حاجة التغيير الإِسلاميّ الحقيقيّ الأصيل إلى أشخاص وأُمّة يرتفعون إلى

مستواه على كل صعيد، ويقدمون له كل ما يحتاجه من جهود خالصة واعية فاعلة، وتضحيات متجدّدة دائمة ليس لها حدود

لقد واجه الإسلام في مراحل كثيرة خطرين كبيرين في وقت واحد: خطر الذين يحاربونه صراحة من الأساس، وخطر الذين يستغلّونه برفع شعاره خالياً من مضمونه الحقيقيّ لأغراض لا تمتّ إليه بصلة.. وما يزال الإسلام ينتظر رجاله الذين يؤمنون به بصدق، ويحملونه بإخلاص، ويعملون له بشجاعة ووعي، ويحقّقون به التغيير الجذريّ المنشود، في حياتهم أولاً، وفي حياة أمتهم وعالمهم من بعد

الإسلام ليس أجزاء متفرقة منقطعاً بعضُها عن بعض يؤخذ منه ويترك؛ ولكنه نظام كامل مترابط لا بدّ أن يؤخذ به كلّه، وأن يوضع كل جزء من أجزائه في إطاره الطبيعيّ متكاملاً مع سواه..

والإسلام الحقيقيّ الكامل كما أنزله الله عزَّ وجلَّ، هو وحده الطريق إلى خَيْرَيِ الدنيا والآخرة، وإلى كل ما ننشد لأمتنا وبلادنا من التحرّر والتقدّم والعدالة والوحدة، وإلى كلّ ما يفتقر العالم والإنسان إليه الآن، وفي كلّ زمان ومكان

لا مقياسَ لنا في كلّ خيار أو قرار أو موقف إلاّ الإسلامُ الحقُّ، كما أنزله الله عزَّ وجلَّ، لا كما يبدو الآن من خلال واقع المسلمين الراهن، فالإسلام أبعدُ ما يكون عن هذا الواقع المشوّه الذليل المجزّأ المتخلّف؛ بل الإسلام ثورة على هذا الواقع لتغييره تغييراً جذرياً، وللوصول إلى واقع إسلاميّ حقيقيّ

إنّ أعداء أمتنا وبلادنا، وأعداء الإسلام والمسلمين، الداخليّين والخارجيّين، الشرقيّين والغربيّين، سيحاربون كل تجربة حقيقيّة واعدة لتغيير الواقع وتحقيق الإسلام، حرباً ظاهرةً ومقنّعةً بمقدار ما سيكون فيها من أصالةٍ وصدق وجدّ ووعي، وسيسعون إلى خنقها والقضاء عليها بكل سبيل، والعمل على إخفاقها بكل وجه، لأنّ رجعة المسلمين الحقيقيّة إلى إسلامهم كما أنزله الله عزَّ وجلَّ تعني خلاصَهم من كلّ استغلال داخليّ، وتحرّرهم من كلّ سلطان أجنبيّ: ماديّ أو معنويّ، شرقيّ أو غربيّ، وانطلاقَهم في طريق التقدم والعدالة والوحدة والقوّة القادرة على إحقاق الحقّ وإبطال الباطل في الأرض

بعض الناس يريدون أن يُغَيّروا واقعاً لا يعرفونه ولا يفهمونه، إلى واقع لا يتصوّرونه ولا يتبيَّنُونَه، وهم لا يملكون من إمكانات التغيير ووسائله، إلاّ الدّعاوى والشعارات الفارغة، أو الاندفاعات العاطفيّة الجاهلة، التي تسدّ طريق التغيير الحقيقيّ، وتلحق بالإسلام والمسلمين أفدح الأضرار

بعض الناس يَقْصُرون اهتمامهم على تغيير الإنسان الفرد دون الاهتمام بتغيير النظام، وبعضهم يقصُرون اهتمامهم على تغيير النظام دون الاهتمام بالإنسان.

أما نحن فنريد تغيير الإنسان والنظام، فهما في نظرنا عملان متكاملان يساند كل منهما الآخر.. وإن كان الإنسان عندنا هو نقطة البدء والانطلاق

إذا صَلحت الأُسُس والأركان في البناء أمكنك أن تُصلح ما طَرَأَ عليه من فساد جُزْئيّ أو ظاهريّ أو جماليّ، أما إذا فسدت الأسس والأركان فلا بدّ من التغيير الجذري.. وكذلك الواقع القائم في بلادنا الإسلاميّة الآن، فلا بدّ من تقويض أُسسه وأركانه الفاسدة، وإعادة بنائه من جديد

إنّ مجتمعنا الحاضر يُشَوّه الإنسان ويمسخه ويقتل فيه أنبل الخصائص والصفات.. فلا بدّ من تغيير هذا المجتمع إذا أردنا أن ننقذ الإنسان من المسخ والتشويه، ونسمح لخصائصه وصفاته الأصيلة النبيلة بالتفتّح والنموّ

إنّنا لا نحتاج ولا نقبل أن نفرض الإسلام على شعوبنا بقوّة السلاح، فشعوبنا لا تختار إذا ملكت حريّتها إلاّ الإسلام، إنما يحتاج السلاح لفرض آرائهم وأهوائهم أولئك الطغاة الذين يحولون بين شعوبنا المؤمنة وبين إسلامها بالقوة الغاشمة، خدمةً لمصالحهم الخاصة، ولأعداء الأمة والبلاد

إنّ العناصر الإِسلاميّة التي ارتبطت مصلحيّاً وواقعيّاً بالأنظمة والحكومات القائمة لم تعد تصلح موضوعيّاً لقيادة عمليّة التغيير الإِسلاميّ المنشود..

وقد تُحَقِّق هذه العناصر عن طريق مراكزها وإِمكاناتها المختلفة مكاسب جزئية أو هامشية للإِسلام، ولكنها قد تكون في نفس الوقت أداةً لاستغلال الإِسلام، واحتواءِ المسلمين، ووضعِهم في الأمور الجوهرية الأساسية في خدمة الأنظمة والحكومات، وضربِ العاملين الأحرار الذين يتمرّدون على هذا الاحتواء، وسَدِّ طريق التغيير الجذريّ لإقامة الحياة الإِسلاميّة والحكم الإِسلاميّ إِقامةً حقيقيّة تتجاوز حدود الشعارات

لا، لا نستطيع أبداً أن نقبل بواقع المسلمين الراهن، وأنّه لا سبيل إِلى تغييره

إنّ هذا كفر بالإِسلام وبصلاحه للنهوض بالمسلمين، أو كفر بأنفسنا ودورنا في حمل رسالة الإِسلام، ونحن لا نقبل هذا الكفر أو ذاك

ومن كفر، فإن قلوبنا تنبض بالإيمان بديننا وبأنفسنا وبمستقبل الإِسلام والإِنسان

لا يمكن أن يكون هناك تحرّر سياسيّ وعسكريّ إن لم يكن هناك تحرّر اقتصاديّ، ولا يمكن أن يكون هناك تحرّر اقتصاديّ إن لم يكن هناك تحرّر سياسيّ.. ولا يمكن أن يكون هنالك أيُّ تحرّر على الإطلاق إن لم يتحرر الإنسان والمجتمع فكراً وضميراً وشعوراً وثقافة وحضارة من مختلف ضروب التبعيّة الظاهرة أو الخفيّة للشرق وللغرب، وإِن لم نستردَّ شخصيّتنا الإِسلاميّة الأصيلة، وإِرادتنا الذاتيّة الحرّة المستقلة، وقدرتنا على أن نقرّر وننفّذ في بلادنا وعالمنا وعصرنا، بعلم ووعيّ وواقعيّة واقتدار، ما نراه حقّاً وعدلاً، ومصلحة للإِسلام والمسلمين والإِنسان

يا أخي المسلم.. لقد أقاموا بيني وبينك حُجُباً من الكذب والافتراء والتزوير والتشويه، فانظرْ إِليّ ولأَنظُرْ إليك، وابسُطْ إِليّ يدك ولأبسط إليك يدي، من وراء هذه الحجب الظالمة الآثمة الزائفة، فلا بدّ أن نلتقي رغم إِرادة أعداء الإِسلام والمتاجرين بالإِسلام، ومن يسير في ركابهم من المنتفعين أو الجاهلين.. لا بدّ أن نلتقي معاً، قلوباً وعقولاً وجهوداً، لنصنع مستقبل الإِسلام العظيم

الذي يحاول الأمر العظيم قد ينجح وقد يُخْفِق، وقد يصل إِلى درجة بَيْنَ بَيْن.. أما الذي لا يحاول فهو مخفق على أيّ حال

حاولْ فالمحاولة النبيلة البصيرة هي في ذاتها -بصرف النظر عن النتائج- عملٌ جليل

حاولْ بكل ما تملك من قوّة وإِخلاص وحرص على أداء الواجب.. فستكتشف من خلال المحاولة الجادّة الصادقة نفسك وطاقتك، وستجد أنّ قدرتك وإنجازك أكبر مما كنت تُقدّر بكثير

لا يجوز لنا أن نهمل الحاضر بدعوى الاهتمام بالمستقبل، فلن يكون لنا أيُّ مستقبل إِن أضعنا الحاضر، وما يتوجّب علينا فيه من العمل

يجب علينا أن نستفيد من كل إمكانات الحاضر مع الإِعداد -وفي الإعداد- للمستقبل

اصنعْ ما يتوجب عليك اليوم، يكن لك إن شاء الله ما تأملُه أو تستحقّه في الغد، أما إِذا أهملت غراسك اليوم، فكيف تأمل أو تستحقّ في غدك جَنْيَ الثمار

ليس أصعب الأشياء أن ينهدم حكم أو وضع فاسد، فقد ينهدم الوضع الفاسد فيخلفه مثله أو ما هو شرّ منه

إنّما الشيء الأصعب والأوجب أن نكشف عن الوضع الصالح، وندلّ عليه، ونرسم إليه الطريق، ونهيئ الأسباب لقيامه بكلّ ما نستطيع

ليس المهم أن نصل إِلى الحكم بأنفسنا، ولكن بمبادئنا وأهدافنا، وبالتالي فنحن عونٌ –في حدود هذه المبادئ والأهداف– لكلّ من يحقّقها عن طريق الحكم بروحها وشمولها، بعلم ووعي وإخلاص، ويحقّق بها للناس ما يريده الإِسلام لهم من الحريّة والكرامة والعدالة والخير؛ ولا يجعلها عنواناً دون مضمون، أو ستاراً لمآرب أخرى لا يرضاها الله عزَّ وجلَّ، أو وسيلة لاستغلال رصيد الإِسلام في نفوس الأفراد والشعوب

إِنّنا لا نقبل بأن نصل إِلى السلطة بأيّ طريق، ونحتفظ بها بأيّ وسيلة، ونهدر من أجلها كلّ هدف، وكلّ مصلحة عامة، وكلّ قيمة من قيم السماء والأرض، كما يفعل بعض المجرمين الانتهازيين الذين يحكمون بعض البلاد الآن؛ فنحن أصحاب رسالة نتحرّك بهديها، ونحكم –إِن حكمنا– من أجلها، ومن أجل تحقيق مصلحة الناس بها في دنياهم وآخرتهم على كلّ صعيد

الحاكم الذي يظلم الناس ويُذِلّهم سخيف حقير

والمنافقون الذين يتملّقونه ويمجّدونه أسخف وأحقر

والشعب الذي يقبل الظلم والذلّ، ولا يغيّره بقلبه على الأقل، ولا يُعِدّ لتغييره في دنيا الواقع، ولا يَتَلَمّس لذلك الوسائل والأسباب.. شريكٌ لمن يظلمه ويذلّه في المسؤولية والإثم، وجدير بما يترل به من عقاب وعذاب، جزاءَ ضعفه وقصوره واستسلامه العاجز للطاغوت

إنّ الذين وضعتِ المصادفاتُ أو المؤامراتُ الداخلية والخارجية في أيديهم الدبّابات والمدافع، يستطيعون ببطشهم وإِرهابهم، وبمن يلتف حولهم من المنافقين والمنتفعين، أن يمسكوا بزمام الحاضر حتّى حين.. أما المستقبل فلن يكون إلاّ للمؤمنين الصادقين الصابرين، والعاملين الواعين المجاهدين، الذين يُجَسّمون عقيدة الأمة وآلامها وآمالها ومصلحتها الحقيقيّة على كل صعيد، والذين يشعرون بمسؤوليته الإِسلاميّة والتاريخيّة أرهفَ شعور، وينهضون بها على أفضل وجه

يجب أن ننتصر على الطاغوت في أنفس الناس؛ فإِذا انتصرنا عليه في أنفسهم، أمكننا أن ننتصر عليه في أرض الواقع، وأن نجد منهم على ذلك الأنصار والأعوان

❦❦❦❦❦

لا ينتصر الباطل إلاّ بضعف الحقّ، فلا تجعلوا أنفسكم بضعفكم سبباً في انتظار الباطل في بلادكم أو في عالمكم في أيّ ميدان من ميادين الحياة، وإلاّ كنتم –وإن لم ترغبوا أو تعترفوا– شركاء الباطل في جرائمه

❦❦❦❦❦

إِنّنا لن نتخلى أبداً عن الإِسلام وتعاليم الإِسلام، وعن مسؤوليّتنا الكبيرة عن أمتنا وبلادنا التي لا خلاص لها إلاّ بالإِسلام.. وكلّما ضاعت علينا المسالك، وتكاثر علينا الخصوم، وتتابعت علينا الضربات، ازددنا شعوراً بالمسؤولية، وتصميماً على أداء الواجب

❦❦❦❦❦

ليس التغيير الجوهريّ الأساسيّ هو تغيير الفروع والجزئيات الصغيرة الكثيرة التي لا نرضاها في واقعنا الراهن الفاسد، ولكنه هو أولاً وقبل كل شيء تغييرُ الموقف العقيديّ والفكريّ والنفسيّ والعمليّ من الكون والحياة والإِنسان والمجتمع، وتغييرُ البواعث والمقاصد والأهداف والمقاييس..

❦❦❦❦❦

فإِذا تمّ هذا التغيير الجوهريّ الأساسيّ استتبع ما يلائمه من الأصول والفروع والجزئيات في كلِّ مجال وفي كل زمن، على تعاقبِ الأيام، واختلافِ الأمكنة والمعطيات والظروف، ونَفَى كلَّ ما لا يلائمه من الفلسفات والتصورات والأصول والفروع والجزئيات الصغيرة التي دخلت حياتنا لأسباب مختلفة، وكانت ثمرةً لغير عقيدتنا وفكرنا ومنهجنا وشخصيّتنا وحاجتنا ومصلحتنا الحقيقيّة في الدنيا والآخرة.

❦❦❦❦❦

يجب أن تبدأ بالدعوة والإقناع والتعليم والتربية وتوفير ما يستطاع من الشروط المساعدة على التزام الإِسلام.. قبل أن ترفع السيف في وجه من لا يلتزمون بالإِسلام.

أما الذين يبتدئون بالسيف فهم -في الغالب- لا يفهمون الإِسلام، ولا ينطلقون من الإِسلام، ولا يخدمون قضيّته، ولا يحقّقون به لأمتهم وبلادهم وللإِنسانيّة كلّها، ما يريده لهم، ويقدّمه إِليهم من الخير

❊❊❊

إِنّني لا أقبل أبداً بأن يحصر وجود الإِنسان في حدود حياته الدنيوية، ومطالبه الماديّة

إنّ هذا ظلمٌ للحقيقة، وظلم للإِنسان، وإِهدار لمعنى وجوده وحياته وعمله، وجحود لروحه وعقله وأشواقه المستمرّة المجنّحة الملتهبة إِلى المُطْلَق وإِلى الخلود

❊❊❊

إِنكم لستم أَغْيَرَ من الله على دين الله، ولا أَحْكَمَ من الله في وَضْعِ الأشياء مَواضِعَها من شريعة الله، فلا تَتَنَطَّعوا، ولا تَغْلُوا في دينكم غيرَ الحق، ولا تسيئوا بمواقفكم الجاهلة أو الغالية إِلى الإِسلام والمسلمين

❊❊❊

المصالح والمنافع والمطامع والأهواء، هي مناطُ الاتفاقِ أو الاختلاف، والتأييدِ أو المعارضة عند كثير من الناس؛ أمّا الراياتُ الأخرى التي تُرفع، والأسبابُ المزوّرة التي تُعلن، فليست في الأَعَمِّ الأغلب إِلاّ مُجَرّدَ أستار ومبرّرات

ومن هنا الحاجة الماسّة إِلى أجيال ترتفع بإِيمانها وإِخلاصها وتجرّدها فوق المصالح والمنافع والمطامع والأهواء.. ترتفع بحقيقتها وواقعها، لا بمجرد الشعارات والكلمات

❊❊❊

ما أكثر الانتهازيّين الذين يؤيّدونك ويمجّدونك بمقدار ما يستغلّونك ويستخدمونك لتحقيق مصالحهم الخاصّة على حساب دينك ونزاهتك، ومصلحة الإِسلام والمسلمين، فإن أبيت عليهم ذلك، أو وجدوا مصالحهم عند سواك.. تخلّوا عنك وتنكّروا لك أو انقلبوا عليك، بمختلف المبرّرات الكاذبة، والأعذار الخادعة.. فإِيّاكَ إِيّاكَ من شِراك هؤلاء، وإِيّاكَ إِيّاكَ أن تَغْدُوَ أسيرَهم في يوم من الأيام

❊❊❊

إنّ من الناس من ينظّف ظاهره ويزيّنه للناس، ولا يبالي أن يكون باطنُه صندوقَ قمامة تحت عين الله، وأن يتحدث مع ذلك عن نقاء السريرة والإِخلاص

رجلٌ جَهِلَ الإِسلام فعاداه وعنده استعداد لقبول الحقّ إِذا تبيّن، أَرْجى عندي ممن عرف الإِسلام على حقيقته، فأظهر الإيمان به، واتخذه مجرّدَ قناع لوجهه، ووسيلة لبلوغ مطامعه ومآربه

الرجل الصالح في مظهره لا في مَخْبَرِه وسَريرته، أكثرُ قدرةً على الإضرار بك من الرجل الفاسد. إنّك لَتُعاملُ الرجلَ الفاسد فتحتاط منه فتنجو، وتعاملُ الرجلَ الصالح فتستسلم إِليه، فإِن غدر بك، ولم يكن صالحاً حقّاً، أَرْداك.. وما أقلَّ الرجال الذين يثبت صلاحهم وصدقهم على الزمن والتجارب

بعض الأشخاص يستغلّون ثقتك فيهم، وتسليمَك لهم، فيخونونك سِرّاً، ويُلْحقون بك دون مبالاة أفدح الأضرار من أجل أحقر المكاسب.. هؤلاء ليس لهم دين ولا خلق ولا شرف ولا ضمير.. وهم –من تمام البلاء بهم– من أبرع الناس في التظاهر بما ليس فيهم، وفي أداء أدوار الخداع وتكرارها دون حياء

استشِرْ ما شِئْتَ ومن شئت؛ ولكنْ لا تعتمدْ على غيرك في قراراتك المصيريّة، فأنت وحدك الذي ستحمل التبعات والنتائج، لا من اتخذوا عنك هذه القرارات

ليست مشكلة المسلمين مشكلة حكّامهم الفاسدين فقط، ولو كانوا أفضلَ لكان حكامُهم أفضل فـ «كما تكونوا يولَّ عليكم».. وإِنك لتجد في صفوف العاملين للإِسلام أنفسهم أحياناً أكثرَ ما تجده في صفوف عامّة الناس من الأدواء

لا يمسخ الإنسانيّة والإنسان شيءٌ بمقدار ما تمسخُها هذه المخلوقاتُ التي حبست نفسها في الأهواء والصغائر والتفاهات، وأغلقت على أنفسها الأبواب بالأقفال والمفاتيح

أنا لا أحبّ التفاهة في النفوس ولا في العقول ولا في الأهداف ولا في الأعمال.. فكيف إذا اجتمعت هذه التفاهاتُ كلّها في شخص واحد؟ وما أكثر من تجتمع فيهم كلُّ هذه التفاهات!

بعض الناس لا تكاد تعرف لهم على الزمن هويّةً ولا شخصيّةً واضحةَ المعالمِ بَيّنَةَ الحدود، فهم بألفِ وجه، وألفِ لسان، وألف موقف.. تختلف وجوهُهم وألسنتُهم ومواقفُهم باختلاف المنافع والمطامع والظروف..

كيف يمكن يا ترى أن يُعَبّر الإسلامُ عن حقيقته الأصيلة من خلال هؤلاء، وكيف يمكن أن يحقّق من خلالهم أهدافه العتيدة، ويشقّ طريقه المستقل المتميّز؟

ألا ما أحوج الإسلام إلى الرجال!

إنّنا نلمس أدواء المسلمين وأمراضهم بانقباض شديد، ونتحدّث عنها بألم شديد وتحرّج شديد؛ وإذا تحدّثنا عنها فلأنّنا نريد تحريرَ أصحابها وشفاءهم منها، ووقايةَ المسلمين من آثارها المهلكة، وإنشاءَ أجيال إسلاميّة طاهرةِ الباطنِ والظاهر، سليمةِ القلبِ والجسم، مُسْتَوِيَةِ السرِّ والعَلَن -إن لم يكن سِرُّها خيراً من علانيتها- مؤهلّةٍ لحمل رسالة الإسلام لساناً وجَناناً[12]، حقيقةً وشِعاراً، والارتفاعِ المتواصل إلى مستواه، ومستوى خدمته، وخدمة الإنسانيّةِ به على كل صعيد

إنّنا لا نقرأ التاريخ لمعرفة ما كان فحسب، ولكن لفهم ما هو كائن، ومحاولة استكشاف وتوقّع ما سيكون

---

(12) الجنان: القلب

الذي يقرأ التاريخ ثمّ لا يصل إلى عِبَرِهِ الباقية، ولا يضع يد على سُنَنِه المستمرّة الفاعلة، يكون قد فاته الجوهرُ واللُّباب، وإن امتلأت كَفّاه بالأصداف والقشور

من استكشف سُنَن الماضي واجه الحاضر والمستقبل بأنفع ذخيرة وأمضى سلاح

إنّ تحدّيات العالم والعصر التي نواجهها الآن على الصعيدِ السياسيّ والعسكريّ، والصعيدِ الاقتصاديّ والاجتماعيّ، والصعيدِ الفكريّ والثقافيّ.. تهدّد وجودنا الماديّ والمعنويّ أخطرَ تهديد، وعجزُنا عن استيعابها ومواجهتها يعني نهايتنا المؤكدة، وموتنا المعنويّ والماديّ على السواء

إنّ تحديات العالم والعصر لا يمكن أن تُواجَه بالجهل، أو الهرب، أو ردود الأفعال العاطفيّة، أو الأفكار الارتجاليّة السطحيّة، أو الأعمال الوقتيّة الجزئيّة، أو أحلام اليقظة والأوهام

يجب أن نستوعب ونفهم هذه التحدّيات، ونرفع أنفسنا ومناهجنا وأعمالنا ووسائلنا إلى مستوى مواجهتها الصادقة الواعية المتكافئة على كل صعيد

شَتَّانَ بينَ التفكير النظريّ البَحْت المنفصل عن الحياة والواقع والظروف، والتفكير العمليّ المتّصل بالحياة والواقع والظروف

كيف نفكّر تفكيراً عمليّاً واقعيّاً، يُلَبّي الحاجات، ويحلّ المشكلات، ويحقق التقدّم، ويستقيم مع الأهداف والمبادئ في ذات الوقت؟ هذا هو ما نحتاجه، وهذا هو التحديّ الفكريّ الكبير الذي نُواجِه

لا تلتفتوا لمفكّري الكواليس، الذين لا يُطَبّقون أفكارهم التي يهمسون بها وراء الأستار، ولا يحملون تَبِعاتها المحتمَلة أمام الناس تحت الأضواء

لا يمكن أن يكون لأيّ قُطْرٍ عربيّ أو إسلاميّ أيُّ استراتيجيّة اقتصاديّة أو سياسيّة أو عسكريّة حقيقيّة سليمة بمعزل عن الأقطار العربيّة والإسلاميّة الأخرى.. فالأقطار العربيّة والإسلاميّة كلُّها الآن عاجزة ضائعة تَخبِطُ في سيرها خَبْطَ عَشْواء، وتمشي من خلال تجزئتها وأنانيّتها وجهلها إلى العبوديّة والهلاك

إنّ كلّ دولة من دولنا العربيّة والإسلاميّة الضعيفة العاجزة تُؤْثر أن تستسلم لبعض القوى العالميّة الكبيرة استسلامَ الحملِ للذئب الذي يفترسه، على أن تتعاون بينها وتتكامل للوقايةِ من كلّ الذئاب الضارية، وبناء حاضرها ومستقبلها العقيديّ والثقافيّ والاقتصاديّ والأمنيّ المشترك، الذي لا يمكن أن يتمّ إلاّ بالتعاون والتكامل والترابط الوثيق بين مختلف هذه الجوانب

يجب أن ننهض من تحت أنقاض أنفسنا وواقعنا، ونقف على أقدامنا، ونجدّد البناء، ونتابع المسير.. فالذين لا ينهضون يتحوّلون تحتَ الأنقاض إلى جُثَثٍ وجِيَفٍ وإن تَرَدّدَتْ في صدورهم الأنفاس، ويكونُ موتُهم الماديّ النهائيّ أكرمَ لهم من هذه الحياة، وقد فقدوا فيها الرسالة والإرادة وشرف الكفاح ومغزى البقاء

إنّ الاستسلام خيانة، والتردّد هزيمة، فلم يبقَ أمامنا لنُحْرِزَ دنيانا وآخرتنا، إلاّ التصميمُ القاطع البصير، على أن نخوض معركة الإسلامِ والإنسانِ بكل أبعادها، وعلى أن نربحها في مختلف مجالاتها، وعلى أن نربط بها ونقدم لها الحياة، وكلّ الإمكانات

إنّ المؤمن ومعه الله، لا يمكن أن يكون أضعف من الكافر ومعه الشيطان، ولكن أين حقيقةُ الإيمانِ وبصيرةُ الإيمان؟!

نعم، إنّني أكتب أحياناً بعقلي وعاطفتي وكلّ ذَرّة في كياني في وقت واحد، لأنّنا نريد بعث الحياة في المسلمين من جهة، ودلالتهم على الطريق الموصل إلى النجاة والحياة الكريمة من جهة أخرى، ولا يُغْني جانب من ذلك عن جانب

إنّني لا أستطيع أن أقف بارداً كالثلج، ساكناً كالموت، أتفرّج على مآسي أُمّتي وبلادي، وانحدارِها الأليم الرهيب السريع الضياع والهلاك.. دون أي تأثر أو انفعال أو حراك

يجب أن تكون عاطفتك عميقةً كالبحر، مُتَدَفِّقَةً كالسيل، متفجّرةً كالبركان .. ثم يضبطها ويوجّهها العقل

ماذا يضبط عقلُك -يا تُرى- إذا كنتَ خامد العاطفة والحسّ؟! وماذا يُوَجّه منك وأنت أثقلُ من صخرة عاتيّة، وأشدُّ منها سكوناً والتصاقاً بالأرض

البواعثُ العظيمةُ والأهدافُ العظيمة .. هي التي تنشّط العقل وتحرّكه للتفكير والإبداع، فإذا ماتت البواعث والأهداف المنشّطة المحرّكة، أو ضعفت، خمد العقلُ نفسُه أو ضعف، وتحوّل إلى رماد أو ما يشبه الرماد

لا يمكن أن تكون مؤمناً حقّاً وأن تكون في الوقت نفسه لا مُبالياً، فالإيمانُ الحقّ واللامبالاةُ لا يلتقيان بحال من الأحوال

أكثر المسلمين في واقعهم صورةٌ أليمةٌ فاجعةٌ للاّمبالاة الواقعيّة؛ فلا تَغُرَّنّك كواذبُ الشعارات، وخوادعُ الكلمات، التي لا يربطها بحقيقة أصحابها أدنى رباط

كيف نهزُّ قلوبَ المسلمين وضمائرهم الميّتة أو المخدّرة، ونفجّرُ فيها ينابيع الحياة والنشاط والشعور بالمسؤوليّة، لتكون طاقاتهم كلّها في خدمة الإِسلام والمسلمين، وخدمة الحقّ والإِنسان في كلّ مكان؟.. هذا هو أحد التحدّيات الكبيرة التي تواجهنا، وهذا هو أول الطريق الحركيّ لكلّ ما نَنْشُدُ لأنفسنا ولسائر البشر من الفوز والخير

لو كانت حياتُنا على مستوى كلماتِنا لكنّا سادةَ العالم، ورادةَ البشَر إِلى خير الدنيا والآخرة

من المحزن والمخزي ألاّ تكونَ حياتُنا على مستوى كلماتِنا، وأكثرُ مَدْعاةً إِلى الحزن والخِزْيِ أن تكون حياتُنا نقيضَ كلماتِنا وتكذيباً لها على كلّ صعيد، كما نُشاهد عند كثيرٍ من الرؤساء والزعماء وعامةِ المسلمين في كثيرٍ من الأوقات والمناسبات

ما أقربَنا إِلى المثاليّة في الأمور البعيدة عنّا، التي لا نحملُ مسؤوليّةَ ما نقوله أو نعملُه فيها، ولا يرتبطُ بها أو يصيبُنا من ورائها نفعٌ لنا أو ضرر

وما أبعدَنا عن المثاليّة في الأمور القريبة مِنّا، التي يرتبط بها نفعُنا وضررُنا، ونحملُ تَبِعَةَ كلِّ موقفٍ نقفه منها، وكلِّ كلمةٍ نقولها فيها

الفرد الذي ينظر إِلى مصلحته الدنيويّة المباشرة وحدها، ولو تعارضت مع مصلحة أمّته وبلاده، ومصلحة الإِنسانيّة والإِنسان على المدى القريب والبعيد.. انتهازيٌّ أنانيٌّ خَطِر كلَّ الخطورة على مجتمعه وعالمه، وعلى مستقبل البشر

تُرى كم من الانتهازيّين الأنانيّين يتحكّمون في مصائر العرب والمسلمين، ومصائر غيرهم من شعوب العالم الآن؟!..

إِنّنا نحبّ الناس، ولذلك فإِنّنا نحبّ لهم ما نحبّ لأنفسنا من الهداية والخير
أمّا الذين يكرهون الناس، ولا يحسّون بالوَشائج الإِنسانيّة التي تربطهم بهم، فلن يكونوا قادرين على حملِ دعوةِ الحقّ، وتجسيدِها، والوصولِ بها إِلى القلوب والعقول

لا تُسيئوا إِلى الإِسلام بأحكامكم غيرِ الإِسلاميّة على الناس، وأخلاقِكم غير الإِسلاميّة في التعامل مع الناس، فهذا خيانة وظلم للإِسلام ولمن تَدَّعون الحكمَ عليهم والتعاملَ معهم بالإِسلام، وصدٌّ آثم عن سبيل الله عزَّ وجلَّ

قبل أن تلوموا الغربيّين الذين لا يعرفون الإِسلام، لوموا أنفسكم أَنّكُم لم تُعَرّفوهم بالإِسلام، ولم ترفعوا أنفسَكم بعدُ إِلى مستوى القدرة على هذا التعريف، لا بعملكم واهتمامكم، ولا بأقوالكم وأعمالكم، فأنتم المسؤولون قبلَ غيرِكم وأكثرَ من غيركم عن هذا الجهل، وعن آثاره الوبيلة علينا وعليهم وعلى الإِنسانيّة والإِنسان في كل مجال

إِنّ التقدّمَ العلميّ والتكنولوجيّ مع التخلُّف الروحيّ والخُلقيّ هو نهاية البشريّة أو نهايةُ ما فيها من حقّ وخير وجمال..
ومن هنا حاجةُ البشريّة كلّها، وواجبُنا ودورُنا الكبير الأصيل، أَنْ نقدّم إِلى البشرية ما تحتاجه وتفتقر إليه من هداية الله عزَّ وجلَّ في أمور آخرتها ودنياها، وأن نرفع أنفسَنا وإِمكاناتِنا وجهودَنا إِلى مستوى أداءِ الواجب والدور الإِنسانيّ والإِسلاميّ والتاريخيّ العظيم

إِنّنا بحاجة إِلى الاقتناع العميق بصِحَّةِ نهجنا وضرورته، وأنّه هو سبيلُنا إِلى خير الدنيا والآخرة
إِنّ هذا الاقتناع العميق هو الذي يُوَلِّد في أنفسنا الثقةَ والشجاعة، ويدفعنا إِلى العطاء والتضحيات، ويساعدنا على الثبات والصبر والاستمرار..

أمّا الفوراتُ العاطفيّة الجاهلة، ورُدودُ الفعلِ السطحيّة الصاخبة، فهي نار تلتهب بسرعة، وتنطفئ بسرعة، وتحورُ إلى رماد

نعم، إنّنا بحاجة ماسّة أن نمتلك أَزِمَّةَ التقدّم العلميّ والتكنولوجيّ، وأن نصل في هذا المضمار إلى أبعد مداه أو أبعد ما نستطيع، وأن نفعل ذلك دونَ غفلةٍ أو قصورٍ أو فتور، وأن نُوَفِّرَ له كِفاءَه من التصميم القاطع والوسائل والجهود.. ولكنْ يجب علينا ألا نَنْسى، قبل ذلك وبعد ذلك، أنّ مهمَّتَنا الكبرى، ورسالتَنا العُظمى، ودورَنا الأول، وإسهامَنا الأَخَصَّ في حياة البشَر، وحضارة البشر، أنْ نحمل إليهم بأقوالنا وأعمالنا وواقعنا العقيدةَ والقِيَمَ والضميرَ الحيّ.. أَيْ أن نحملَ إليهم رسالةَ الإسلامِ الخالدةَ من جديد

يجب علينا أن نقيمَ دولةَ الإسلام وحكمَ الإسلام، ولكنْ يجب ألا نَربط مصيرَ الإسلام وانطلاقَه كلَّ الربطِ بقيام هذه الدولة، وأن نكون قادرين بعلمنا ووعينا والتزامنا، وسائر صفاتنا، على إبراز صورته الحقيقيّة النقيّة لمجتمعاتنا وللعالم، وعلى أن نصل به إلى أعلى المنازل في عالم الفكر والضمير حيثما كنا من الأرض

يجب أن نُحَقِّقَ انتصارَ الإسلام، ونحفظَ له صورته الأصيلة الناصعة الرائعة في كلماتنا وحياتنا وواقع أمتنا وبلادنا، فإن عَجَزْنا عن تحقيقه في واقع أمّتنا وبلادنا الآن، فلا أقلَّ من أن نحتفظ به لأجيالنا المقبلة في كلماتنا وحياتنا وسلوكنا حيّاً متطوّراً مُقْنِعاً مُؤَثِّراً، ليفهموه ويعيشوه ويحملوه ويتابعوا به ومن أجله المسير

إنّ مستقبلَ الحركةِ الإسلاميّة، ومستقبلَ العربِ والمسلمين، يرتبطُ إلى حدٍ بعيد، بتكوينِ أعدادٍ كافيةٍ من القيادات الإسلاميّة المؤمنة الغيورة المجاهدة المختصّة المؤهَّلة للقيادة في مختلف جوانب العمل والحياة، في بلادنا العربية والإسلاميّة، وفي عالمنا وعصرنا، على حدٍ سَواء.. وليس لنا من ذلك الآن –وا أسفاه– شيءٌ يُذكر

إنّ مستقبل الإِسلام والمسلمين لا يمكن أن يُصْنَع في إطار تنظيم واحد، حتّى على الصعيد الفكريّ والتربويّ، فنحن بحاجةٍ إلى أعدادٍ وافرة من العناصر المختصّة المؤهّلة الفاعِلة، والقابليّاتِ الكبيرة للنموّ والتفتّح في كلّ مجال، ولا يتوفّر ذلك في إِطار تنظيمٍ واحد من التنظيمات القائمة، فلا بدَّ من الانفتاحِ على سائر المسلمين، ومحاولةِ إِيقاظهم، وتفجيرِ سائرِ فضائلهم وطاقاتهم، ولا بدَّ من تآزر الجهود المخلصة الواعية، وتكامُلِها كلِّها في هذا السبيل

❦❦❦❦❦❦

إِنّك تُطالب غيرَك بكلّ حقٍّ تعلمُ –أو تتوهمّ– أنّه لك، ولا تُطالب نفسَك بأيِّ واجبٍ لغيرك عليك وتتذكّرُ كلَّ إساءةٍ أساءها –أو تتوهّم أنّه أساءها– سواك، ولا تتذكرّ أيَّةَ إِساءة أسأتَها أنت لسواك.. فأينَ العدلُ عندك والإِحسان؟! وهما قِوامُ الإِسلام، وقِوامُ الحياة

لو أدَّى كلُّ فردٍ من أفرادِ المجتمعِ واجبَه، لَظَفِرَ كلُّ فردٍ من أفرادِ المجتمع بحقّه، فانقطع بينهم كثيرٌ من أسبابِ النزاعِ والصراعِ والشرّ، وانصرفوا بنفوسهم وجهودهم إِلى العمل والإنتاج، وتحقيق ما يَنْشُدونه من الخير المشترك، بوئام وسلام وانسجام

❦❦❦❦❦❦

مَنْ لي بناسٍ يحرِصون على أداء الواجب في كلّ وقت، وينهضون به دائماً على أفضل وَجْه، ولو جَحَدَهم غيرُهم كلَّ حقّ، وبَخَسهم كلَّ جهد.. أولئك هم طلائعُ التغييرِ المنشود، والمستقبلِ الإِسلاميّ الكريم

❦❦❦❦❦❦

مِنْ مكارم الأخلاق: أن يَعْظُمَ عندك خطؤك، وأن تتجاوز عن أخطاء الآخرين

❦❦❦❦❦❦

مِنْ مساوئ الأخلاق: ألاّ تَرى إِلاّ محاسنَك وعيوبَ سواك

❦❦❦❦❦❦

بعض الناس لا يقبلونَ الحقَّ ولا يُوالونَ رجالَه إلاّ إذا كان معهم أو وراءهم مكاسبُ الدنيا..

ألا ما أحوجَنا إِلى الرجال الذي يَرَوْنَ الحقَّ نفسَه، ويرون الجهادَ به ومن أجله، والتضحيةَ في سبيله، أعظمَ كسبٍ يظفرُ به الإِنسانُ في رِحلة الحياة

***

كيف تُعِدُّ نفسَك لِحَمْل الإِنسانيّةِ كلِّها على كَتِفَيْك، إِذا كنتَ بحاجةٍ إِلى من يَحْمِلُك في كلِّ خطوةٍ صغيرةٍ أو كبيرةٍ على كَتِفَيْه؟!

***

لا أستطيع دونَ مساعدتك أن أصنع شيئاً.. فأنت شريكي في المسؤوليّةِ إِنْ عَجَزْتُ عن تحقيقِ ما اتفقنا عليه

***

ما أحقَرَ الذين تنحصِرُ قيمتُهم بما يملكونه من مالٍ أو سلطان! فإِذا ذهب المالُ والسلطانُ لم يبقَ لهم، و لم يبقَ منهم، شيءٌ على الإطلاق

***

هل تستطيع أن تكسِرَ قيودَ الموروثاتِ والعاداتِ إِنْ تعارضتْ مَعَ هدايةِ الله عزَّ وجلّ؟

لا بدّ أن تتحرّر من هذه القيودِ المرهِقَةِ المعوِّقَةِ إِنْ أردتَ أن تسلكَ سبيلَ الله بالواقعِ لا بالكلامِ والأحلام

***

بعض الناس يفهمونَ الحريّةَ تَفَلُّتاً من كلّ قَيْد، واستباحةً لكلّ حرام، وَوُلُوعاً بما يُلحق بهم وبمجتمعهم أفدحَ الأضرار، ولا يرونها التزاماً ذاتيّاً اختياريّاً بالحقِّ والواجب، وعملاً إِراديّاً إِيجابيّاً يحقّقون به لأنفسهم ولمجتمعاتهم الخير، ولو قامت في وجوههم مختلفُ الموانع والعقبات

ألا ما أحوجَنا إِلى الحريّة الحقيقيّة الإِيجابيّة المسؤولة، وما أَقَلَّ من يستحقّون من أدعياءِ الحريّةِ أنْ يُوصَفوا بالأحرار

***

لا يكفي أن تكون لنا أهدافُنا العظيمة، ولكنْ يجب أن نعرفَ كيفَ نحقّقها في الواقع

لا يكفي أن تكون مثاليّاً، ولكنْ يجب أن تكون أيضاً فَعّالاً، وإلاّ لم يتحقّقْ لك ولا لغيرك شيءٌ من هذه المُثُل

ما أتعسَ البشريّةَ إذا كانت أمورُها ومصائرُها بأيدي أفرادٍ أو دُوَلٍ يملكون القوّة، ولا يملكون معها الوعْيَ، أو لا يملكون معها الضمير

لماذا تَضيق بلادُ العرب والمسلمين بعربيّ مسلم لأنّه حرٌّ لا يرتضي القيود، أَبِيٌّ لا يقبل الخنوع، صادقٌ لا يعرف الرياء والنفاق، مستقيمٌ لا ينحرف به عن منهج الحقّ رغبةٌ ولا رهبةٌ ولا مسايرةٌ لطاغوت؟!
هل انقلبت المقاييسُ والأمور فأصبحت فضائلُ العروبة والإسلام جرائمَ على أرض العرب والمسلمين؟! وغدت رذائلُ العبودية والهوان والكذب والخداع والانحراف فضائلَ هذه الأيام؟!

ألا ما أبشعَ وأفظعَ ما صنعَ الطغاة! وما أفسدوا من القِيَم والمقاييس! وما أوقعوا بالبلاد والعباد من الخراب والبلاء!..
وما أعمقَ وأشملَ التغييرَ الواجب علينا الآن في الأنفسِ والأفكارِ والأخلاقِ ونُظُمِ الحياة!

إذا رفض الظلمَ «الحقيقيّ أو الموهوم» يهوديٌّ أو نصرانيٌّ في بلاده أو في أيّ مكان آخر من الدنيا، فهو «في الغرب» حرٌّ، بطل، خادم للإنسانيّة والإنسان، يستأهل التقدير والتمجيد، والحماية والتأييد
وإذا رفض الظلمَ «الحقيقيّ» مسلمٌ «حقيقيّ» في بلاده أو في أيّ مكان آخر من الدنيا، فهو «في الغرب» إرهابيٌّ، مُخَرّب، خارج عن القانون، مُضِرّ بمصالح البلد المضيف، جدير بالكراهية والتنديد، والتهديد والوعيد، وتقييد الحريّة وإهدار الدم.. إلاّ إذا باع نفسَه وقضيّته فتحوّل إلى عميل، أو التقت خُطاه في مرحلة من المراحل مع مصالحهم في تلك المرحلة

هذه هي الحريّة، وهذه هي المساواة، وهذه هي العدالة، وهذه هي حقوق الإِنسان عند بعض الجهات في بلاد الغرب[13]!!.. وهذا هو جزء صغير من مأساة المسلم الحرّ في هذا العالم والعصر

لا يعيبُ الغريبَ الشريد الطريدَ المريضَ الذي سُدَّتْ في وجهه آفاقُ الأرض.. أن يُظْلَمَ فيُقَيَّدَ لسانُه وقلمُه، وتُحَدَّدَ حريّتُه؛ إِنّما يعيب ذلك الذين ظلموه وقيّدوه، وحرموه حريّته دونَ حقّ، وبخاصّة إِن كانوا من المتحضّرين المتمدّنين، الذين ينادون صباح مساءَ بالحريّة وحقوق الإِنسان

قد يكونُ المؤمن وحيداً، ويكونُ ضعيفاً، ويكونُ في يديه وقدميه الأغلالُ والأَقْياد، وعلى عنقه سيفُ الجلاّد، ولكنّه مع ذلك كلّه لا يفقد شعورَه بأنّه أقوى من الطاغوت، ولا تصميمَه على متابعة طريقه إِلى الجنّة أو النصر

إنّ إِرادةَ المسلم الصادق من إِرادة الله عزَّ وجلَّ، ومن قضائِه وقدرِه الذي لا يُرَدّ، فكيف تنكسِر إِرادتُه أو تتثلّم في مواجهة الباطل والشرّ؟!

إنّ المسلم الحقّ هو وارثُ الأنبياء، وأمينُ الله على رسالته في الأرض، فكيف يتخلّى هذا المسلم عن أمانته الغالية، وإِرثه العظيم، وعن النهوض بواجبه الكبير، الذي يرتبط به مستقبل البشر في الدنيا والآخرة؟!

إنّ الحقّ نؤمنُ به، ونجاهدُ من أجلِه، أقوى من كلِّ حصارٍ محليّ أو عالميّ، وأقوى من القيود التي يُكَبِّلوننا بها، ومن الموت نفسِه إِن نزل بنا ما يُرادُ من الموت.. ولا بدَّ أن تصلَ كلماتُنا من وراء الأسوارِ والأغلالِ إِلى

---

(13) ولا أقول عند الجميع

الطلائع الإِسلاميّة التي تَنْشُدُ الحقّ، وتعرفه وتلتزمه إِذا استبان، وأن يُثْمِرَ في قلوبها، وعقولها، وحياتها، وحياة المسلمين بها، أطيبَ الثمار

❦❦❦❦❦

لا تَنْشَغِلوا كثيراً -أيها المسلمون- بمقارنةِ كلٍّ منكم نفسَه، في هذا الواقع المتخلّف العاجز، بمن هو أكثرُ منه تخلُّفاً وعجزاً، وأقلُّ منه -في ظنّه- إِخلاصاً وتجرُّداً، أو علماً ووعياً، أو تصميماً وعملاً.. فليس يفيدنا في شيء أن نكون عمالقة في مواجهة بعضِنا بَعْضاً، أقزامٌ في مواجهة العالم والعصر

❦❦❦❦❦

يجب ألاّ يَغُرَّكم إِعجابُ بعضِ الجاهلين، وثناءُ بعضِ المنافقين أو المجاملين، ولا ما قد تُحْرِزونه في بعض الأوساط والأحوال من نجاحٍ سطحيّ وقتيّ لا يقوم على أساسٍ صحيح، وعليكم أن تغوصوا باستمرار إِلى أعماق الأمور، وأن تضعوا أقدامكم أكثرَ فأكثرَ على صخور الحقائق، وأن تمدّوا أنظاركم وأفكاركم إِلى ما هو أبعدُ من مكانكم المحدود، ومن زمانكم الراهن، وأن تجاهدوا دوماً لتكونوا على مستوى رسالتكم الخالدة، وحاجاتِ أمّتكم وبلادكم، وعالمكم وعصركم، في الحاضر والمستقبل على كل صعيد

❦❦❦❦❦

إِنّنا بحاجة إِلى استراتيجيّة إِسلاميّة شاملة، تستوعب حاجاتِ الإِسلام والمسلمين والإِنسان، في بلادنا وعالمنا وعصرنا، وتنبثق من تعاليم الدين والحياة، وحقائق التاريخ والجغرافيا، ومن عِبَر الماضي، ومُعْطَيات الحاضر، ورؤى المستقبل..

ونحن بحاجة إِلى قيادات وكَوادر وأجهزة مناسبة، تَعي هذه الاستراتيجية، وتعرف لِمَ كانت، وكيف كانت، وتستطيع أن تستخدمها وتقوّمها وتطوّرها في ضوء المبادئ والحاجات والمتغيرات والتجارب

❦❦❦❦❦

يجب أن يكون في برنامجنا مكانٌ ودورٌ لكل مسلم مهما كانت إِمكاناته وظروفه، وأن نحسن الاستفادة من مختلف الطاقات في بناء الحاضر والمستقبل، فإِعدادُ العناصر القياديّة المختصّة المؤهّلة -على أولويّته وأهميّته القصوى- إِنّما هو حلقة في سلسلة العمل، وليس كلّ العمل، ولا بدَّ أن تتكامل معه سائر الحلقات، وأن يؤدّيَ دوره التخطيطيّ والتطويريّ والتنفيذيّ الشامل المستمرّ على أكمل وجه ممكن

الإِسلام إِخلاصٌ وتجرّدٌ، علمٌ وفكر، وإِرادةٌ وعمل.. ولا بدَّ أن تجتمع هذه العناصر وتتكامل في الفردِ المسلم، والجماعة المسلمة، ليؤدّوا دورَهم الواجب في بلادهم وعالمهم وعصرهم، فإِذا فُقِد عنصرٌ من هذه العناصر الأساسيّة، أو اختلّتْ بينها النِّسَبُ الطبيعيّة، عجزوا عن أداء دورهم المطلوب، وخسروا بذلك، وخسرت الإِنسانيّة، أعظمَ الخَسار

طلب المسلمون الأوّلون الآخرة، فظفروا بها، وظفروا معها بالدنيا

وطلب المسلمون المتأخّرون الدنيا، فأضاعوها، وأخشى أن يكونوا قد أضاعوا معها –والعياذ بالله– الآخرة

يا أخي المسلم

إِنّ نجاحك هو نجاحي، وفشلك هو فشلي، ومصيرك هو مصيري .. وإِن اختلفت بيننا التنظيمات وعناوين الحركات؛ فلماذا لا تجتمع ولا تتكامل جهودُنا في معركة الإِسلام والإِنسان؟!

يا أخي المسلم هذه هي يدي مبسوطة إِليك، فابسط إِليَّ يدك.. ولنمض معاً جنباً إِلى جنب على طريق الإِسلام العظيم، والمستقبل الإِسلاميّ والإِنسانيّ المأمول

إِنّنا بحاجةٍ ماسَّةٍ إِلى إِعادةِ بناءِ الإِنسانِ المسلم، والمجتمعِ المسلم، وَفْقَ هدايةِ اللهِ عزَّ وجلَّ من ناحية، ووَفْقَ حاجاتِ الإِسلامِ والمسلمين، وحاجاتِ العالمِ والعصر، وحاجاتِ الحاضرِ والمستقبلِ من ناحيةٍ أخرى

هذه هي مهمَّتُنا التربويّة الكُبْرى التي لا يستوعبُها ولا يقدرُ عليها كثيرٌ من المسلمين، والتي تحتاج في استيعابِها والنهوضِ بها إِلى مختلفِ الاختصاصاتِ والطاقات، وإِلى جهودِ أولي العَزْم من عمالقة المربّين، والتي يتوقّف عليها مصيرُنا –ومصيرُ البشرِ في اعتقادِنا– إِلى حَدٍّ بعيد

إنّ التربيةَ بمعناها العميقِ الواسعِ الشامل، جهدٌ مستمرٌ متطوّرٌ متجدِّدٌ، لا يجوز أن ينقطع أبداً، أو أن يضعف، في أيِّ جانبٍ من جوانبِه، في حياةِ الفردِ والمجتمع، على كلِّ صَعيد؛ فإِذا انقطع أو ضعُف، فهو نذِيرُ التراجعِ والتخلّف، والتفكُّكِ والضياعِ والهلاك

إِنّنا نرفضُ من أوضاعِ البيئةِ الاجتماعيّةِ كلَّ ما يتناقضُ مع روحِ الإِسلامِ ومبادئه وقواعده، فلا بُدَّ من إِصلاحِ البيئةِ الاجتماعيّةِ أو إعادةِ صياغتها حَسْبَ مُقْتَضَياتِ الإِسلام، ليكون لنا حياتُنا الإِسلاميّةُ الطبيعيّةُ السليمة، وما نَنْشُدُه من السلامةِ والسموِّ والتقدّم والخير

لا بُدَّ من إِصلاحِ الإِنسانِ لإِصلاحِ المجتمع، ومن إِصلاحِ المجتمعِ لإِصلاح الإِنسان، فهما عَمَلانِ مُتَكامِلانِ لا مُتَناقضان، ولكنّ البَدْءَ فيهما لا بدّ أن يكون من الإِنسان وبالإِنسان

يجب ألا نلتمسَ في أخطاء الآخرين وقُصروهم عذراً لأخطائنا وقُصورنا وعجزنا عن تحقيق أهدافنا وقيامنا بواجبنا على أفضل وَجْهٍ مَمكن، وألاّ نعذرَ أنفسَنا أبداً إِنْ قَصَّرْنا في القيام بواجبنا التاريخيّ الكبير، ولو قصر في ذلك أو تركه سائرُ الناس، ولو لم يحاسبْنا عليه أو يَلُمْنا فيه أيُّ مخلوق

لا يكفي أن نَصِلَ بالناس إِلى رفض المبادئ والمذاهبِ والمناهجِ الضالّةِ المنحرفةِ لننجح، ولكنْ يجب أن نَصِلَ أيضاً إِلى رسم خطوطِ المنهجِ الإِسلاميّ الأصيلِ بعمقٍ وواقعيةٍ ووضوح، وإِلى إِقناع الناس به، وحشد جهودهم كلِّها، وتركيزها، وتنظيمها، لتحقيقه على كلِّ صعيد، على أحسن وجه، وأقوم سبيل، وأقصر زمن ممكن، وأَقَلِّ كُلْفَةٍ وجُهد

أَنْ نُحَرّكَ أَلسُنَنا بحاجتنا إِلى استراتيجية إِسلاميّة علمية واقعية، وأن نشعرَ بذلك حقيقةً ونؤمنَ به ونسعى إليه، وأن نمتلكَ القدرة على النهوض به على الوجه المناسب، وأن ننهضَ به بالفعل فيكون لنا هذه الاستراتيجية المأمولة المطلوبة.. أمورٌ مختلفة ما بين أولها وآخرها بُعْدُ السماءِ من الأرض

ما أسهلَ الكلامَ وأصعبَ العملَ والإنجاز! وما أكثرَ المتكلمين، وأقلَّ العاملين الصادقين، وأندرَ من ينجزون ما يَعِدون، ويُتِمّون ما يبدؤون، ويصمدون إلى آخر الشوط مهما كانت الظروف!

إنّ الذين يدفعونك إلى المغامرات والمخاطرات الجاهلة الطائشة، هم أسرعُ هرباً من التَّبعات، وتحمّل المسؤوليات، إذا جدَّ الجِدّ، أو أخطأ السَّعْيُ، وتبيّن وجهُ الفشل، فلا تغترّ بالغيرة الزائفة، والحماسة الخادعة، والشجاعة الكاذبة، في اتخاذ المواقف، ومواجهة الأحداث

أخطر الأشياء ألا يكونَ عندك مُخَطَّط واقعي أصيل سليم لتحقيق ما تريد، أو أن يتحوّلَ هذا المخطط بجموده وتحجّره وعجزه عن النمو والتطور، ومواكبة المستجدّات والمتغيّرات.. إلى قيد من جديد، يُكبِّلك ويسجنك، ويمنعك من التقدّم والاستدراك والإبداع، بدل أن يساعدك باستيعابه وتطوّره وتجدّده على إدراكٍ أفضل لمختلف المُعْطَيات والتحدّيات، واستجابةٍ أكمل لجميع المطالب والحاجات، وخُطىً أهدى وأقومَ وأسرعَ على طريق المقاصد والأهداف

هنالك من يسألنا عن منهجنا الاجتماعيّ والاقتصاديّ التفصيليّ إذا وصلنا إلى الحكم يوماً من الأيام!

كيف يمكن أن يوضع الآن منهج اجتماعيّ واقتصاديّ تفصيليّ لتطبيقه بجزئياته بعد سنوات تقصر أو تطول، في عالم لا تَكُفّ مُعطياته الاقتصاديّة والاجتماعيّة والعلميّة والتكنولوجيّة والسياسيّة والعسكريّة عن التغيّر المستمرّ؟! إن هذا ما لا يفعله أو يطالب به إلاّ مغرض أو جاهل أو مجنون

عندما انهزمتِ الألوفُ التي اختلفتْ مقاصدُها ودوافعها، وأخذها العُجْبُ بعَدَدِها وعُدَدِها يومَ «حُنَيْن»، ثبت رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، وثبت بثباته آلُه وخواصُّ أصحابه، وثبت بثباتهم الإسلام، وتحولت بهم الهزيمة المذهلة إلى نصر مذهل

تُرى أين من يَثْبُتُ الآن في هزائمنا الماديّة والمعنويّة في كلّ مكان، وعلى كلّ صعيد، ثَباتَ محمدٍ وآله، وخواصِّ أصحابه؛ لِيَثْبُتَ بهمُ الحقّ، ويَثوبَ إِليهمُ المنهزمون، ويَأْوِيَ إليهم الضائعون والحائرون، وتتحوّلَ بهم الهزائمُ عَبْرَ الإيمانِ والوعي والجهاد والتضحية والزمن.. إِلى انتصارات

ما أبعد الفرق بين قيادات يَثْبُتُ بها المسلمون في الشدائد والنوازل، وتَبُثُّ حولها حيثما تحرّكت أو تكلّمت الثقةَ والشجاعةَ والأمل، وقيادات ينهزم بها المسلمون ماديّاً ومعنوياً، ولا تبثُّ حولها إِلاّ الشكَّ والخورَ واليأس والاستسلام

إِنّنا ننادي في هزائم المسلمين التاريخية الراهنة الفاجعة، بما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم «يومَ حُنَيْن» عمَّه العباس رضي الله عنه بأنْ ينادي:

«يا مَعْشَرَ الأنصار، يا أصحابَ السَّمُرَة[14]، يا أصحاب سورة البقرة»، فعندما ينهزم «الكَمّ» ويجرف السيلُ الغُثاء، لا بدّ أن نرتكن إِلى «الكيْف» وأن نعتمد عليه، وأن ننطلق منه لمدافعة الظلم والعدوان والطغيان، وبناء المستقبل الإِسلاميّ والإِنسانيّ الكريم؛ فأنصارُ الله الحقيقيّون الواعون الصادقون الذين أخلصوا لله عزَّ وجلَّ، ونصحوا لكتابه ولرسوله، وربطوا مصيرهم برسالته ودعوته، وبذلوا أنفسهم طائعين مختارين في سبيله، هم حصونُ الدعوة، ومصابيحُ الهداية، وعمد البناء والتربية والإِعداد، وطلائع الجهاد والتضحية والنصر، ومحاور التجمع الإِسلاميّ الكبير السليم، وضمانة نقائه وسلامته واستقامته واستمراره في الحاضر والمستقبل على كل صعيد

إنّ التغيير عندنا لا ينحصر في تبديل حكام بحكام، ونظام خارجيّ بنظام، ولكنّه تغيير شامل في النفوس والعقول والمجتمعات، والقيم والمقاييس والمناهج..

تغيير ينبع من أعماق النفوس والعقول، وتُهَيّأُ له شروطُه النفسية والاجتماعيّة؛ ليتحقّق ويبلغ مداه البعيد المأمول

---

(14) الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان، وقد بايع من حضرها رسول الله صلى الله عليه وسلّم على ألاّ يفروا حتى يموتوا بين يديه أو ينتصروا على المشركين

وهذا لا بدّ له من إيمان عظيم، ووعي عظيم، وإرادة عظيمة وجهد عظيم

أمّا التغيير الجزئيّ الفرعيّ، والسطحيّ الخارجيّ، والعَرَضيّ الموقوت، فليس هو هدفنا الأساسيّ الأصليّ الذي نعمل له ونسعى إليه، وإن مارسناه أو رحبنا به في بعض الأحيان والظروف

يجب أن نتغيّر نحن أولاً تغيّراً حقيقيّاً عميقاً شاملاً؛ لنسهم في عملية التغيير الحقيقيّ العميق الشامل، ولن نتغيّر إلا بالعلم والإخلاص والإرادة والتزام الحقّ والواجب في مختلف المجالات والظروف

فالتغيُّر والتغيير ليسا شيئاً سهلاً يُنال بالأماني، أو يتحقّق بمجرّد الكلمات والشعارات، ولكنهما جهاد صادق خالص بصير مستمرّ في النفس والسلوك على كلّ صعيد

ألا ما أكثرَ من ينادون بالتغيير أو يرغبون في التغيير! وما أقلَّ من يسلكون إليه طريقه الصحيح، ويقدّمون فيه الجهد المطلوب

إنّني لأخشى أحياناً -واللهِ- أن ينقطع ما بيننا وبين كلماتنا وشعاراتنا؛ أن تكون كلماتنا وشعاراتنا في السماء، ونكون بواقعنا في الحضيض، وأن نألف هذا التناقض والانفصام، ونتعايشَ مع هذا الرياء والنفاق العمليّ، فلا نتغَيَّر حقيقةً بالإسلام، ولا نُغَيِّر حقيقةً بالإسلام، وأن نخسر بذلك -لا سمح الله- الدنيا والآخرة

فالصدقَ الصدقَ، والعزمَ العزمَ، والجهادَ الجهادَ يا شباب، ففي ذلك شرف الحياة، والفوز المبين في الدارين

لا يمكن أن يتمّ في مجتمعنا تغييرٌ إسلاميّ جذريّ شامل سديد مع إغفالِ المرأةِ المسلمة، أو تركِها على ما هي عليه من الجهلِ والتخلّف والهوان، والاشتغالِ بالصغائر والتفاهات، والبعدِ عن جلائل الأمور.. فلا بُدَّ من المرأة المسلمة المؤهَّلة مع الرجلِ المسلم المؤهَّل، ومن تكامُلِهما وتعاونهما الوثيق البصير؛ لتغيير واقعنا الفاسد، وإعدادِ أجيالنا المقبلة، وبناء مستقبلنا المأمول

لم يعد بإمكان الأب أن يربّي أبناءه تربيةً صالحة وهو جاهل بحقيقة المشكلات التي يتعرضون لها في حياتهم ومجتمعهم، وبالحلول الإسلاميّة العملية الممكنة لهذه المشكلات..

وإذا عجَزَ الأب -وهو غالباً سيعجِز- فلا بدّ من تتكامل في ذلك جهود الآباءِ والأمهاتِ والأسرِ، ومن أن ينهض المجتمع الإسلاميّ كلُّه، متكاتفاً بعضُه مع بعض، بهذا الدور الخطير الجليل

متى تتحوّل جماهيرُنا تحوّلاً حقيقيّاً واعياً إلى الإسلام الحقِّ كما أنزله الله عزَّ وجلَّ؟ فالمسلمُ الحقُّ جَبَلٌ راسخ تتحطَّم على جوانبه هُوجُ الأعاصير

أمّا المسلمُ الحاليّ الهَشّ، فخطراتُ النسيمِ تميلُ به ذاتَ اليسار وذات اليمين، وأبسطُ الرياح تُحَطِّمه أو تقتلعه من الجذور

لا تخافوا من العُزْلةِ والوحدةِ على صراطِ اللهِ المستقيمِ، فكلُّ مسلمٍ صادقٍ يفهمُ الإسلامَ ويلتزمُه سيكونُ معكم عاجلاً أو آجلاً على نفسِ الطريق

كاذبون همُ الحكّامُ الذين يدَّعون أنّهم يصنعون حُرِّيَّةَ الوطنِ بإهدارِ حريّةِ المواطنين، وكرامةَ الوطنِ بإهدارِ كرامةِ المواطنين، ومستقبلَ الوطنِ المُشْرِق بإشاعةِ ظلامِ الجهلِ واليأسِ في القلوبِ والعقولِ والأبصار

إنّ الحكامَ الدكتاتوريينَ يرمُزون بمجرّدِ وجودِهم إلى خنوعِ الشعوبِ وهوانِ الشعوب.. وإلى انتصارِ البندقيّةِ والدبّابةِ والقوّةِ المادّيّةِ الفاجرةِ على العقلِ والمنطقِ والقانون، وعلى الروحِ والخُلُقِ والضمير

إنّ حركتنا عريقةُ المُنطَلَقَاتِ، مُسْتَقْبَلِيَّةُ الآفاق، تهدفُ إلى تحقيق مصالح العرب والمسلمين بهداية الإسلام، وتحقيق مصالح البشرِ كلِّ البشرِ في الحاضر والمستقبل، وتوجيه كلّ ما سَخّره اللهُ تعالى للإنسان في السموات والأرض لهدايته ووقايته وخدمته ومصلحته وسعادته في الدارين

إذا كانت جذورُ حركتِنا تَضْربُ في أعماق التاريخ الماضي، فإنّ سُوقَها وغصونَها تمتدُّ في الحاضر والمستقبل، وستجدُ الإنسانيّةُ على الدوامِ في ظلالِها الأمنَ والسلام، وتجتني من ثمارِها خيرَ الدنيا والآخرة على السواء

يجب أن نَفهم النصوصَ في ضوءِ أسبابِها وظروفِها ومقاصدِها ومقاصدِ الإِسلامِ كلّه، متكاملاً بعضُها مع بعضٍ على كلّ صعيد، فهذا جديرٌ بأن ينقذَنا من جُزْئيّةِ النّظْرةِ، وضلالِ الفهمِ والتفسير، ومخالفةِ كُلِّياتِ الإِسلامِ، والبعد عن روحِه الأصيل

❧❧❧❧❧

إنّ الشجاعة لا تُغْني عن العقل، والعقلَ لا يُغْني عن الشجاعة، والشجاعةُ والعقلُ لا يغنيان عن غيرِهِما من الصفاتِ الضروريّات والمستحبّات

❧❧❧❧❧

ألا ما أحوجنا إِلى الإِنسانِ المسلم، والمجتمعِ المسلم، المتكاملِ الصفات والجوانب، المرصوصِ البنيان

❧❧❧❧❧

ما أسهل أن نتعلَّم أو نُرَدِّد الكلامَ الجميل، وما أصعبَ أن نَتَّصِف بالخُلق الجميلِ والعملِ الجميل.. وهذا بعض أسبابِ الفرقِ الشاسعِ بينَ كلامِنا، وبينَ أخلاقِنا وأعمالِنا في واقع الحياة

❧❧❧❧❧

لا يكفي أن نكونَ أطهاراً مِثاليّين مستقيمين، ولكنْ يجبُ أن نكونَ أيضاً أذكياءَ واعينَ مقتدرين، لنحقّق أهدافَ الإِسلامِ والمسلمينَ في بلادِنا وعالمنا وعصرنا، دونَ أن نتخلّى عن طهارتنا ومثاليّتنا واستقامتنا، أو ننحرفَ عن نهجنا الإِسلاميّ السليم القويم، وهذا هو التحدِّي الكبيرُ الذي يواجهُنا في هذه الأيام، وفي سائرِ الأيام

❧❧❧❧❧

إنّ شعوبَنا لن تَستجيبَ لنا لمجرّدِ إخلاصِنا وصدقِنا وتضحيتِنا؛ ولكن يجب أن تتولّد عندها أيضاً ثقةٌ كافيةٌ بكفاءتنا وقدرتنا على أن نقودَها بأمانةٍ ووعيٍ وحزمٍ ونجاحٍ إِلى أهدافها العتيدة، وآمالها المشروعة

❧❧❧❧❧

كلُّ تجربةٍ إسلاميّةٍ جاهلةٍ أو خاطئةٍ أو فاشلةٍ، تبعدُ المسلمين من أهدافهم وآمالهم، وتُسيءُ للإسلام، وتخدُم أعداءه، على الصعيدِ المحلّيّ والدوليّ.. فَلْيَتَّقِ اللهَ مَنْ يُسيئون بجهلهم، أو عجزهم، أو سوء تصرفهم، إلى الإسلام والمسلمين، وهم يحسبون أنّهم يُحسنونَ صُنْعا

❧❧❧❧❧❧

يا أخي المسلم

عندما يُخفق أعداءُ الحقِّ في شرائك، أو إغرائك؛ لتكون أداةً في أيديهم لطعن الحقّ، يحاولون جهدَهم بمختلف الوسائلِ السافرةِ أو المقنَّعة، المباشرةِ أو غيرِ المباشرةِ، أن يَفصلوك أو يبعدوك عن موكب الحقّ، بما يَلْتمسونه لك أو تلتمسه لنفسك من المبرِّرات والأعذار.. فإيّاكَ إيّاكَ أن تغترَّ بهم، وتقعَ في شباكهم وأَسْرِهم، فتكونَ من حيثُ تُريد أو لا تُريد عوناً لأعداء الإسلامِ أو مستغلّي الإسلام على الإسلام، وفي ذلك خسارةُ الدنيا والآخرة

❧❧❧❧❧❧

أيها الإخوة

سيحارُبكم كلُّ كافرٍ باللهِ واليومِ الآخر، لأنّكم مؤمنون

وكلُّ عدوٍّ للإسلامِ ونهجه، لأنَّكم مسلمون صادقون

وكلُّ تابعٍ عميلٍ للشرقِ أو الغرب لأنَّكم أحرارٌ مستقلّون متميِّزون

وكلُّ انتهازيٍّ نفعيٍّ مُنحرفٍ عن سواءِ السبيلِ، لأنّكم تستقيمون على طريق الحقِّ، لا تميلون عنه رغبةً ولا رهبةً، ولا تنحرفون

وكلُّ صغيرٍ حقيرٍ أسيرٍ للصغائرِ والتفاهات، لا يَسْتَشْرِفُ الآفاقَ الواسعةَ والقِمَمَ الشاهِقَةَ، ولا يَستهدفُ من جلائلِ المطالبِ والأمورِ ما تستهدفون، ولا يرتفعُ إليها كما ترتفعون

سيحارُبكم هؤلاءِ وأمثالُهم بأشرسِ الوسائلِ وأفجرِها وأقذرِها وأمكرِها، وسيفترون عليكم غيرَ الحق، ويكذبون ويكذبون ويكذبون على الله، وعلى الناس، وعلى التاريخ.. فلا تردّوا عليهم، ولا تشغلوا أنفسكم بهم، وانصرفوا إلى جهادكم الإيجابيِّ النقيِّ البصيرِ المثمرِ إن شاء الله

واذكروا وأنتم تتابعون طريقَكم، وتسمعون ما يُفْتَرى عليكم، وتشاهدون ما يترل ببعضكم.. اذكروا على الدوام قولَ الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:38]

❧❧❧❧❧❧

يا شباب الإِسلام!

إِيَاكُم أن تَتَحَوّل حركتُكُم من دَفْقَةِ إِيمانٍ حَيٍّ قَويٍّ، وانطلاقةِ إرادةٍ واعيةٍ مُصَمِّمة.. إلى مُجَرَّدِ استمراريّةٍ جافّةٍ فارغة، وروتينٍ مَيّتٍ مُمِلّ

كيف نستطيع -إِذا ماتت قلوبُنا وحَوافِزُنا وإِرادتُنا- أن نبعثَ الحياةَ في قلوبِ الناس، ونَشْحَذَ حَوافزَهم وإِرادتَهم، للنهوضِ بِتَبِعاتِنا الكُبْرى، وإِنقاذِ أمّتنا وبلادنا، وتجاوزِ واقعِنا الذليلِ الحقير، إِلى المستقبلِ الإِسلاميِّ العزيزِ العظيم؟!

❧❧❧❧❧

يا شباب الإِسلام!

في أعماقِ نفوسِكم تبدأُ معركةُ الإِسلام، ويتحقّقُ انتصارُه أو هزيمتُه قبلَ أن تبدأَ في محيطِكم ووطنِكم وسائرِ الدنيا

وأيُّ انتصارٍ حقيقيّ حاسمٍ في نفس أيٍّ واحدٍ منكم يُشَكّلُ طليعةَ النصرِ المأمول، ويُعلنُ ولادةَ الجيلِ الإِسلاميّ المرتقب

وإِذا وُجِدَ هذا الجيلُ الإِسلاميّ الحقيقيّ، بمواصفاتِه الإِسلاميّةِ اللازمة، فلن تكونَ هنالك هزيمةٌ أبداً، ولن يكون إِحباط، ولن يتحوّلَ مدُّ الإِسلام -إِن شاء الله- أبداً إِلى جَزْر

❧❧❧❧❧

كيف تجفُّ شجرةُ العملِ والجهاد، وتنقطعُ عن النموّ والإِثمار، إِذا سقاها نبعُ الإِيمانِ الخالصِ الثَرّ، ورعتْها الصلةُ الحميمةُ المستديمة بالله عزَّ وجلّ؟

❧❧❧❧❧

لا تقيسوا قُوَّتكم بكثرةِ عَدَدٍ، أو وَفْرةِ مَالٍ، أو سَعَةِ نفوذ .. ولكنْ قيسوها بمقدارِ تجسيمِكم الفعليِّ للحقّ، وتعبيرِكم الواقعيِّ عن حاجاتِ الإِسلامِ والمسلمينَ والإِنسانيّةِ والإِنسان، وعن آمالهم المشروعةِ في حياةٍ أقومَ وأفضلَ في الحاضر والمستقبل، واستعدادِكم لكلّ ما تتطلّبه تلبيةُ ذلك وتحقيقُه من جهدٍ وبَذْلٍ على كلِّ صَعيد

فإِذا بلغتم من ذلك الحدَّ الضروريّ للانطلاقِ وقيادةِ الرَّكْب، وأَفْصَحْتُم عنه بالفكرِ والعمل، وبرهنتم على جدارتِكم وأمانتِكم من خلالِ المواقفِ والزمن، فسيستجيبُ لكم عند ذلك المخلصون، وتلتفُّ حولَكم الجماهير، وتمتلكون ما يلزمكم من الوسائل

أما العددُ الكثير، والمال الوفير، والنفوذ الكبير.. الذي لا يستند إلى الحقّ، ولا يستطيع أن يُعبّرَ بوعيٍ وعمق وموضوعيّة وصدق عن الحاجات والأهداف والمآمل، وأن يشقَّ للناس ببصيرةٍ وكفاءة وتضحية ودأب طريقَ الخلاص والتقدّم والخير، فهباءٌ لا يلبث أن يتبدّد، وعَرَض وقتيّ ما أسرعَ ما يزول

❦❦❦❦❦❦

أينَ هؤلاءِ الرجالُ الذين يَعُون أكملَ الوعْيِ واقعَ أمتهم وبلادهم، ويرونَ بأبصارِهم وبصائرِهم أبعادَ مأساتها، وأعماقَ الهوّةِ الرهيبةِ التي تَرَدَّتْ فيها، ويَضَعون أيديَهم بموضوعيَّةٍ وجرأةٍ على جراحاتِها الظاهرةِ والمستتِرَة، وعِلَلِها القاتلةِ المُسْتَشْرِيَة.. ولكنّهم -رغم ذلك كلِّه- لا ييأسون منها وإنْ كَثُرَتْ دواعي اليأس، ولا يفقدون أملَهم فيها وإن سُدَّت مجالات الأمل، ولا يَهِنون ولا يحزنون ولا يتركون العملَ والجهاد -مهما تَصَعَّبَ ومهما كَلَّفَ العملُ والجهاد- لإنقاذِها، وتوحيدها، وتأهيلها من جديد، لحياةٍ كريمة مزدهرة، ودور تاريخيٍّ عظيمٍ جديد..

هؤلاءِ الرجالُ الكبارُ الأبرارُ طلائعُ الخلاصِ والنصر، والمستقبلِ الإسلاميّ المنشود

❦❦❦❦❦❦

بَدَلَ أن تُفْنِيَ حياتَك، وتبدِّدَ قواك، بالبكاءِ المتواصلِ على الأطلال، وأنت عاجزٌ مستسلمٌ مكتوفُ الفكرِ والإرادةِ واليدين، هاتِ رَفْشَكَ ومِعْوَلَكَ وتَعالَ معي؛ لنعيدَ البناءَ من جديد، وعلى أُسُسٍ أصلَحَ وأرسَخَ وأبقَى على الأيام

❦❦❦❦❦❦

لا تكونوا صغارَ النفوسِ والأهدافِ والآمال، فأصحابُ النفوسِ الصغيرة، والأهدافِ الصغيرة، والآمالِ الصغيرة، لا يمكنُ أن ينهضوا بجلائلِ الأعمال

❦❦❦❦❦❦

صدِّقوني: إنّ الباطلَ حقيرٌ ضعيف زائل ولو أمسك بصولجانِ سُلْطَة، أو حَمى نفسَه في بُروجٍ مُشَيَّدة، ومَلَكَ أفتكَ ما في العالم من سلاح.. فلا تَذِلّوا له، ولا تجعلوا أنفسَكم سَدَنَتَه، ولا تكونوا معه رَغْبَةً أو رَهْبَةً ضدَّ الحقّ، أو تتخلَّوْا له خوفاً أو طَمَعاً عن الحقّ

ما قيمةُ الحياةِ وما فائدتُها إِن أدرنا ظهورَنا للحقِّ ودعاةِ الحقّ، ووجّهنا وجوهَنا للباطلِ وأعوانِ الباطل، وَزَحَفْنا نُجَرِّرُ أغلالَنا المنظورةَ أو المستورةَ في طوابيرِ العبيد؛ عبيدِ الطغيان، وعبيدِ الأهواء والشهوات؟!

الحقّ جديرٌ بأن نطلُبه ولو أجهدَنا السَّعْيُ، وأن نُعلنه وإِن أَضَرَّ بنا الجهْرُ، وأن نموتَ من أجلهِ إِن كان لا بدَّ من الموت

لقد جَنَحَتْ شمسُ حياتي للغروب، وأسرعَ في جسمي المرضُ والوهنْ، وما حَقَّقْتُ ما كنتُ أرجوه للإِسلامِ والمسلمينَ والإِنسانِ وا أسفاه!

ولكنّني سأموتُ عندما أموت، وأنا أحلم بأجيالٍ جديدةٍ عظيمة، تُتابع الطريقَ الأصيلَ الذي سَلكناه، وتحقّقُ للإِسلام والمسلمينَ والإِنسان ما عَجَزْنا عن تحقيقهِ حتّى الآن

إِنّ جدارَتكم وإِنجازَكم وتقدُّمكم هو الذي يَدْفَعُ عن الإِسلامِ كلَّ تُهْمَة، ويمهد له سبيلَ التقدّم والانتشار
وإِنّ عجزَكم وتخلُّفكم العلميَّ والعمليّ هو الذي يقدّم الحجج لِتُهَمِ الأعداء، ويَسُدّ على الإِسلام السُّبُل.. ولو دافعتُم عنه، ودعوتُم إِليه، بألفِ لسانٍ ولسان

يجب أن يشعرَ كلُّ فردٍ مسلم، بأنّ العالَمَ الإِسلاميّ كلَّه، يتقدّمُ بتقدُّمه، ويتأخَّر بتأخُّره، وأنّه مسؤولٌ عن ذلك كلّه أمامَ الله عزَّ وجلّ

إِنْ لم يتجاوزْنا الشبابُ برؤيتهم وقدرتهم وخُطاهُم المصمِّمة البصيرة على طريق المستقبل، فهم شيوخٌ فانون يلبسون قِناعَ الشبابِ وإِهابَ الشباب، وليس لهم حقيقةُ الشباب

لا تقنعوا بالحسَن، ولكنْ حاولوا دائماً ما هو أحسن، لترتقوا صُعُداً في مدارج الكمال باستمرار، وتحوزوا قَصَبَ السَّبْق في كلِّ ميدان.. فهذا بعضُ ما يطالبكم به الإِسلام، وتستوجبُه هِداية الركبِ البشريّ، وقيادتُه إلى خير الدنيا والآخرة

أرادنا اللهُ هُداةَ الركبِ البشريِّ وقادتَه
ووضعنا الرسولُ على رأسِ الركبِ بالفعل
فصرنا بقصورنا وعجْزنا في ذَيْله، بلِ انقطعنا وتأخَّرنا حتّى عن الذيل! ألا تستحون من الله والرسول أيها المسلمون؟!

يريدون أن يحبسونا في حدود واقعنا الراهن الفاسدِ الحقير، وأن يمنعونا حتّى من الحلُم في تغييرِه والوصولِ إلى واقعٍ أفضل
إنّنا نرفضُ ذلك كلَّ الرفْض، ونُفَضِّل الموتَ ألفَ مرّةٍ على الحياةِ في سجنِ هذا الواقعِ الكريهِ كما يُريدون

وسنحلُمُ دائماً دائماً بالخلاصِ والتغييرِ والواقعِ الإِسلاميّ الكريم، ونُفَكِّرُ ونُخَطِّطُ ونجاهدُ دائماً دائماً للخلاصِ والتغييرِ وتحقيق الواقعِ المنشود

إذا لم يعتمدِ المسلمونَ على أنْفُسِهم، فلن يجدوا في العالم من يعتمدون عليه..
والله الذي يطلبونَ عونَه قد اشترط عليهم لذلك العملَ والجهاد
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]

الإيمان الحقيقيّ الصادق الحقُّ البصيرُ يُلازمه السموُّ والشموخ، والبطولةُ والتضحيةُ، والجهادُ والتقدّمُ، والرجاءُ والصبر.. فإذا رأيتَ مسلمينَ حائرينَ خاملينَ يائسينَ مستسلمينَ متخلّفينَ مُلْتَصِقِينَ كالديدانِ بالحضيضِ والأوحال.. فاعلمْ بأنَّ إيمانَهم زائف، أو ناقص، أو ضعيف، أو تَقْليديٌّ خَلَقٌ ميِّت، أو أنّهم لا يعرفونَ ولا يدركونَ حقيقةَ الإيمان

إنّنا نُريد أن نُجَسِّمَ مُثُلَنا وقِيَمَنا وفضائلَنا الإسلاميّةَ في أنفسِنا، وفي حاضرِنا ومستقبلِنا، على الصعيدِ الفرديِّ والاجتماعيّ، المحليِّ والعالميّ، وأن نُحَقِّقَ بها لأنفسِنا، ولأمتِنا وبلادِنا، وللإنسانِ والإنسانيّة، الخيرَ والفلاح؛ لا أن نُمَجِّدَها ونقدِّسَها ونحنُ بعيدونَ منها، منفصلونَ عنها، ليس لها عندنا مكانٌ إلاّ في الذاكرة – إنِ احتفظتْ بها الذاكرة– وفي بطونِ الكتبِ وثنايا التاريخ

إنَّ الأحداثَ التاريخيةَ الكُبْرى لا يصنعُها أبداً صغارُ الأنفسِ والمطالبِ والأهداف؛ فلا بُدَّ للحدَثِ الكبيرِ من إنسانٍ كبير، وهدفٍ كبير، وطموحٍ كبير

إنّ أمّتنا العربيّةَ والإسلاميّةَ لا يمكن أن تتحرّر وتتوحّد وتتقدّم إلاّ بالعودة الصادقة الواعية إلى رسالتها الإسلاميّة العالمية الشاملة، فهذه الخطواتُ الحَيَوِيّة الضروريّة الجبّارة، لا يَخطوها، ولا ينجح فيها، في مثل زماننا وعالمنا وظروفنا، إلاّ أصحابُ الرسالات الكبرى

ليست مهمّتُنا مجرّدَ مهمّةٍ علمية ثقافيّة فكرية: أنْ نتبيَّن الحقّ، وأن نسجّل ما يمكن نشرُه منه في كتب ومجلات، ولكن علينا أيضاً أن ندعو الناس إليه، ونقنعهم به، ونربطهم به فكراً وشعوراً ومصيراً، وأن نحرّكهم لخدمته في كل مكان ومجال وظرف من الظروف، وأن نؤهّلهم للتضحية في سبيله بالمال والنفس وكلّ عزيز، وأن نُحسنَ تصريفَ جهودِهم بما يحقّق لهم مقاصدَهم وأهدافَهم ومرضاةَ الله عزَّ وجلَّ، وأن نكون بينهم، ونكون لهم، في ذلك كلّه، الطليعةَ المتقدّمة، والقُدوةَ المُثْلى

شتَّانَ بينَ معرفةِ الواجب، وامتلاكِ القُدرةِ على النهوض به، والنهوضِ به بالفعل

هُنَّ ثلاثةُ أمورٍ مختلفات، فقد يعرفُ الإِنسانُ الواجبَ ولا يمتلك القدرةَ على النهوض به، وقد يمتلك القدرةَ على النهوض به ولا ينهضُ به بالفعل

هُنَّ ثلاثةُ أمور، ولكنّها أمورٌ متكاملة مترابطة يُفْضي أَوّلُها إِلى آخرها ويتوقّف آخرُها على أَوّلها، فلا يمكن أن ينهض بالواجب أصلاً من لا يعرفه ولا يراه، ومن لا يمتلك القدرة الضرورية اللازمة للنهوض به إِذا عرفه ورآه

لا بدّ لنا إِذن أن نؤهّل أنفسَنا لهذه الأمور الثلاثة جميعا:

المعرفة والقدرة والتنفيذ، إِذا أردنا أن ننهض بالواجب حقّاً وصدقاً

❦❦❦❦❦❦

أكثر الحركات الإِسلاميّة في العالم الآن ينطبق عليها هذا التعبير القديم:

«لا حَيٌّ فَيُرْجَى ولا ميتٌ فَيُنْعَى»

لم يستطع أعداءُ الإِسلام ولا كُرُورُ الأيام القضاءَ الكامل على هذه الحركات، ولم تستطع هي أن تنتصر على أعدائها، وأن تحقّق على الزمن ما رسمته من أهدافها

تُرى متى نُجَدِّدُ أنفسَنا، ونُصَحِّحُ أوضاعَنا، ونطوّر طاقاتنا وأعمالنا؛ لنكون قادرين على النهوض بواجبنا، وتحقيق أهدافنا الكبرى؛ فإِن مجرد الاحتفاظ بالبقاء ليس مطلباً من المطالب، ولا هدفاً من الأهداف الجديرة بالإِنسان، فضلاً عن الإِنسان المسلم الذي يحمل –أو الذي يجب أن يحمل– للدنيا رسالةَ الله عزَّ وجلّ

❦❦❦❦❦❦

ما أحوجَ الحركات الإِسلاميّة، وأحوج المسلمين الآن في كلّ مكان إِلى جيلٍ جديد:

عالمٍ لا جاهل، واعٍ لا غافل، بصيرٍ لا أعمى، مفكّرٍ لا متبلّد، مبدعٍ لا مقلّد، خبيرٍ لا غَرير

مؤمنٍ لا منافق، مخلص لا مشرك، صادق لا كاذب، مستقيم لا منحرف

قادرٍ لا عاجز، صامدٍ لا واهن، باذلٍ لا باخل، شجاعٍ لا جبان

حليمٍ لا طائش، سريعٍ لا متسرع، مقدامٍ لا متهوّر، مُخَطِّطٍ لا مُرْتَجِل

نشيطٍ لا فاتر، مثابرٍ لا خائر، مستمرٍّ لا منقطع، قويٍّ لا ضعيف

واثقٍ لا حائر، مُريدٍ لا متردِّد، مناضلٍ لا خامل، صابرٍ لا جازع، بانٍ لا هادم، إِيجابيٍّ لا سلبيّ، مُؤْثِرٍ لا أَثِر، مضحٍّ لا مستغلّ

جيل لا يتسرب إِلى قلبه اليأس، ولا تضعف ثقته أبداً أبداً بربّه ورسالته ونفسه، ونصر الله عزَّ وجلّ

❦❦❦❦❦❦

التَميُّز هو أن تكون أنتَ أنتَ مع الناس أو منفرداً عن الناس، متوافقاً مع التيّار أو متعارضاً مع التيّار، مواجهاً للشدائد أو المغريات، وواقفاً بين خِيارات الموت والحياة.. لا تتبدّل، ولا تتناقض، ولا تفقد هُوِيَّتك، ولا تتخلّى عن رسالتك، ولو فقدتَ الناس والجاه والأمن والراحة والدنيا

بعض الناس يخلط بين التميُّزِ والتَّقَوْقُع وهما أمران مختلفان..

كيف نبلِّغ رسالةَ ربّنا، بل كيف نعمل بإِسلامنا -إن تقوقعنا-؟! وكيف نؤدّي حقوقَ الناس، وواجبنَا نحو الناس -إِن اعتزلنا الناس-؟!

إنَّ الحقَّ لا يَهابُ أن يواجهَ الباطلَ في ميادين الحُجّة والحوار، كما يواجهه -عند الاضطرار- في ميادين القتال، بل إِنّ المواجهة في ميادين الحجة والحوار هي الأُولى والأَوْلى بالترتيب والاهتمام

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يسعى إِلى أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان، ويتحدّث إِلى الكافرين كما يتحدّث إِلى المؤمنين، وإِلى الأعداء كما يتحدّث إِلى الأصدقاء، ولم يكن يَتَحَوَّلُ بذلك لأعداء الإِسلام قيد أنملة عن الإِسلام، ولكن كان يتحوَّل به مَنْ كُتِب له الخيرُ منهم إِلى الإِسلام

لقد فقدنا -وا أسفاه- الثقةَ بإِخلاصِنا ووعيِنا وقدرتِنا وأنفسِنا، فأصبحنا نرى كلَّ لقاءٍ بينَ مؤمنٍ وجاحد لحساب الجحود على حساب الإِيمان!!

نحن لا نتعصّب لأنفسنا واجتهاداتنا وأعمالنا وتاريخنا على حساب الحقّ، ولكنّنا نتعصّب للحقّ ونَحكُمُ به على أنفسنا وعلى كلّ شيء، ونُصَحِّح بمقياسه أنفسَنا وكلَّ شيء، وندور معه حيثما دار

مِنْ أنبلِ العِداء: عداءُ الأهواء والنواقص والأخطاء

مِنْ أشرفِ الأعمال: حبُّ الحقّ والصواب والكمال

رغباتُ المسلمينَ كثيرة.. ولكنّهم لا يفرّقون فيها بين حقٍّ وباطل، ونافعٍ وضارّ، وممكنٍ وغيرِ ممكن.. ولا يَتّخِذون لتحقيقها الأسبابَ المناسبة، ولا يبذُلون لها الجهدَ المطلوب؛ ولذلك فهم محرومون -غالباً- من الظفر، مسبوقون بالزمن والأحداث

حسبي وحسبُك أن أُقدّم إليك الحقيقة، فلا تطالبْني بفضح كلِّ مبطل، فما أكثرَ المفترينَ المزوِّرين!

بعض الناس يُسيءُ -أحياناً- بنيّةٍ حَسنة، وبعضُهم يُحْسِنُ -أحياناً- بنيّةٍ سيّئة..

ألا ما أَحْوَجَنا إلى من يُحسنون دائماً، أو أكثرَ الأحيان، بما يملكون من علم ووعيّ، وحُسْنِ نيّةٍ وخلوص قَصْد

بعضُ الناس يرفضون واقعاً قائماً لقصورهم وعجزهم عن الاستفادة الشخصيّة منه

وبعضُهم يرفضونه لقصوره عن تلبية حاجات الإسلام والمسلمينَ والإنسان، وعن التطوّر والتقدّم للوفاء بهذه الحاجات.. فَشَتّانَ شَتّانَ بينَ رفضٍ ورفض

إنّ حاجتَنا إلى الذين يقولون للباطل: لا، كحاجتنا إلى الذي يقولون للحقِّ: نعم، فبهؤلاء وهؤلاء يتميّز الحقُّ من الباطل، والخيرُ من الشرّ، ويعلو الحقُّ على الباطل وينتصر عليه

كلّما أحببنا الحريةَ أبغضنا الاستبداد، وكلّما أبغضنا الاستبدادَ أحببنا الحريّة، فهما أمران ضروريّان للتحرّر من الخنوع والخضوع، وبناءِ الحياةِ الحرّةِ الكريمة، والمجتمعِ الحرّ الكريم

كثيراً ما تكونُ لك الدنيا كما تكون أنت، فهي فَتِيَّةٌ للفتى عجوزٌ للعجوز، باسمةٌ للآمل، عابسةٌ لليائس، حبيبةٌ إِلى الناجح، بغيضةٌ إِلى الفاشل، مزرعةٌ للغارس، ملهاةٌ للغافل، سيّدةٌ للعبد، خادمةٌ للسيد، مُقَرِّبةٌ للتقيِّ إِلى الله، مبعِدةٌ للشقيِّ عن الله.. فانظر كيف تريد أن تكون لك دنياك

مِنْ آفاتِنا أنّنا نصرف وقتاً طويلاً، وجهداً كبيراً، في الحديث في مشكلاتنا دون أن نتوصّل إِلى حلّ، وأنّنا لا نخطو خطوةً عمليّةً واحدة في طريق هذا الحلّ إِن توصّلْنا إِليه

ما أقلَّ اكتراثَنا بالوقت!

ما يُنَاقَشُ في ساعةٍ نصرف فيه يوماً، وما يُنْجَزُ في يومٍ قد تمرّ عليه شهورٌ وشهور دون إِنجاز

كم ذا نلُفُّ وندور حولَ الأمور، ولا نُصيب منها المَحَزّ، ولا ننفُذ منها إِلى الصميم، فنضيع الوقتَ والجهد، ولا نصلُ إِلى المقصود

كلُّ خطوةٍ صغيرةٍ بشهرٍ أو سنةٍ أو أكثر!! متى نلحقُ ركبَ العالَمِ والعصر؟ وكيف نُؤَدّي أمانةَ الرسالةِ التي حمَّلنا اللهُ عزَّ وجلّ

مِنْ أوَّلِ فرائضِ الإِسلام أن يعرف المسلمُ ما يتوجَّب عليه، وكيفَ يُؤَدّيه على الوجه الصحيح، وأن يقوم بأدائه بالفعل

ما أحوجَنا الآن، وفي كلّ وقت، أن يتذكّر كلُّ مسلمٍ هذه الفريضة، فهي سبيلُ الخلاصِ والنهضةِ على كلِّ صعيد

كلُّ ما تقدِر عليه، يُصبح فَرْضاً عليك إِذا مسّت الحاجةُ إِليه

ما أسعدَ الذينَ يَرَوْن سعادتَهم في القيام بالواجب، وما أعظمَهم وأقدرهم على النهوض بجلائل الأعمال

وما أشقى الذين يرون الواجبَ عِبْئاً وثِقْلاً يحملونه مُجْبَرينَ كارهين، ويتلهّفون للخلاص منه بأيِّ شَكل، وأسرعِ وقت، وما أضألَ إِنتاجَهم وما يتركون في الحياة، -وبعد الحياة- من آثار

يجب أن نُحَوِّل بالإيمان والحبّ، وبالصبر ورياضة النفس، الواجبَ إِلى مُتْعَةٍ ولَذّة، وذلك انتصارٌ كبير في حياة الإِنسان

إِذا أحببتَ واجبَك وجدتَ ثوابَك في القيام بهذا الواجب، فلم تتأثّرْ كثيراً بعِرْفان الناس أو كُفْران الناس، وأمكنك أن تتابع الطريقَ مهما كانت العقبات والمثَبِّطات

عندما يحبّ كلٌّ منّا واجبَه، ويحرِص عليه، وينهضُ به على أفضل وجه، يتحققّ لنا جُلُّ ما نأمل ونريد

كلّما وقفتُ أمامَ نكبة من النكبات، أو عقبة من العقبات، أو واجب من الواجبات الكبرى، التي يُخَيِّلُ للإنسان أنّه لا يستطيع احتمالَها، أو تجاوزَها، أو النهوض بها، دَوّى في مسمعي عَبْرَ القرونِ صوتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «اسْتَعِنْ بالله ولا تَعْجِزْ»

ومعنى لا تعجز: لا تضعُفْ ولا تقل لا أقدر، واحزِم أمركَ واضبطه وأتقنه.. وتقدم

وأنا أنادي كلَّ مسلم صادق، في هذه الأيامِ الكئيبة المظلمة؛ أيامِ النوازل والمآسي والتحدّيات الكبرى؛ أيامِ الهزائم والانهيار المعنويّ والاستسلام المهين؛ أيامِ الشلل الفكريّ والإراديّ والحركيّ، واستشعارِ اليأسِ والعجزِ والموتِ قبل الموت..

أنادي كلّ مسلم صادق، في كلّ مكان من الأرض، بنداء رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «اسْتَعِنْ بالله ولا تَعْجِزْ» وقف على قدميك رغم كلّ شيء، وتقدّم مهما كانت الظروف والآلام والتضحيات، فإنّ علينا أن نربح معركة الإسلام، ومعركة الإنسان، ومعركة المستقبل الإسلاميّ والإنسانيّ..

❧❧❧❧❧❧

« اللَّهُمَّ إِنِّي نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ» أن نَغرقَ فيهما، «وَمِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ» أن نستسلم لهما، « وَمِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ» أن نَتَّصِف بهما..

يجب علينا -أيها المسلمون- أن نخرج من هذا الجوّ النفسيِّ القاتم القاتل، ومن هذا الشلل الفكريّ والحركيّ العاجز المميت، وأن نستوعب بسرعة وقوّة كلّ ما نزل وما يزال ينزل بنا، وكل ما ينوء به عالمنا وعصرنا من الحقائق الرهيبة، والوقائع الأليمة، لنزداد إيماناً برسالتنا، واطمئناناً لمهمتنا، وشعوراً بمسؤوليتنا الإسلاميّة والإنسانيّة الكبرى، ولِنُحوِّل مآسِينا كلَّها إلى وقودٍ لِتَحَرُّكنا، ونورٍ هادٍ لمسيرتنا، ولنتقدّم بسرعةٍ أكبر، وخُطَىً أبصَر، وعطاءٍ أوفر، وشجاعة وإرادة أمضى.. لبناء المستقبل الإسلاميّ والإنسانيّ المنشود

❧❧❧❧❧❧

إنّني أتمنّى أن ننظر إلى قضايانا المحليّة والعالميّة من أُفُق أفسح من أُفق الحيّ والقريّة والبلدة والإقليم واللحظة الزمنيّة الراهنة وحدها؛ وعند ذلك قد تختلف عندنا الأهميّات والأولويّات والمواقف والتصرفات، ونكون أقدر على تحقيق أهدافنا، وخدمة الإسلام والمسلمين والإنسان

❧❧❧❧❧❧

ما أحوجنا في هذه الظروف التاريخيّة، والمنعطفات المصيرية، إلى رادَةٍ وقادةٍ ورجال تتمثّل فيهم عظمةُ الإيمان، وعظمةُ الفكر، وعظمةُ الأخلاق، وعظمةُ الإرادة، وعظمةُ العمل والتضحيات، فالحقارةُ في أيّ جانب من هذه الجوانب انحرافٌ وإخفاقٌ وضياع وهلاك

❧❧❧❧❧❧

إنّ مُنْزِلَ القرآن وخالقَ الأكوان ربٌّ واحد، فالقرآنُ وحقائق الأكوان لا يتناقضان بل يتكاملان..

أما آن للمسلمين أن يدركوا ذلك، وأن يهتدوا بالوحي، ويستفيدوا معه من حقائق الوجود ونواميس الحياة، ويتسلّحوا بالدين والعلم، لفهم الأمور، وإِتقان الأعمال، وأداء رسالة الله عزَّ وجلَّ، وبلوغ ما ينشدون من النجاح والطاعة والثواب

❧❧❧❧❧❧

الحركة دون علم وفكر، أو دون انتفاع -على الأقل- بأُولي أمانةٍ وعلم فكر، ضياع للوقت والجهد، وبلاء وهلاك في بعض الأحيان، وعقاب يوم القيامة، أو حرمان من القبول والثواب

❧❧❧❧❧❧

إنّ أجيالنا المتعاقبة، يبدأ كلٌّ منهما -غالباً- من نقطة الصفر! وربما أَخْطَؤُوا الأهداف والطريق؛ لأنهم لا ينظرون إِلى تجارِب أسلافهم وأمثالهم، وتجاربِ غيرهم من البشر، ولا يسمعون ولا يعون صوت العالم، ونداء الحاضر والمستقبل

❧❧❧❧❧❧

يجب على المسلمين أن يستمع بعضهم إِلى بعض، ليتفاهموا ويتكاملوا ويتعاونوا، أمّا إِذا اكتفى كلٌّ فرد أو فريق بإِسماع رأيه دون اهتمام حقيقيّ بسماع رأي الآخرين، فلن يكون هناك تفاهم ولا تكامل ولا تعاون، وأكاد أقول أيضاً: لا صواب

❧❧❧❧❧❧

هنالك ناس يعرفون ولكنّهم لا يتحرّكون، وناس يتحركون وهم لا يعرفون ولا يفكّرون، فلا يستفيد المسلمون من معرفة أولئك، وتقودهم حركةُ هؤلاء إِلى الهلاك

ما أحوج المسلمين إِلى أن تتكامل فيهم المعرفة والحركة في مختلف المجالات

يجب أن نستوعب حقائق عالمنا وعصرنا بثوابتها ومتغيّراتها بسرعة ودقّة وعمق، فالمعرفة، بعد فوات فرصة الاستفادة منها، قد تكون حسرة تنضاف إِلى حسرات، بدل أن تكون في وقتها المناسب، سبيلاً إِلى النجاة والنجاح

قد تكون المعرفة في خدمة الحقّ والواجب، فتكون سبيلاً إِلى الهداية والصلاح، ويكون العلماءُ بها أكبر الهداة المصلحين

وقد تكون في خدمة الهوى والطاغوت، فتكون سبيلاً للتضليل والفساد، ويكون العلماءُ بها أكبر المضلّلين المفسدين

لقد أصبحتُ في هذا الزمن الفاسد «أحترم!» «الانتهازيّ» «النفعيّ» الذي يركض وراء مصالحه ومنافعه الدنيويّة الخاصّة بوجه سافر مكشوف، وأراه أفضل ألفَ مرّة من الانتهازيّ النفعيّ الذي يَقْلِب الحقائق، ويُزَوِّر الأمور، ويخادع الناس، ليُلبس انتهازيّته ونفعيته ثيابَ المصلحة العامة، والمُثل العليا

هل رأيتم الأطفال الصغار في فلسطين المحتلة يواجهون الجيش الإِسرائيليّ، والسلاح الإِسرائيليّ، والرصاص الإِسرائيليّ، بثبات وتحدّ واستخفاف

بهؤلاء وأمثالهم تعود البطولة إِلى مرابعنا بعد غياب، وتولد أجيال جديدة من الأبطال

أجيال لا تطلب السلامة واللهو والمغنم، ولا تخاف الموت والشدّة والألم

أجيال ممتلئة ثقة بربّها وبنفسها؛ شامخة -وهي عزلاء من كلّ سلاح- على عدوّها المدجّج بكلّ سلاح؛ ساخرة بجبروته الغاشم؛ تفيض نفوسُها احتقاراً لباطله ووحشيّته وما يرتكبه من الفظائع

وستنمو هذه الأجيال -إن شاء الله- وتنمو معها تجربتها ومعرفتها وفكرها ووعيها، ومختلف قدراتها.. وتأخذ مكانها، مع غيرها، روحاً جديداً، ودماً جديداً، وطاقة جديدة، في خدمة الإسلام والمسلمين، وخدمة الإنسانيّة والإنسان؛ ويتحقّق بها، مع غيرها، انتصارُ الحق على الباطل، والعدل على الظلم، والخير على الشرّ، في بلادنا وفي سائر الدنيا

وتبارك الله تعالى: فما يزال دينُه الإسلام يصنع -رغم كل شيء- البطولة والأبطال

لا بدّ لنا من العلم والعقل والمنطق السليم؛ ولكن ذلك لا يكفي؛ فقد يوجد العلم والعقل والمنطق، ولا يوجد معه الولاء المطلق للحق، والحسُّ العميق بالعزّة والكرامة والأَنَفَة، الذي يرفض الباطل والظلم والهوان، والخضوع للباطل والظلم والهوان، ولو بذل في ذلك الحياة

ينادي بعض أصدقائنا الفضلاء مُحِقّين، بإعادة تكوين العقل المسلم؛ ولكن ذلك وحده في نظرنا، لا يكفي؛ فلا بدّ من إعادة بناء «الشخصيّة الإسلاميّة» كلها، بما في ذلك العقل، على أساس إسلاميّ وتربويّ سليم، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم

بعضُ الناس يرون في تطلّعنا إلى دور عظيم للمسلمين أكثرَ من «مهزلة» وأبعدَ من «حُلُمٍ» وأكذبَ من «وهم»..

لقد فارقتْ حياتَهم المطالبُ الكبيرة والآمالُ العظيمة حتى في الأحلام، فلم يعد في واقعهم ولا في أحلامهم إلاّ الصَّغَار والاستسلام إلى الصَّغار، ولم يعودوا يعيشون في واقعهم وفي أحلامهم إلاّ في الرغام

إذا أردتَ أن تبصر مستقبل العالم الإسلاميّ فانظر في أعماق نفسك؛ فإنّ من المستحيل أن تكون حقيراً ويكون مستقبل أُمّتك بك عظيماً، أو أن تكون عظيماً ويكون مستقبل أُمّتك بك حقيرا

لا تنس أبداً -حيثما كنت وكيفما كنت- أنّك عامل من أهمّ العوامل في نجاة المسلمين أو هلاكهم، ونجاحهم أو إخفاقهم، وعظمتهم أو هوانهم في الحاضر والمستقبل

كيف نُسابق الزمنَ والحوادث والأعداء، إِلى أهدافنا الكبيرة البعيدة، بأرجلنا اليائسة الواهنة، التي يُعْوِزُها الحافزُ القويّ، ويُتْعِبها السير البطيء؟!

يجب أن نرفع أنفسنا وإِمكاناتنا إِلى مستوى إِسلامنا ومهمّتنا وعصرنا، وحاجات الإِسلام والمسلمين والإِنسان في هذا العالم والعصر، وإِلاّ فاتنا السبْقُ باستمرار، و لم نصل قطُّ إِلى الأهداف

لا يكفي أن يكون الحقّ معنا؛ ولكن يجب أن نكون قادرين على بيانه للدنيا، وبيان ما فيه من خير لنا ولسائر البشر، وعلى تحبيبه وتزيينه للعقول والقلوب، وهذا -كسواه من المطالب الجليلة- يحتاج المسلمين المؤهّلين، الذين يرتفعون إِلى مستوى النهوض به في مختلف المجالات

إمّا أن تكون «واقعيّاً» «عمليّاً» -كما يقول بعضهم هذه الأيام- فترضى بالتخلّي عن الحقّ والعدل والحرّيّة والكرامة الإِنسانيّة، وتُسَلّم بسيادة الباطل والظلم والطاغوت في بلادك وعالمك وعصرك، وتُرتّب حياتك على هذا الأساس، وتبني تفكيرك وعملك عليه؛ وإِمّا أن تكون ضحيّة مِثالِيَّتِك، أو أن تعيش وحدك في عالم الأحلام

أما أنا فأوثر أن أكون ضحيّة المثالية -إِن كان لا بدّ من هذا الخيار-، أو أن أعيش وحدي، أحلُم لنفسي، ولأمّتي وبلادي، وللإِنسانيّة كلّها، بالحياة الكريمة الرشيدة الحرّة.. إِلى أن تأتيَ أجيال ترتفع إِلى مستوى أمانتها الإِنسانيّة والإِسلاميّة، وواجباتها الكبرى، وتُحَوّل إِلى واقع عمليّ ملموس ما يوصف الآن بالأحلام

يجب ألاّ ننسى لحظة أن الحياة الدنيا ابتلاء، وأن نجاح الإِنسان الحقيقيّ فيها أن يقوم بواجبه أكملَ ما يستطيع

وقد يقوم الإِنسان بواجبه فينتصر أو يستشهد، فيكون على الحالين من الفائزين

أمّا إِذا نسي الله، وانحرف عن سبيله، فهو فاشل خاسر ولو ملك الدنيا

يجب ألاّ نفقد شبابنا الروحيّ والفكريّ، وقدرتنا على التجدّد والتجديد، وإِلاّ فقدنا صلتنا بتيّارِ الحياةِ المتدفّق، والواقعِ المتطوّر المتغيّر، وقدرتَنا على أداء رسالتنا، والقيام بدورنا القياديّ، وتجمّد بنا العملُ الإِسلاميّ، وتهمَّش، وفقد على الزمن المبرّر والحياة

ما أشجعَ الدليلَ الذي يترك قيادة القافلة لسواه؛ إِن فقد القدرة على القيادة، أو كان على القافلة أن تقطع أرضاً جديدة يجهلها، وقد علمها سواه أو خَبَرها أكثر منه

إنّ جريمة الجهل والعجز لا تقلّ خطورة عن جريمة الخيانة والهوى، عندما تمسك بيدك دِفّة السفينة، فتقود الناس بعلمك أو جهلك، وبقدرتك أو بعجزك.. إِلى نجاة أو هلاك

ليس أكبر المآسي في حياة الحمل الوديع أن يفترسه الذئب؛ ولكن أن يُضطرّ إِلى أن يصوغ في الذئب وهو يفترسه أناشيد الثناء، وأن يشيد بمبادئه وشمائله، ورعايته لحقوق الضعفاء

وهذا شأننا مع بعض دول الغرب والعالم الكبرى، التي تلبس قناع الإِنسانيّة والمثالية، وترتكب أفظع الجرائم -أو تسكت عن أفظع الجرائم- وهي ترفع شعارات المبادئ السامية، والشرائع العادلة، وحقوق الإِنسان

لم تبق في البوسنة والهرسك جريمة حرب لم يرتكبها الصرب، أو قيمة من القيَمِ الإِنسانيّة لم يدسها الصرب والغرب يتفرّج على الجرائم تُرتكب، والقيم تُداس؛ ولا يتدخّل لمنع هذه الجرائم، ولا يسمح لأحد بالتدخّل، ولا يُمكّن ضحايا العدوان في البوسنة والهرسك، من الحصول على أيّ سلاح يدافعون عن أنفسهم، وعن نسائهم، وأطفالهم وأعراضهم

وليست القضية هنا قضية المسلمين وهلاكهم وهوانهم وعذابهم فقط؛ ولكنّها قضية صدق الغرب أو كذبه فيما يزعمه من شعوره الإنسانيّ، وارتباطه بالقيم الإنسانيّة، والتزامه بالمواثيق الدولية

ويا ويلَ الإنسانيّة والإنسان والمستضعفين في عالمٍ يُهيمن فيه هذا الغرب، ويمسك فيه بزمام الأمور

لا تنقطع عن أُذني أصواتُ الأحرار التي ارتفعت في الغرب من أجل البوسنة والهرسك

ولا تغيب عن عيني مواكبُ الأحرار التي سارت في شوارع الغرب من أجل البوسنة والهرسك

ولا يَني قلبي في الذكر والشكر والعرفان والتقدير

ولكن ذلك كلّه لم يكن إلاّ جداولَ صغيرة قصيرة في بحر السلبيّة واللامبالاة، فلم يوقف المذابح والمآسي، ولم يصنع للضحايا شيئاً ذا بال، ولم يُغيّر –وا أسفاه– في مجرى الأمور

يا أيّها الأحرار الذين وقفوا ويقفون مع الحقّ والعدالة وحقوق الإنسان

هذه أيدينا التي بسطناها لكم في الماضي، نبسطها لكم في الحاضر والمستقبل، لتتكامل جهودنا من وراء فواصل الأوطان والأعراق والأديان، في خدمة الحق والعدالة وحقوق الإنسان؛ فإن مستقبل هذه القيم، ومستقبل الإنسانيّة كلّها، في كفة الميزان

شرعيّة الدول الكبرى في التحكّم في العالم، كشرعية الذئاب في الغاب، لا تستند إلاّ إلى المخالب والأنياب.. أمّا الحقّ والعدل والنزاهة والمسؤولية الإنسانيّة والأخلاقية والسياسيّة عن المجتمع البشري، وعن الإنسان وحقوق الإنسان، فهي أقنعة وشعارات زائفة، ووسائل للخداع والافتراس

لقد مزّقت مآسي البوسنة والهرسك كلّ أقنعة العالم الخادعة، وأسقطت عن عوراته الفاضحة كل أوراق التوت، فانكشفت حقائقه المرعبة للعيون؛ فإذا هو في نهاية القرن العشرين، كما كان في العصور السحيقة: عصور الغاب

أوه، إنّني لا أريد أن أكون متشائماً ولا قاسيّاً، ولكنها نفثات مصدور؛ فأنا لا يمكن أن أفقد الأمل، ولا الثقة في الإنسان حيثما كان من الشرق أو الغرب، والشمال أو الجنوب، ولا الثقة في العمل المخلص البصير، وفي المستقبل الإسلاميّ والإنسانيّ

إيّاكُمْ -أيَّها المسلمون- أن تردّوا على باطل بباطل، وظلم بظلم، وإجرام بإجرام؛ وإلاّ فقدتم رسالتكم وشخصيتكم، ودنياكم وآخرتكم

يجب أن تكونوا وتدوموا مشاعلَ حقّ وهداية وإنسانيّة وأخلاق وتجرّد كليّ لله عزَّ وجلَّ.. مهما أصابكم من بلاء وعذاب، وكثر فيكم من الضحايا والتضحيات

في أنفسنا ظلماتٌ بعضها فوق بعض ينبثق من أعماقها وأطباقها نور

ونورٌ تجثم من حوله ومن فوقه وتريد لِتخنقه الظلمات

إنّنا نؤمن إيماناً دينيّاً قلبيّاً بأن النورَ سينتشر، وبأن الظلمات ستنجلي

فالمؤمن لا يمكن أن ينتصر في حياته الظلام، وأن يغيب عن حياته النور، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر

يا شعلةَ النورِ والأملِ الواهنةَ الخافتةَ في حياة المسلمين والعالم الإسلاميّ

إن أَعْوَزَك الزيت غذوناكِ بدمِ المُهَج، وأمدَدْناكِ بضياءِ العين

فالمسلمون، والإنسانيّة كلّها، لا يحتاجون شيئاً في ظلمات هذه الليالي والمآسي، كما يحتاجون إلى النور والأمل، وإلى الإيمان الذي ينبثق منه النور والأمل في كلّ وقت وفي كلّ مكان

إنّني أثور كثيراً على واقع العرب والمسلمين، وواقع العالم والعصر..

ولكنني أثور أكثر على نفسي، وعلى واقعي، وقصوري وعجزي..

إِنّني –وا أسفاه– دونَ واجبي الكبير، ودونَ القدرة على النهوض به على وجه أرضاه

وأنا أجاهد كلّ يوم لِتجاوز نفسي وواقعي القاصر، فلا أَبلغ من ذلك ما أريد، وأعتبر نفسي مسؤولاً بقصوري وواقعي المتخلّف عن بعض مآسي المسلمين الرهيبة، ومآسي الإِنسان في هذا العالم والعصر، وأحسّ إِحساساً عميقاً أليماً بالمسؤوليّة والإِثم

فيا شبابَ الإِسلام، ثوروا دائماً على أنفسكم، وما يؤُودُكُم[15] من القصور والعجز، وجاهدوا مخلصين صادقين لتتجاوزوا واقعكم الراهن، وترتفعوا إِلى مستوى إِسلامكم ومهمّتكم، والقدرة على تغيير واقع أمّتكم وبلادكم، والتأثير البليغ في مجرى الأمور في العالم

وإِذا كانت الشيخوخة والمرض الطويل قد قَيَّدا خَطْوَ أمثالي، وهاضا[16] أجنحتهم، فلا يستطيعون السير السريع، والتحليق البعيد، فإِنّ لكم من شبابكم وقوّتكم، وطموحكم وقدرتكم، ما يساعد على أوسع الخطوات، وعلى الضّرْب في أجْواز الفضاء، والتحليق الشاهق المديد إِلى أبعد الآفاق والغايات

هنالك تحدّيات كثيرة خطيرة تواجه المسلمين من خارج نطاقهم، وتحدّيات كثيرة خطيرة تواجههم من داخل أنفسهم ومجتمعهم

وقد ينتصر المسلمون على بعض التحدّيات الخارجية، ثم يضيع منهم النصر أو ثمرتُه المرجوّة، لخلل في تكوينهم الإِسلاميّ الروحيّ أو العقليّ أو الخلقيّ، أو نقص في المعرفة أو التجربة أو الإِعداد

وكم رأينا من عناصر تقدّمتْ في حركاتها، أو ارتفعت في مجتمعاتها ومسؤوليّاتها، فأخفق بعضها أو انحرف لآفة في النفس أو الفكر، أو نقص في الإِمكانات والتأهيل، ففاته بذلك، وفات المسلمين، خير كثير

وربما وصل مسلمون في بعض بلادهم إِلى السلطة والحكم، ووصلتْ معهم سَلْبيّاتهم الشخصية والاجتماعيّة، فكانت عليهم أشدَّ من أعدائهم، وفتكت بهم ما لا يَفْتِك الأعداء، وقدّمتْ منهم إِلى العالم صورةً عن الإِسلام، لا تُجَمِّلُ الإِسلام، ولا تُمَثِّلُ الإِسلام

ونحن –في غالب أحوالنا– نلتفت إِلى التحدّيات الخارجيّة، وننسى التحدّيات الداخلية، أو نهملها أو نسترها عن العيون

ومن أهم هذه التحدّيات التي تواجهنا من داخل أنفسنا ومجتمعنا: أن نرفع أنفسنا –حقيقةً لا كلاماً– إِلى مستوى إِسلامنا ومهمّتنا في كلِّ مجال وعلى كلّ صعيد

وهو جهاد واجب مستمرّ، نبدأ به، ونتابعه ولا نتركه في أيّة مرحلة من المراحل، أو وقت من الأوقات

---

(15) آد الشيءُ حامله: أثقله وجهده، أو حناه من ثقله

(16) هاض الشيء: كسره، أو ألانه

عَجْزُ غيرنا لا يعني قدرتنا، وانحرافُه لا يعني استقامتنا، وخطؤه لا يعني صوابنا..

إنما تنكشف قدرتُنا أو عجزنا، واستقامتنا أو انحرافنا، من خلال العمل والممارسة، والنهوض بالتبعات والواجبات

وحذارِ أن نعتبر سلبيّات الآخرين إيجابيّاتنا، وعيوبَهم فضائلنا، وإلاّ بقينا بلا إيجابيّات ولا فضائل

ويا خَسارَة من تكون حسنته الوحيدة سيّئات الآخرين

يجب أن نجاهد باستمرار أصدق جهاد، لتكون لنا فضائلُنا الفردية والاجتماعيّة الإيجابيّة الحقيقيّة، ومؤهّلاتُنا الخاصّة التي تستمدّ قيمتها الثمينة من ذاتها وإنجازاتها –لا من نواقص غيرنا– للقيام بدورنا الأصيل المثمر، وتحقيق أهدافنا العتيدة على كلّ صعيد

قضية فلسطين وما أكّدته أو كشفته من حقائق

وحرب الخليج وما أكّدته أو كشفته من حقائق

ومأساة البوسنة والهرسك، وغيرُ ذلك، وغيرُ ذلك.. والعالَم العربيّ والإسلاميّ ما يزال يتابع السير على طريقه العقيم، كما يمشي البعير أو الحمار بالثانية، كأنه لا يسمع ولا يبصر، ولا يشعر ولا يفكر، وحكّامه المفروضون عليه ما زالوا يقودونه بأهوائهم ومنافعهم، وصغائرهم وتوافههم، في دروب الفرقة والانقسام، والتبعيّة والهوان، والخراب والهلاك؛ بل إنّ بعض هؤلاء قد جعلوا أنفسهم مطايا ذليلة للأمريكان والغرب والصهيونيين، إلى كلّ ما يريدونه بالإسلام والمسلمين من الشرّ والنكال

إنّ حوادث البوسنة والهرسك كافية وحدها لتحريك الصخور، وإيقاظ الموتى من القبور، فمتى يستيقظ العالم العربيّ والإسلاميّ، ويرى هذا الدرك السحيق الذي انحدر إليه، وهذا الهوان الأليم الذي غرق فيه، وهذا الخطر المحيط المريع الذي يهدّد وجوده نفسه، بعد أن اغتال أعداؤه وحكّامه حقّه وحريّته وكرامته

واليقظةُ المقصودة والمطلوبة هنا هي يقظة الملايين، وعشرات الملايين، ومئات الملايين، فهذا البحر الطامي هو الذي يستعصي على القمع، وعلى القتل، وعلى السجون، وهو الذي يجرف الطغيان والطاغوت، ويحقّق التغيير والإصلاح المنشود

حضرتُ مصادفةً لقاء جماعة من المسلمين في قطرٍ من الأقطار كنت في زيارته، وكانوا قد اجتمعوا لتدارس أوضاع المسلمين وقضاياهم الكبيرة في قطرهم وعالمهم، ولكن فَرضتْ عليهم نفسَها في لقائهم طائفةٌ من

الأمور اليومية المستعجلة، والمشكلات الصغيرة التافهة، التي وقعت في الجماعة، أو بين الجماعة وغيرها، مما يهدد تفاقُمه أو إهماله بشرٍّ مستطير

وانقضتْ ساعات اللقاء في الأمور اليومية والمشكلات الصغيرة، ولم يبق فيه وقت لأوضاع المسلمين وقضاياهم الكبيرة التي كانت هي أصل اللقاء

قلت في نفسي: متى يرتفع المسلمون، أو كيف يرتفع المسلمون، إلى مستوى فهم أوضاعهم، واستيعاب تحدّيات عالمهم وعصرهم، ومواجهتها بالإمكانات المكافِئَة والشكل المناسب، وهم مشغولون أو غارقون بكلّ هذه الصغائر والتفاهات؟!

لقد تعبتُ كثيراً من العقول الصغيرة، والنفوس الصغيرة، والمشكلات الصغيرة، التي تأكل أوقات المسلمين وطاقاتهم، وتُغرقهم في بحر من العجائب والغرائب، والصغائر والتفاهات

إنَّ بعض عِلَلِ المسلمين وأدوائهم أشدُّ عليهم من كيد أعدائهم، وسدٌّ رهيب من داخل أنفسهم ومجتمعاتهم في وجه تَقَدُّمهم، واستكمال ما يحاولونه من بناء، وتحقيق ما يتوقون إليه من أهداف

فهل يعي المسلمون هذه الحقيقة الفاجعة، وهل يجاهدون أنفسهم قبل كل شيء، ليرتفعوا من صغائر الأمور إلى عظائمها، وليمتلكوا القدرة الحقيقيّة على خدمة الإسلام والمسلمين؟

لا تُلبِسوا أهواءكم الشخصية، وحزازاتكم النفسيّة رداء المصلحة العامة والإسلام، فذلك خيانة لله ورسوله والمؤمنين، وإذا خدعتم بذلك الناس، فلن تخدعوا بذلك الله عزَّ وجلَّ، والله لا يهدي كيد الخائنين

المصيبةُ الكبيرةُ أَنّ من المربين أحياناً منْ يحتاج هو نفسه إلى تربية، ومن الأطباء، من يحتاج هو نفسه إلى علاج..، وهذا من أهم مشكلات التربية المنشودة، ومعالجة ما يتخبّط فيه المسلمون من العلل والأدواء

طريق الحقّ والواجب ليس مفروشاً بالسجاد الأحمر والأمن والملذّات، فلا بدّ أنْ تمشي فيه على الأشواك والمخاوف والآلام، وأن تَدْمى عليه نفسُك أو قدماك، وربما فقدتَ فيه الحياة؛ ولكن تَذَكَّرْ أنّ نهايته هي الجنّة، ورضوانٌ من الله أكبر، وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور

فوزُك الحقيقيّ، أو خيبتك الحقيقيّة، ليس في هذه الدنيا، فوزُك الحقيقيّ يوم القيامة: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**...﴾ [آل عمران:106]

إنّ معرفتك بهذه الحقيقة، وإيمانك بها، يُصَغّر عندك الدنيا، ويُحَرّرك من سلطانها الزائل، ويُقوّيك على أداء الواجب –مهما كلّفك أداء الواجب–

إنّ الدنيا لا تتسع للغايات الأبعد، والمكاسب الأخلد، للوجود البشري

إنها مرحلة عابرة لها ما بعدها بعد الموت؛ وإلاّ فقد الوجود الإنسانيّ قيمته ومغزاه

نعم، إنّني ألمح في أعماق الظلمات وأطباقها نوراً، نوراً ينبعث من صدورٍ وعقولٍ وأعمالٍ مضيئة هنا وهناك وهنالك، نوراً يصمد على عواصف التجهيل والتضليل والغزو الفكريّ والثقافيّ، وأعاصيرِ الظلم والطغيان والإرهاب الداخليّ والخارجيّ، التي تجتاح الأنفس والبلاد، وتهدّد الهويّة الدينيّة والقوميّة والحضاريّة، في العالم العربي والإسلاميّ

إنّ هذا النور سيزداد –إن شاء الله– اتّقاداً يوماً بعد يوم، وسيزداد أربابُه تعارفاً وتقارباً وتعاوناً وتكاملاً في الفكر والجهد والعطاء والفداء

إنّ هذا النور الطاهر الهادي الأصيل، سَيَشُلُّ(17) –إن شاء الله– أطْباق الظلام –مهما اشتدّ أو امتدّ الظلام– وسَيُولدُ به للعرب والمسلمين والإنسان فجرٌ جديد ونهار جديد

﴿...**وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ؟ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا**﴾ [الإسراء:51]

---

(17) شل هنا بمعنى: طرد وساق، أو بمعنى: غلب

الزمن هو الحقل الذي تغرس فيه لنفسك، ولأمتك وبلادك، وللإنسانيّة والإنسان، ما تشاء من خير الدنيا والآخرة، وتحصد منه ما تستحقّ باستعدادك وجهدك، وعلمك وخبرتك، وتوفيق الله عزَّ وجلَّ

والزمن هو الشرطُ والمدى الضروريُّ لإعداد نفسك، وأداءِ رسالتك، في بيتك ومجتمعك، وعالمك وعصرك -إن استطعت- ورسالتِك إلى العصور الآتية، والأجيال المقبلة، إن بلغتَ باستعدادك وجهدك، وحسن استفادتك من وقتك، أن تكون من رُوّاد الإنسانيّة الكبار

والزمن هو الحياة، وهو العلم والتجربة، والعمل الصالح أو الطالح، والغايات البعيدة أو القريبة، والأهداف الجليلة أو الحقيرة، وهو النجاح أو الفشل، والنصر أو الهزيمة، وهو الآمال، وتحقيقُ الآمال، أو خيبةُ الآمال

وفي الزمن وبالزمن يعمل الإنسان بعمل أهل الجنة فيدخلها، ويعمل بعمل أهل النار فيدخلها..

قليلون هم الذين يستفيدون من الزمن أقصى ما يُستَفَاد، ويعملون فيه أفضل ما يمكن أن يُعمل

وكثيرون هم الذين «يقتلون» الزمن، أو يحاولون قتله والخلاص منه بكلّ سبيل

ومن أضاع الزمن أضاع الدنيا والآخرة والحياة والمستقبل

ومن أَحْرَزَ الزمن[18] أحرز الحياة وما بعد الحياة، وبلغ -بمشيئة الله- ما ينشده، وما هو أهلٌ لبلوغه في الحياة وبعد الممات

كم ذا أحبّ للمسلمين، ولناشئتهم على الخصوص، أن يعرفوا قيمة الزمن، وأن يحسنوا الاستفادة منه في طاعة ربهم، وتربية أنفسهم، والنهوض بمسؤوليتهم وواجبهم، وإنقاذ أمتهم وبلادهم من الدرك الأسفل الذي تردّت فيه، وتحقيقِ آمالها في الحريّة والكرامة والعدالة والوحدة والقوّة والتقدّم، وإنقاذِ الإنسانيّة كلّها برسالة الله التي يحملونها، ووضعها على المحجّة الواضحة، وتحقيق سلامها وأمنها وخيرها على كلّ صعيد

إنّنا نفتقر إلى رؤية إسلاميّة مُسْتَقْبلية واضحة بعيدة المدى، فدون هذه الرؤية لا توجد «استراتيجيةٌ» حقيقيّة، ولا إعدادٌ مثمر، ولا انتصاراتٌ تاريخية كبرى، ولا بناءٌ مستقبليٌ راسخ، ولا خدمة جليلة باقية للإسلام والمسلمين، وللإنسانيّة والإنسان

(18) أحرز الزمن: حازه ولم يضيعه

إنّ النظرة المستقبليّة الآليّة التي ترصد احتمالات المستقبل دون اكتراث أو اهتمام بالإنسان ومصيره، وأشواقه ومُثُلِه، وحاجاته الواقعيّة؛ والتي لا تكشف للإنسان دورَه الواجب لإحقاقِ الحقّ وإزهاق الباطل، وإقامةِ العدل ومناهضةِ الظلم، وإشاعةِ التراحم والتسامح والخير في بلاده وفي الدنيا.. هي نظرة ناقصة قاصرة تحتاج التصحيح والإكمال

النظرة المنهجيّة الواعية المبدعة التي تنير لنا صورة المستقبل، واحتمالاته الممكنة، ومسالكه المتعدّدة، وتساعدنا على رؤية مهمّتنا فيه، والطريقة المثلى للقيام بها، ضرورة إسلاميّة وإنسانيّة لأداء رسالتنا، والنهوض بما أوجبه الله علينا.. إذْ كيف ننهض بالواجب إن لم نعرف الواجب، وسُبُلَ تحقيقه، وما يتطلّبه ذلك من الإعداد والوسائل والأسباب

إنّ الإسلام لا يحبّ الجهل والجهلاء، ومن يَخبطون في أفكارهم وأعمالهم خَبْطَ عَشْواء

نحن بحاجة إلى نظرة علمية شاملة نافذة واعية، ترينا من خلال الماضي والحاضر احتمالات المستقبل؛ لا لنستسلم لما يكون منها؛ ولكن لنؤثّر بإيماننا وفكرنا وعملنا في مجرى الأمور، لدفع الاحتمالات السيئة، وتحقيق ما نؤمن به من المبادئ والقيم في حياتنا، وحياة سائر البشر

لو كان لقادة العرب والمسلمين في العقود الأخيرة رؤىً مستقبلية علمية منهجية شاملة نافذة، من خلال الماضي وعِبَره، والحاضر وحقائقه، ومؤشّرات المستقبل البادية، وتوقّعاته ومقدّماته الواضحة.. لجنّبوا أمتهم وبلادهم ما أصابها من الشرّ، وحقّقوا لها ما فاتها من الخير؛ ولكنْ أعمى الجهلُ أو الهوى، وأعمت الدنيا أبصارهم وبصائرهم إلاّ من رحم ربّك، فنزل بنا على أيديهم -وما يزال ينزل- أفدحُ الكوارث

أليس في ذلك عبرة لهم ولغيرهم، ممن يمشون مُكِبّين على وجوههم، لا يرون أبعد من أنوفهم، وما حبسوا فيه أنفسهم من الصغائر والتفاهات

من لم يتسلّح بمعرفة الماضي والحاضر، وبتجاربهما وعِبَرهما لا يستطيع أن يستشرف المستقبل، وأن يتجنّب فيه المزالق والمهالك، وأن يكون له دوره المرموق، وموقعه الكريم، وأثره الحميد

أشواقُ البشريّة وأحلامُها عنصر أساسيّ في تكوين شخصيّتها ومستقبلها، فلا تستهينوا بالأشواق والأحلام، وبالفنّ الجميل الذي يجسّد الأشواق والأحلام

لولا الآمال، ولولا الأحلام والأشواق، لخنق الواقعُ الرهيبُ الرديءُ الناسَ في بعض الأحيان، وحوّلهم –أو حوّل بعضهم– إِلى ضَرْبٍ من الحيوانات والحشرات

إِنّ الإِنسانَ قد يعلو فيكونُ أسمى من ملاك، وقد ينحطُّ فيكونُ أدنى من حيوان، وأسوأ من شيطان.. فما أعظم قابليّات الإِنسان للخير والشرّ، والنفع والضرّ، والجمال والقبح، والارتفاع والهبوط.. وما أخطر دور الإِصلاح والمصلحين، والتربية والمربّين، في بناء الأفراد والمجتمعات، وفي مستقبل العالم

إِنّنا نكرّر أنفسنا منذ عشرات السنين في التفكير والتنظيم والعمل، في عالم تتغيّر صُوَره ومُعْطياته ومتطلّباته في كلّ يوم، ونسير إِلى المستقبل وأعناقُنا وأقدامنا مشدودة بقيود التكرار والروتين

إِنّنا بأمسّ الحاجةِ إِلى أجيال جديدة، وأفكار جديدة، وإِبداع رفيع مستمرّ، لنكون قادرين على الاستجابة الحيّة الواعية الأصيلة السريعة لمتغيّرات العالم والعصر، وحاجات المسلمين والإِنسان المتجدّدة فيه، وأداء رسالتنا أداءً حقيقيّاً واقعيّاً على أفضل وجه ممكن

بعض الناس ينظرون إِلى الثوابت ويهملون المتغيّرات، فيجمد بهم العمل، وينقطع عن ركب الحياة
وبعض الناس ينظرون إِلى المتغيّرات ويهملون الثوابت، فَيَضِلّون الغاية والسبيل، ويَضيعون ويُضيعون

ما أحوجنا إِلى نظرة عميقة شاملة ترى الثوابت والمتغيرات في وقت واحد، وتُعطي كُلاً منهما حقّه الواجب المناسب، وتحقّق التوازن المطلوب في التفكير والتقدير والعمل

***

يجب أن نتحرّك من خلال ثوابت الدين والفطرة والسُنَن ونحن نستجيب لمتغيّرات العالم والعصر، وأن نستجيب لمتغيّرات العالم والعصر بما يحقّق مبادئ الدين ومقاصده، وخيرَ الإِنسانيّة والإِنسان.. وإِلاّ فقدت حركتنا قيمتَها وفائدها ومغزاها الرفيع العميق البعيد، وأفضت بنا إِلى الضلال والضياع والهلاك

***

هنالك فرق كبير بين قولنا: لا يُمكن التغيير، وقولنا: لم يحصل التغيير، أو لم نقدر على التغيير

فالتغييرُ سُنّة مُطّرِدَة من سنن الحياة، لا يستطيع أحد أن يُلغيه أو يسدّ عليه الطريق

أما أنّنا عجزنا عنه، أو لم يحصل كما نتمنّى، ولم يؤدّ إِلى ما نُريد؛ فلأننا -في الغالب- لم نُؤهّل له أنفسَنا كما ينبغي، ولم نرتفع بها إِلى مستواه، ولم نُوفّر له شروطَه الضرورية، ولم نتّخذ له ما يناسبه من الوسائل والأسباب

***

لا يطلب التغيير لمجرّد التغيير إِلاّ عابث أو أحمق

إِنّ التغيير الذي نطلبه هو الذي ينطلق من ثوابتنا، ويلتزم بمبادئنا، ويُلبّي حاجات الناس والأمّة والبلاد وتطلّعاهم وأشواقهم تلبية أفضل في الحاضر والمستقبل

***

أين بعض كتّاب العرب الذين يدّعون «الإِنسانيّة» و«العالمية» من البوسنة والهرسك؟!

إِنّهم يكتبون كثيراً..

ويكتبون بمناسبة وبغير مناسبة، وبما له معنىً، وبما ليس له معنى..

فأين هم من هذا الحدث الإِنسانيّ والأخلاقيّ والسياسيّ الضخم، الذي ينطوي على أبعد الدلالات، والذي يمكن أن يُفهم وأن يُحاكم على أساسه هذا العالم والعصر

هل يتجاهلونه ويحجمون عن الكتابة فيه لعلاقته في بعض جوانبه بالإسلام الذي يكرهونه ويحاربونه؛ أم يخافون -إن كتبوا- تهمةَ الشعورِ الإسلاميّ، أو التعاطفِ التاريخيّ مع المسلمين في البوسنة والهرسك؛ أم يسكتون تَحيُّزاً، أو مجاملة ومراءاةً للغرب، الذي يعكسون ثقافته وقِيَمَه، وحياته ومصلحته، ويتقرّبون إليه بأهوائه، وبما يُؤْثره من خير أو شرّ

وإذن فأين الحرية والشجاعة الأدبية التي يدّعونها، ويدْعون إليها، والتي يبلغون بها أحياناً أبعد مداها.. ولكنْ عندما يهاجمون عقائد أمتهم وحضارتها وأصالتها، وكلّ ما هو مقدّس عندها، أو حيويّ لها، في صحوتها ونهضتها، وحاضرها ومستقبلها

إنّ الموقف من البوسنة والهرسك، ومما يقع فيها، وفي العالم بمناسبتها، هو من أصحّ المقاييس أيضاً في الحكم على المثقفين، وحملةِ القلم من العرب والمسلمين

يكاد القلم يصرخ في يدي -أحياناً- ويبكي، ويكاد يجري بالدّم والدموع على القرطاس

في صدري نيران مشتعلة تخنقني، وجراحات عميقة تَنْكَؤُها كلَّ يوم جراحات، وآلام في النفس والجسم.. يا لها من آلام!

الظلماتُ في حياتنا ليس لها حدود، والأهوال ليس لها حدود، والتردّي ليس له حدود، وعجزنا ليس له حدود، وقهرنا ليس له حدود..

يا الله! إلى متى تدوم بنا هذه الحال؟! إلى متى تدوم؟!..

أستغفرك اللهمّ! لقد جمح بي الألم، وجمح القلم

لقد رسمتَ لنا طريق الخلاص فَتَنَكّبْنا طريقَ الخلاص، وسلكنا طريقَ الضياع والهوان والهلاك

و﴿...**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**...﴾ [الرعد:11]

فَعَوْنَك اللهمّ عونَك، فإنَّ طريقنا لأليم طويل، ووعر شاق؛ ولكنّ الإيمان الصادق، والإرادة الصارمة، والجهاد الجادّ، تُقرّب كل بعيد، وتُهوّن كلّ عسير، وتُبلّغ كلّ هدف -إن شاء الله-

وما أوثقنا بنصر الله إن نصرناه، وما أهون ما نلقاه في سبيل الله إن كان حبُّه هو الذي يقود منّا الخُطَى

الحَزْنُ[19] في حُبّه سَهْلٌ لسالكهِ — والخوفُ أمنٌ وبُؤْسُ العيشِ كالنّعَمِ
وأصعبُ الصعْبِ في عَيْنَي أهونُه — وأبعدُ البُعْدِ في العينينِ كالأَمَمِ[20]

---

(19) الحَزْن: ما غلظ وصعب من الأرض

لا بُدَّ لِلّيْلِ أنْ يتزاحَ غيْهَبُهُ ويُشْرِقَ الفجرُ بعدَ الظُّلمِ والظُّلَمِ

الدين أعمق الأشياء وأرسخُها وأشدُّها تأثيراً في حياة الإنسانِ والتاريخ البشري، فحكّامنا المنحرفون، ومن لَفَّ لَفَّهم من المستغربين والعلمانيين والانتهازيين، الذين تُسَوِّل لهم أنفسهم أنّهم يستطيعون اقتلاعَ الإسلام من النفوس والمجتمعات، وإلغاءَ دوره الفرديّ والاجتماعيّ، المحليّ والعالميّ، سخفاء واهمون، فاسدو العقل والضمير، وستهشّم أنوفَهم وغرورَهم صخورُ الحقائق، وتَكْنِسُهم عن طريق شعوبهم الأيامُ والسنين، ويحكم عليهم لا لهم، ويسخر منهم ومن غرورهم، التاريخ

الإسلام أعمق في حياتنا من أن تصل إليه السهام، وأرسخ من أن تقتلعه العواصف، وأقوى وأبقى من أن يغلبه الباطل، أو يقضيَ عليه الطغاة الفانون.. فاسْتَمْسِكوا بالإسلام، وجاهدوا به وفي سبيله، ولكن لا تخافوا عليه، فقُوّتُه من قُوّة من أنزله وتعهد بحفظه:

﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:9]

هنالك فرق كبير بين بُطْء التفكير وصواب التفكير، وبين سرعة التفكير وخطأ التفكير؛ فقد يكون التفكير سريعاً صائباً، وبطيئاً بليداً خاطئا

ما أحوجنا في عصرنا السريع، إلى فكر حَيّ قويّ سريع لَمّاح، يضيء لنا الحقائق كلّها -شمولاً وعمقاً- كالبرق الخاطف، ويهدينا في حالك الظلمات، ودوّامة التّقلُّبات والمتغيّرات في الوقت المناسب، سواءَ السبيل

لا يمكن أن نفهم تطوّرات الحاضر إلاّ بمعرفة الماضي، ولا يمكن أن نرى احتمالات المستقبل إلاّ بمعرفة الماضي والحاضر، ومعرفة الإنسان، وسنن الحياة والمجتمعات

---

(20) الأمم: اليسير القريب التناول

وإذا لم نر احتمالات المستقبل، وما يمكن أن يقع بنا أو بغيرنا فيه من خير وشرّ، فاتنا كثير من خيره، وربما كنّا من ضحاياه

إنّني أومن بضرورة تعارف الشعوب والأفراد من وراء فواصل الأقوام والأوطان، وبالحوارِ البصير الذي يكشف عن المبادئ والمصالح والأماني المشتركة بين البشر، والتعاونِ المخلص على إنقاذ عالمنا وشعوبنا وبلادنا من طاغوتِ الأنانيّة والعنصريّة والمال والسلاح والأهواء، وتَحَكُّمِ بعض القوى الدولية بالباطل وللباطل في حياة العالَمِ، ومصائر الناس

لا يمكن أن تجعل الطباع كلّها طبعاً واحداً، ولا الآراء كلّها رأياً واحداً، ولا السلوك البشريّ كلّه نمطاً واحداً، فلا بدّ من أن يفهم الناسُ بعضهم بعضاً، وأن تتّسع صدورُ بعضهم لبعض، وأن يَتَلمّسُوا -جاهدين صابرين- أسبابَ التعاون على البرّ والتّقوى، ويجدوا الطريق المشتركة إلى أهدافهم الواحدة، رغم اختلافِ الاجتهادات -أحياناً- واختلافِ الأمزجة والطباع

كَثُر اعتذارُ مُسْلمين لنكوصهم على أعقابهم، وفرارهم من أداء واجبهم، بظروفهم الخاصّة والعامّة!

ومن الذي تكون له ظروفه كما يشتهي في كلّ زمان ومكان على الدوام، فلا تحرجه ولا تُقيّده ولا تُعَرّضه في أداء واجبه -أحياناً- إلى الأخطار

ولكنّ المؤمن الحقّ يتابع طريقه -رغم كل شيء- إلى غايته العتيدة وأهدافه المنشودة، لا ينثني ولا يَني ولا يتنصّل، ويدفع راضياً ثمن ولائه لدعوته، وثباته على منهجه، وجهاده الخالص في سبيل ربّه، مهما غلا الثمن، وكانت الظروف

كيف تتجدّد الحركات الإسلاميّة إذا كنا نريد لكلّ فرد من أفرادها أن يكون صورة فوتوغرافية من بقية الأفراد، أو إنساناً آلياً يتحرّك كما يحرّكه من يمسك بجهاز البرمجة والتسيير

يجب علينا أن نسمح بل أن نشجع في حركاتنا ولادة أفكار جديدة، وإمكانات جديدة، وشخصيّات مبدعة، وبذلك تتجدّد حركاتنا وتنمو، ولا تتحجّر وتموت؛ وبذلك تستجيب استجابة أفضل لحاجات الإسلام والمسلمين والإنسان المتجدّدة في العالم والعصر، والحاضر والمستقبل

نعم، إنّ المرأة مُعزّزة مُكرّمة في تعاليم الإسلام، ولكنّها ليست كذلك -غالباً- في واقع المسلمين

وقد تسمع أحياناً من يحدّثك أجمل الحديث عن «مكانة المرأة- في الإسلام» وزوجتُه في بيته ليس لها أيّ مكانة من الرعاية والتكريم..

وهذا مَثَل من أمثلة الافتراق الأليم الذميم بين الإسلام وبين أكثر المسلمين

كم من عالِم سُوءٍ يُضِلّ النّاسَ بهواه، ويُسَخِّرُ علمه لأعداءِ الله في حربِ أولياء الله، فلا تَغْتَرِرْ بعلمٍ تُباينه التقوى، ولا عالمٍ آثر الحياةَ الدنيا، وجعل نفسَه في خدمةِ من كفر وطغى

ليس المهمّ أن تصعد على «مسرح» الحوادث والحياة، ولكن أن تؤدّي درك الواجب بأمانة ومقدرة وإتقان

وقد يكون الصعود على «المسرح» نجاحاً يفتح لك الطريق ويقرّبك من الهدف المقصود

وقد يكون أحياناً إخفاقاً يقطع عليك الطريق ويباعدك من الهدف المقصود

يجب، يجب، ويجب..

إنّني كلّما ذكرت واجباً من الواجبات الكبرى، تذكرت في أكثر الأحيان، في نفس الوقت، عجزَ المسلمين - في واقعهم الحاليّ- عن النهوض به ولو عرفوه ورغبوا فيه؛ فلا بدّ لنا إذن من جهد صادق خارق لتأهيل أنفسنا ورفعها إلى مستوى القدرة على أداء واجباتنا الكبرى على كلّ صعيد

إن تأهيل أنفسنا تأهيلاً علميّاً وعمليّاً، روحيّاً وجسديّاً، فكريّاً ونفسيّاً وخلقيّاً .. للنهوض بالواجب الجزئيّ والكليّ، الآنيّ والمستقبليّ، فريضة أساسيّة، وشرط ضروريّ، لكل عمل حقيقيّ، وإنجاز جوهريّ وتاريخيّ نحتاجه ونتوق إليه

ألاّ ما أحوجنا وأشوقنا إلى أجيال تملك القدرة الدائمة المتجددة المتطوّرة على اكتشاف الواجبات الكبيرة والصغيرة، القريبة والبعيدة، المباشرة وغير مباشرة.. والنهوض بها في ذات الوقت على أفضل وجه

الدنيا لولا الحبُّ صحراء قاحلة، والحياةُ تبتسمُ للناس بثُغور الناسِ وأساريرِهم وعيونهم، كما يبتسمُ الربيعُ بالأزهار والوِرادِ والأريجِ وناعِشِ النسمات..

والحياةُ تعبس أيضاً في وجوه الناس بوجوه الناس؛ فلا تزيدوا الحياة قَتاماً وجَهاماً، ولا تحجبوا إشراقتها الحلوة في قلوبكم وعيونكم وعلى الشفاه، واستعينوا على جفاف الصحراء وحرّها بِندى المشاعر الصادقة، وعلى اجتياز مصاعبها بالكلمة الطيبة الحانية المشجّعة، والتعاون المخلص المثمر على البرّ والتقوى

اجعلوا قلوبكم -أيّها الإخوة- ينابيع حبّ، وألسنتكم وأقلامكم رُسُل حبّ، وروابطكم فيما بينكم روابط حبّ، وأقيموا حياتكم ومجتمعكم كلّه على الحبّ، ف**«أوثق عُرى الإيمان الحبّ»**(21): الحبّ الخالص الصادق في الله عزَّ وجلَّ.. و «لا يَحْقِرَنَّ أحدُكم من المعروف شيئاً ولو أن يلقى أخاه بوجه طليق»(21)

إنّ الذي يرى حركة التاريخ على امتداد العصور، وما أقامته من حضارات وإمبراطوريات، وهدمته من إمبراطوريات وحضارات، ورسمته أو محته من معالم كبيرة أو صغيرة على سطح هذه الأرض.. لا يمكن أن ييأس من التغيير، ولا أن يؤمن -ولو لحظة واحدة- بأن سلطان الباطل سيدوم، وبأنّ هذا الواقع المحليّ والعالميّ القبيح سيخلد

أمّا هؤلاء الذين يحبسون أنظارهم وأفكارهم وخيالهم في اللحظة الحاضرة، فلا يتجاوزون بها اللحظة الحاضرة، ولا يمدونها إلى الماضي البعيد والمستقبل البعيد، فيملأ قلوبهم اليأسُ والظلام والاستسلام، ويُضيعون الأمل والثقة والتفاؤل، ويفقدون روح التغيير وحماسة التغيير وإرادة التغيير، ويتحوّلون نظريّاً أو عمليّاً إلى مخلوقات سلبية مشلولة لا فعل لها ولا تأثير، أو إلى إمّعَاتٍ، أو عبيدٍ لأوثان الحاضر الراهن، وطواغيته على كلّ صعيد.. أما هؤلاء فصِغارُ عقولٍ ونفوسٍ وآمال، وفقراءُ علمٍ وفكرٍ وخيال.. وبهم وبأمثالهم تصْغُر الإنسانيّة والإنسان، وتهبط وتَذِل وتَضِلّ.. وتموت

---

(21) حديث نبوي

إنّني بالحقّ الأزَليّ الأبَدِيّ الخالد الذي أؤمن به، وأعيش له، وأجاهد في سبيله، أوقن كلّ اليقين، وأشعر أعمقَ الشعور، بأنني –على شيخوختي وضعفي– أصلبُ من هذا الحاضر السيّئ الحقير، ومن أيامه البئيسة التعيسة في حياة العرب والمسلمين، وأقوى من الطواغيت الكبار والصغار، وأدوات الشرّ والفساد التي قادتنا إلى هذا الحاضر الزريّ المقيتِ، والتي تعمل على حبسنا فيه، وحبس أفكارنا وآمالنا وأحلامنا حبساً مؤبّداً لا فكاك منه ولا نجاة.. وأتمنّى لكلّ عربيّ ومسلم، ولكلّ إنسان طيّب، أن يوقن هذا اليقين، ويشعر هذا الشعور لنشقّ لأنفسنا، وللإنسانيّة كلّها، طريقَ التغيير والخلاص، ونبدأ معاً رحلةَ الأمل والمستقبل

⁂⁂⁂

لا يجوز لإنسانٍ مسلم –مهما كانت الظروف– أن يفقد الأمل ويستسلم لليأس، ويتحوّل من موقع الفاعل المؤثّر، إلى موقف المتفرّج العاجز، والتابع الخاضع لمن يملكون القوّة والسلطة والتأثير من الضالّين الظالمين المنحرفين.. إنّ هذا كفرٌ عمليّ بالله عزَّ وجلَّ، وخيانة للإسلام والمسلمين، والإنسانيّة والإنسان

⁂⁂⁂

ما دام التاريخ مستمرّاً لا يتوقّف ولا ينتهي إلاّ بتوقّف هذه الحياة، وانتهاء هذه الدنيا، ففيه دائماً صفحات جديدة يمكن أن يَخُطّها الإيمانُ العظيم، والفكرُ العظيم، والخيالُ المحلّق المبدع، والإرادةُ الصادقة الصارمة، والعملُ الدائب البصير

أيها العرب والمسلمون

يجب أن نرفع أنفسنا بأقصى ما نستطيع من الجدّ والجهد إلى مستوى كتابةِ هذه الصفحات، بكلّ ما يرضي الحقّ والعدالة والخير، ويُشرّفُ العرب والمسلمين والإنسانيّة والإنسان، ويقدّم للبشر المثلَ الرائع الشامخ الصالح، ويضيء للأحياء وجه الحياة وغاية الحياة، ويهديهم فيها إلى الصراط المستقيم.. وأن نعدّ لذلك أولادنا وأحفادنا وأجيالنا المتعاقبة، وندعو إليه سائر الناس

⁂⁂⁂

يا إخوتي الأَحبة في كلّ مكان

علينا أن نتجاوز آلامنا وأحزاننا ونقائصنا وفواجعنا باستمرار، وأن ننظر إلى الحياة والمستقبل في بعض الجوانب والأحيان بعيون الأطفال، وروح الأطفال، وحيويّة الأطفال، وقدرتهم على أن يبتسموا مع الدموع، ويصنعوا حياة جديدة على أنقاض الموت، ويحلموا بمستقبل سعيد رغم أهوال الحاضر ومآسيه، وما يصيبهم في أنفسهم وأحبابهم وأشيائهم العزيزة فيه..

علينا -أيها الإِخوة- أن نؤمن في صقيع الشتاء بمقدم الربيع، وفي حَلَكِ الليل بمطلع الفجر.. وأن نسهم دائماً بأمل وثقة وابتسام في صنع ربيع الإِنسانيّة المنتظر، وانبثاق فجرها المأمول.. لا ننتظر على ذلك كلّه ثواباً إِلاّ من الله، وكفى به ثواباً يعوّض متاعب العمر وآلامه وتضحياته الكبيرة والصغيرة أكرم تعويض

في أيام الكوارث الفادحة واليأس والإِحباط، ينفكّ كثير من العاملين للإِسلام عن العمل للإِسلام، وينصرفون إِلى مصالحهم وهواياتهم الخاصة بمختلف المبرّرات المصطنعة التي تخفي الدوافع والعوامل الحقيقيّة لهذا الانفكاك والانصراف

إِنّني أحسّ هذه الأيام العصيبة بصلة أوثق بالله عزَّ وجلَّ، وثقة أكبر بعونه ونصره، ومسؤولية أضخم عن حمل مشعل رسالته الخالدة: هذا المشعل الهادي في ظلمات الكفر والضلال والأهواء، والنور الأزليّ الأبديّ الذي يفتقر إِليه عالمنا وقد ارتدّ إِلى جاهلياته الأولى، وارتكس في العنصريات والعصبيّات، وضُروب الانحلال والانحراف والفساد، واستباح، بلا أيّ وازع، ما تتعفّف عنه الوحوش من الإِثم والعدوان، والقتل والغصب والتمثيل والإِجرام

ما أحوج الإِسلام والمسلمين! وما أحوج الإِنسانيّة كلّها هذه الأيام! إِلى مؤمنين صادقين كلّ الصدق، واثقين كلّ الثقة، ثابتين كلّ الثبات، أوفياء كلّ الوفاء لله ورسالة الله، يقف بهم الانهيارُ الرهيب، وينبعث بهم الأمل الميّت، والعزم الخامد، وينتظم بهم ويتحرّك الركب العتيد من جديد.. يتقدّمون إِلى أهدافهم الكبرى، وفي مسامعهم وعلى أفواههم يُدَوّي نداءُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمسلمون منهزمون في حُنَيْن:

- إِلى أين أيها الناس؟!

ونداؤه على لسان عمه العباس:

- يا أنصار الله! يا أنصار الله!

وستُلَبّي قلوبُ المسلمين عندما تحسّ الصدق في النداء، وترى الأُسوة الحسنة في العلم والعمل والصبر والثبات والسير المخلص القويم إِلى الله.. ستُلَبّي قلوب المسلمين في الحاضر، كما لَبّى الأنصار نداء رسول الله صلى الله عليه وسلّم في حُنَيْن:

لَبّيْكَ لَبّيْك! لَبّيْكَ لَبّيْك!

لم يعد بإِمكان دولة من الدول، أو أمّة من الأمم، أو جماعة من الجماعات البشرية -مهما كانت- أن تنعزل عن العالم، وتغلق بينها وبينه النوافذ والأبواب، لتحمي بالعزلة عقائدها وقيمها وثقافتها وأخلاقها؛ فلا

بدّ للمسلمين إذن من أن يرفعوا أنفسهم -داخل بلادهم وخارجها- إلى مستوى القدرة على مواجهة عالمهم وعصرهم، وتحدّياته الكبيرة، ومؤثّراته الرهيبة على كل صعيد، بعلم وفهم، وثقة راسخة بالنفس، وبَصَرٍ دقيق بالخير والشرّ، والنفع والضرر، للأخذ بما يجمل ويفيد.. والنجاة ممّا يَقْبحُ ويؤذي،.. وأن يتخذوا لذلك ما يلزمه من الوسائل والأسباب

ولا بدّ لهم من مشروع حضاريّ متكامل يلبّي مختلف حاجاتهم الفرديّة والاجتماعيّة والإنسانيّة، في عالمهم وعصرهم، وحاضرهم ومستقبلهم.. مشروع حيّ، يتجسّم في واقع حيّ، ويتطوّر ويتجدّد من خلال الواقع المتطوّر المتجدّد؛ ولا يكون -كما هو حتى الآن- مجرّد حنين إلى ماض رائع، أو تهويم في حلم لذيذ

لا بدّ للمسلمين من هذا كلّه، وإلاّ فهو الضياع والذوبان والانجراف مع الأمواج والغرق والهلاك

إنّ الذين يتوهّمون أنّهم سيربحون معركة الإسلام في أنفسهم ومجتمعاتهم وعالمهم وعصرهم.. في أربع وعشرين ساعة، أو الذين يتوهّمون أن معركة الإسلام والإنسان يمكن أن تربح مرة واحدة، كليّاً، إلى آخر الدهر.. واهمون، قصيرو نظر، قاصرو عقول

إنّ معركة الإنسان، والإسلام من أجل الإنسان، هي معركة الوجود الإنسانيّ كلّه، والعصور -كلّ العصور- إلى نهاية الحياة الدنيا

وطُوبى لكلّ إنسان يخطو على طريق الإسلام خطوة، أو يقيم عليه مَعْلَماً، أو يقطع عليه بنفسه، أو بأمته وبلاده، أو بالإنسانيّة كلها، مرحلة من المراحل

فلا بدّ من الثبات والصبر على طول الزمان، ووعورة الطريق، وشدّة البلاء -إن نزل بلاء-، وكيدِ الشيطان لنا من داخل أنفسنا، أو أنفس أعدائنا، ومن متابعة الطريق والجهاد إلى الغاية العتيدة، والأهداف المنشودة، فهذا هو انتصارنا الحقيقيّ، وشرفُ حياتنا، وفلاحُنا في دنيانا وآخرتنا، وما عند الله خير وأبقى لنا -إن فاتنا بعض أو كلّ حظوظ الدنيا-

إن تحديد المبادئ، والأهداف البعيدة والقريبة، ليس مسألة إنشاء وصَفّ كلمات، ولكنه حصيلة علم وفهم ووعي بالإسلام وحقائقه ومقاصده وقواعده، ومعرفة عميقة دقيقة بواقع المسلمين والعالم والعصر، وحاجات المسلمين والناس الأساسيّة الموضوعيّة في هذا العالم والعصر

وما أعظم ما يحتاجه ذلك من علم وفهم، وخبرة ووعي، وأمانة وتجرّد، وذكاء وجهد، وإخلاص وشجاعة في طلب الحق والتزامه والصبر عليه

تحديد المبادئ والأهداف الأساسيّة الموضوعيّة أمر لا بدّ منه، ولا مَعْدى عنه، ولكن لا بدّ أن نواجه بعده -أو بالأحرى معه- التحدّي الآخر الكبير: أن نترجم المبادئ والأهداف إلى برنامج عمليّ مرحليّ تفصيليّ متسلسل مرن متطوّر.. يتناسب مع المعطيات والإمكانات، ومع الزمان والمكان والظروف؛ وإلاّ بقيت مبادئنا وأهدافنا مجرد أفكار وأمنيات، أو خيال وأحلام، أو أشياء ساميّة بعيدة سابحة في الفضاء، لا يربطها رابط بالأرض والواقع المعاش .. وذلك أيضاً يفتقر إلى أعظم علم وفهم وخبرة ووعي، وأمانة وتجرد، وذكاء وجهد، وإخلاص وشجاعة في طلب الحقّ والتزامه والصبر عليه

❊❊❊

إنّني لأحسّ بالحياء والخجل، والحزن والألم، وأنا أكتب -أو أعيد كتابة- بعض البديهيّات والأوّليّات التي كان يُفترض أننا فرغنا منها من أمد بعيد؛ ولكن ماذا أصنع إذا كان بعض المسلمين العاملين ما يزالون -وا أسفاه- يجهلون أو يتجاهلون، أو يحتاجون تذكيراً بعد تذكيرٍ بهذه الأشياء؟!

❊❊❊

إنّني عندما أطرق بابك يا أخي.. لا أحمل سلاحاً أضغط به عليك، ولا منفعة ماديّة عاجلة أسوقها إليك.. لا أحمل معي إلاّ قلبي، وحبّي، ورسالة ربي.. أستفتح بها بابَك وقلبَك، لنمضي معاً في هذه الظلمات الكثيفة على نور الله، نستكشف به آفاق النفس والحياة والحاضر والمستقبل، ونستنير به وننير لغيرنا الطريق: طريق الحقّ والخير.. طريق النجاة والفلاح.. طريق الجنّة والخلود

❊❊❊

لماذا لا نصبر يا أخي مع الحقّ والواجب والخير، وعلى الحقّ والواجب والخير ؟!.. وهل نكون إذا تخلّينا عن الحقّ والواجب إلاّ أمواتا: أمواتَ نفوسٍ وضمائر، وإن ظللنا أحياءَ أجسام.. وما قيمة حياة «فيزيائية» فقدت غايتها ومغزاها وشرفها؟!

أليس الأَوْلى أن تُدفن هذه الأجسام المتحرّكة التي تُسَمّمُ روائحُ نفوسِها الميتة المتعفّنة الأجواء؟!

❊❊❊

إنك لن تستطيع أن تخدم أُمّتك وبلادك والإنسانيّة إن انحرفتَ معها إذا انحرفتْ، وتابعتَها في سُبُل الباطل والضلال؛ ولكنك تخدمها وتنقذها إذا استمسكتَ بالحقّ، وجاهدتَ بكلّ ما تملك لردّها إليه، واحتملتَ في ذلك صابراً راضياً محتسباً كلّ ما نزل بك وينزل من المصائب والأهوال

رحم الله «أم أيمن»

لم تكن مع الحقّ والواجب والخير بفكرها وكلامها فقط؛ ولكنّها كانت معه أيضاً بقلبها وعاطفتها وكلّ كيانها، فثبتتْ صابرةً راضيةً محتسبةً على طريق الحقّ حيث لا تثبت أحياناً رواسي الجبال، واحتملتْ صابرةً راضيةً محتسبةً ما أصابها في نفسها وأسرتها من الشدائد والآلام، وآثرت الموت عندما أحاطت بنا نُذُرُ الموت منتصبةَ القامة، شامخةَ الهامة، باسمة الثغر، على القعود عن الحقّ والاستسلام للطاغوت

رحم الله هذه المرأة العظيمة ما أوسعَ ما تركتْه في مجتمعنا وفي الساحة الإسلاميّة من فراغ! وما أروعَ ما قدّمتْه من قُدوة ومثال!

أما الفراغ الذي تركتْه في نفسي وحياتي وحياة أسرتي.. فهو أكبر من أن يُصَوَّر

اللهمّ إنّي أشكو إليك بثّي وحزني، وأحتسب ذلك كلّه عندك..

اللهمّ لا تحرمنا أجرها، ولا تفتنّا بعدها، واغفر لنا ولها

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

كثيرون يؤمنون بأهداف ساميّة؛ ولكنّهم لا يعرفون طريقها، ولا يحاولون معرفته وسلوكه بجدّ، فلا يصلون إليها بحال من الأحوال

وكثيرون يرسمون لأنفسهم طريقاً نظرياً أو خيالياً منفصلاً عن قدراتهم، وعن حقائق زمانهم ومكانهم وظروفهم، فيصدمهم الواقع القاسي، فيحطمهم، أو ينحرف بهم، أو يقعد بهم عن العمل

لا بدّ من رؤية الطريق الواقعيّ الأصيل القويم إلى الأهداف

ولا بدّ من رؤية مراحله الواقعيّة الضرورية والممكنة في زماننا ومكاننا وظروفنا وعالمنا وعصرنا..

ودون ذلك.. ودون ما يتطلّبه من علم وفكر وتجربة وخبرة.. وجهود عظيمة صادقة صابرة أمينة شجاعة.. لا نستطيع أن نبلغ أهدافنا أو أن نقود إليها الناس؛ بل ربما غدونا مُعَوّقاً عنها، وبلاءً عليها وعلى من يسعى إليها.. وما أكبر مسؤولية ذلك في الدنيا والآخرة

بعض صغار العقول من أنصاف المثقّفين وأرباعهم أو أعشارهم، يتوهّمون أن بعض الحقائق والأفكار قد وُلدت في العالم لأول مرة عندما عرفوها، أو تنبهوا إليها، أو خطرت لهم على بال في لحظة من اللحظات.. وهي ربما تكون قد ولدت قبل ميلادهم، أو قبل أن تخطر على بالهم، بسنينَ أو مئاتِ سنينَ أحياناً، أو آلاف سنين

ما أحوجنا إلى رجاحة العقول، وسعة الاطلاع، والخروج من سجن الذات والأنانيّات، لِنُقوّم أفكارنا وأعمالنا تقويماً موضوعيّاً دقيقاً، ونضعها من تاريخ الفكر والعمل في مكانها الصحيح، ولننصف أنفسنا وغيرنا، وننصف الحقيقة قبل كلّ شيء من طغيان الجهل، وقصور العقل، وسلطان الأنانيّات والأهواء

لا يقول أحدنا جديداً، ولا يكشف خفيّاً، عندما يتحدث عن هذه الحرب الشاملة، الخفيّة أو المعلنة، على الإسلام والمسلمين، محليّاً، وعالميّا.. عسكريّاً وسياسيّا .. اجتماعيّاً واقتصاديّا .. ثقافيّاً وحضاريّا .. فذلك ظاهر لكلّ ذي عينين أو أذنين، يبصر أو يسمع، ويفكر بعض التفكير

ومن أخطرِ الحربِ الثقافيّة وأمكرِه تزويرُ التاريخ: طمسُ بعض حقائقه .. إغفالُ بعض جوانبه.. حشوُه بكثير من الكذب والتحريف..

ومعنى ذلك أن أجيالنا الناشئة والقادمة قد تضلّ عن الحقائق في المستقبل، وتنخدع بأباطيل أُلبست ثياب الحقائق، فتخطئ الرؤية والحكم، وتنحرف عن سواء السبيل

ومن آلَمِ ما يكون أن تجد أحياناً بعض المسلمين يسهمون بعض الإسهام مع أعدائهم في طمس جوانب إسلاميّة مضيئة، ومحوِ مواقف إسلاميّة شامخة، وافتراءِ غير الحقّ في بعض الأمور، لخلافات بينهم ونزاعات.. إن أرضت أهواءهم وصغائرهم، وشفت نفوس بعضهم من بعض .. فهي لا تخدم الإسلام والمسلمين، ولا ترضي الله عزَّ وجلَّ

بعض الناس لا يتمثّلون إذا ذكرت القوة إلاّ قوة الجسم والسلاح، ولا يلتفتون إلى قوّة أكبر وأشمل وأبعد أثراً: قوّة الإيمان والأخلاق، وقوة العلم والعقل والخبرة والرأي والتدبير والإبداع.. على كثرة ما يُنبّهُنا على ذلك ديننا وتراثنا

إنّ الإسلام يريد منا أن نكون أقوياء في كل جانب ومجال: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...**﴾ [الأنفال:60]، وأن تكون قوّتنا كلّها في خدمة الحقّ والعدل والخير.. والإنسان

مِن شرّ ما يُبْتلى به المسلمون عالمٌ عاقل ليس عنده إِخلاص، ومخلصٌ عامل ليس عنده علم ولا عقل.. مما يوقع بهم دائماً أبلغ الأضرار

***

من أخطر ما يفتك بنا من داخل صفوفنا:

الجهلُ

وصِغَرُ العقل

وضيقُ الأفق

والولعُ بالجزئيّات على حساب الكُلّيات

والعجزُ عن تجاوز ما يقع بنا أو نقع فيه من الأمور

***

عندما يعجز الناس عن عظائم الأمور ومعاليها، ويدّب في قلوبهم الإِحباط واليأس من إِدراكها، يشتغلون بصغائر الأمور وسفاسفها، فتمتلئ بها قلوبهم وعقولهم وأوقاتهم، كما تمتلئ قلوب الموتى ورؤوسهم وقبورهم بالديدان والحشرات..

وهذا شأن كثير من الناس في بلادنا ومجتمعاتنا هذه الأيام!!

***

من معالي الأمور أن تصبر على معالي الأمور، وأن تموت وأنت ترنو إِلى فوق، وتأبى الانحدار إِلى السفاسف والدنايا مهما كانت الظروف، ومهما كانت المصاعب والآلام

***

المسلم التافه أكثر أذىً للإِسلام أحياناً من بعض أعداء الإِسلام

وهو تناقض في التعبير نقع فيه عندما نصف مسلماً بالتفاهة؛ فالإِسلامُ الحقُّ والتفاهةُ لا يلتقيان. وما نراه في بعض المسلمين من التفاهة إِنّما هو في الغالب أثر من آثار الانفصام الواقعيّ بينهم وبين الإِسلام إِلاّ من رحم الله

***

قضايا إِسلاميّة كثيرة تضيع وهي حقّ بَيِّن، لأنه ليس لها رجال على مستواها، ومستوى الحفاظ عليها أو تحقيق انتصارها: إِيماناً وإِخلاصاً، وعلماً وإِبداعاً، وإِرادةً وقدرة وشجاعة

ما أحوجنا.. ثمّ ما أحوجنا.. ثمّ ما أحوجنا إِلى الرجال!

ما أحوجنا إِلى رجال .. رجال بالجوهر لا بالأشكال، وبالحقيقة لا بالخيال، فشرُّ ما يُبتلى به الأقزام أن يتوهّموا أنهم عمالقة وهم أقزام، وشرُّ ما يُبتلى به أتباعهم المغرورون بهم أن يكتشفوا هذه الحقيقة بعد فوات الأوان، أو أن لا يكتشفوها على الإِطلاق

لا تجعلوا الممكن مستحيلاً بتخلُّفِكم ووهنكم وعجزكم، ولكن اجعلوا المستحيل ممكناً بإِيمانكم وإِرادتكم وصبركم، وعلمكم وفكركم وإِبداعكم، وعملكم وجهادكم وتضحيتكم، وسائر ما يحتاجه ذلك من صفات وإمكانات ومؤهلات

كيف نقبل الجمود، بل كيف يمكن الجمود، في عالم تتجدّد معلوماته ومعطياته ومطالبه وعلائقه ووسائله.. باستمرار

لا بدّ لنا من التجدّد الدائم، والإِبداع المتواصل، والجهاد المضي في كلّ مجال .. وإِلاّ فقدنا حياتنا ووجودنا الفاعل المؤثر، وأزاحنا الركبُ البشريّ عن طريقه، وقذف بنا إِلى هامش الهامش، أو هوّة التاريخ، فذهبنا جُفاءً كما يذهب الزَّبَدُ وغُثاءُ السيل، ومُحينا من لوحة الحاضر والمستقبل، وتحولنا إِلى ذكرى من ذكريات الماضي البعيد

من عشرات السنين وأنا أردّد وأؤكّد حاجتَنا الماسّة نحن المسلمين إِلى إِدراكٍ متجدّد للمتغيّرات، وإِبداع متجدّد في الأفكار، وتطوير متواصل في الوسائل، وقدرة دائمة على إِعادة النظر فيما صنعنا وفيما نصنع، لتصحيحه وتحسينه والارتقاء به إِلى أقصى ما يُستطاع من الحيوية والفاعلية والصواب والكمال .. ونحن الآن أمسُّ حاجة إِلى ذلك من أيّ وقت مضى، بل يكاد يكون الأمر قد غدا الآن أمر حياة وموت، ووجود وعدم

يجب أن نتجاوز أنفسَنا كلَّ يوم على كلّ صعيد.. يجب أن نرتفع إِلى مستوى مهمّتنا وواجباتنا الكبرى.. يجب أن نحاول ذلك في كلّ وقت وكلّ مجال، ويجب أن نقدر عليه ونصل إِليه.. هذا هو قدرنا: إِمّا أن نرتفع إِلى القمّة وإما أن نهوي إِلى الحضيض.. إِمّا أن نربح الدنيا والآخرة وإِمّا أن نخسرهما معا

صدّقوني: أنا أحاول –على شيخوختي ومرضي– أن أرتفع كلّ يوم بنفسي إِلى مستوى مهمّتي وواجبي، وحاجة الإِسلام والمسلمين والإِنسان في عالمي وعصري.. ولكنّ شيخوختي لا تستطيع –وا أسفاه– ما تستطيعه الكهولة والشباب

الشباب هو الأمل.. الأمل في تجاوز تخلفنا العلميّ والفكريّ والخلقيّ: الفردي والاجتماعيّ.. وفي تجاوز واقعنا الحقير المهين على كل صعيد

الشباب هو أملنا؛ بل أملُ الإِنسانيّة كلّها.. فهل يحقّق شبابنا آمالنا الكبار الكبار؟.. هل يكونون في حياتنا منعطفاً حاسماً بين حاضرنا ومستقبلنا؛ أم يكونون استمراراً للتخلّف والحقارة والهوان؟!

هل ينقذون أنفسهم وينقذوننا وينقذون الإِنسانيّة كلّها؛ أم يكونون مثلَنا من الهالكين؟!!

اللهمّ ألهمهم رشدهم، وأعذهم من شرّ أنفسهم وشرّ أعدائهم

اللهمّ احفظهم وأعنهم ووفقهم.. ولا تخيّب بهم الآمال

من أشدّ ما يحزنني ويؤلمني شبابٌ لهم إِهابُ الشباب، وليس لهم روحُه وطموحُه.. شبابٌ فيهم وهنُ الشيخوخةِ الغاربةِ وعجزُها واستسلامُها.. وهم بَعْدُ في فجر الحياة!!

أشتاق أن أهب حياتي –إِن بقي لي حياة– إِلى كُمِّ وَرْدٍ يتفتّح عن أملٍ جديد وعَبَق جديد وشُعَاعَةِ نورٍ تولد في ليلنا الطويل البهيم

وفتىً طاهرٍ طامحٍ واعٍ شجاع، يرنو إِلى ما وراء الحاضر المظلم بطرفه وفكره وقلبه.. يوقد الشعلة المطفأة رغم الأعاصير.. ويرفعها رغم المخاوف.. ويستأنف المسير بها من حيث انتهت من قبله الخُطَى، إِلى المستقبل الإِسلاميّ والإِنسانيّ المأمول، رغم كلّ المخاطر والمتاعب والعقبات

مهما بدا الطريقُ مسدوداً

مهما بدا مظلماً موحشاً

مهما عربد فيه زبانيةُ الظلم

ونسجت فيه عناكبُ اليأس

ونعقت فيه أغْرِبَةُ الموت..

لا بدّ أن تأتي لحظات يشعّ فيها نور، وتنفتح فيها ثغرة، ويكون من ورائها تحوّل

المهمّ دائماً: ألاّ نفقد الإيمان والأمل، والعزم والعمل، والرؤية البعيدة، والصبر الجميل..

المهم: ألاّ يفترس اليأسُ قلوبنا وإرادتنا وكرامتنا، وثقتنا بربّنا وأنفسنا ومستقبلنا..

وألاّ نسقط أبدا.. أبدا.. على ركبنا راكعين ساجدين مستسلمين للقنوط، وللطاغوت..

وألاّ نتوقّف لحظة واحدة عن السير الحثيث إلى الغاية، والنهوض القويّ الأمين بالواجب

إنّ لحظات النور والفرج والتحوّل التاريخي ستأتي.. ما في ذلك شك؛ ولكن لن يستفيد منها إلاّ من انتظرها، وسهر لها، وكدح من أجلها، ورفع نفسه، إلى مستواها، ومستوى الاستفادة منها، على كل صعيد ممكن

أنا لا أحتقر الحاكم المنحرف الظالم فقط؛ ولكنني أرثي له أيضاً وأشفق عليه؛ فليس هنالك أسوأ حالاً، وأجدر بالشفقة والرثاء، ممن أعرض عن طريق الحقّ والعدل والرحمة والخير.. وتحوّل في حقيقته إلى وحشٍ ضار، مرهفِ الأنيابِ والأظفار.. وإن بقي له مظهر إنسان

وَيْلٌ لهذه العبوديّة التي تجعل ملايين البشر يهتفون لجلاديهم، وفي أيديهم الأغلال، وفي أعناقهم النير، وفي نفوسهم الهوان.. خوفاً من السوط أو الموت.. وطمعاً في فُتاتِ الدنيا، ومتاعها الذي لا يدوم

ألا ما أحوج الإنسانيّة إلى الحرية والأحرار

ما أروع أن يكون قلبُك حُرّاً.. وفكرُك حرّاً.. ولسانُك حرّاً.. وأن تحسّ نفسَك في أعماقك حرّاً.. ولو وضعوا في يديك ألفَ قَيْد، ورموْك في ألف سجن، وحكموا على جسدك الفاني ألفَ مرّةٍ بالموت

وما أبشع أن يكون قلبك عبدا.. وفكرك عبدا.. وأن ترسف روحك في جوانحك في القيود والأغلال.. وإن أطلقوا عن لسانك ويديك وقدميك.. وتركوا جسدك «حرّاً!!» يذهب كالآلة الميتة ويجيء.. لخدمتهم.. أو للقشور وسفاسف الأمور

ليست الحريّة أن تتحرّر من القيود الخارجيّة فقط؛ ولكن أن تتحرّر أيضاً، بل أن تتحرّر أوّلاً، من الجهل والضلال والهوى، والعبودية للناس وللدنيا، وكلّ عبودية لغير الله عزَّ وجلَّ.. ألا ما أصعب الحريّة وما أقلّ الأحرار

من أول واجبات المسلم أن يُفَجّرَ وأن يُنمّيَ ما حَباه الله من مواهب وطاقات وإِمكانات، وأن يُصَرّفهَا حسب استعداداته وظروفه وحاجات الإِسلام والمسلمين والإِنسان، وأن يبلغ بها أقصى مداها، بأقصى ما يملك من الأمانة، والإرادة، والجهد

ومن المحرّمات المهلكات أن يقتل أو يُعطّل ما حباه الله من المواهب والطاقات والإمكانات، وألا يُحسن تربيتها واستثمارها والاستفادة منها لنفسه، وللإِسلام والمسلمين، وللإِنسانيّة كلها.. بأحسن ما يستطيع

أن نَخسرَ معاركنا العقيدية والفكرية والأدبية أشدُّ خطراً من أن نخسر معاركنا العسكرية والسياسيّة.. ونحن نخسر في هذه وتلك وا أسفاه!.. نخسر وعندنا –أحيانا– كلُّ قابليّات النجاح

عندما تُنْبِت حقولُنا عِظامَ الرجال

عندما تُعطي روائعَ الأزهار، وأطايبَ الثمار في العلم والفكر والأدب والفن.. وفي كلّ مجال، نربحُ معركتنا الحضارية، وإِذا ربحنا معركتنا الحضارية ربحنا أنفسنا وحريتنا ومستقبلنا

أمّا إِذا عقمت حقولنا فلم تُنبت، أو لم تُنبت إِلاّ أشباه الرجال، ولم تعط إلا القليل الرديء من الأزهار والثمار، فسنخسر معركتنا الحضارية؛ وإِذا خسرنا معركتنا الحضارية خسرنا أنفسنا وحريتنا ومستقبلنا.. فما

أحرانا أن نحسنَ الغِراسَ وتَعَهُّدَ الغراس، وأن نوفر لحقولنا وغراسنا كل شرائط الخصوبة والرعاية والنماء والعطاء

❧❧❧❧❧❧

أليس من المُفارَقات العجيبة، والمآسي الأليمة، أنّك لا تستطيع أن تُنصِفَ الإسلام وتدفعَ عنه التُّهم، وتُحَسِّنَ صورته في النفوس والعقول.. إلاّ إذا فصلتَ بينه وبين المسلمين وواقعهم الشائن، بَدَلَ أن يكونوا تجسيداً له، وبياناً لمزاياه، وشهادةَ حقّ على مصدره الإلهي، وصلاحه، وصلاح الناس به، في كل زمان ومكان؟!!

❧❧❧❧❧❧

يجب أن نواجه أنفسنا –على الصعيد الفرديّ والجماعيّ– بغاية الشجاعة والصدق والوعي، وأن نجاهدها حقّ الجهاد للتحرّر من سلبيّاها وعللها القاتلة التي تفتك بنا في مختلف أحوالنا وجوانب حياتنا، وتصنع لنا ما تصنع من المصائب والمآسي..

إنّ الخطر الذي يهدّدنا من داخل أنفسنا وصفوفنا أشدّ وأقوى من أيّ خطر خارجي، وجهادنا المثمر يجب أن يبدأ في أنفسنا، ففي هذه الأنفس تولد الهزيمة أو النصر في الحاضر والمستقبل، في بلادنا وفي سائر الدنيا

❧❧❧❧❧❧

أشدُّ الغربة ألاّ تجد من يفهمك، وإن كان حولك من عارفيك ومحبيك ألوف

❧❧❧❧❧❧

نحن المسلمين في هذا الزمان، نُتَّهم ونُدان، كما يُتَّهم الأخرس العاجز ويُدان..

ينسبون إلينا من الحقّ والباطل ما يُحبّون، ويُصْدرون من الأحكام ما يشاؤون، وينفّذونها كما يريدون.. ونحن عاجزون عن بيان الحقّ، وتفنيد الباطل، والانتصاف للحقّ والنفس

وإذا كان ظلمهم لنا جريمة، فعجزنا الذي يشجعهم ويساعدهم جريمة أيضا.. فنحن شركاء في كلّ ما يقع بنا وبالحقّ من الظلم والبلاء

❧❧❧❧❧❧

إذا رضيتَ أن تكون حَمَلاً، فلا تعتبْ على أنياب الذئبِ أو سكّينِ الجزار

إنّني أخاطب المسلمين جميعاً من وراء فواصل الحركات والأقطار، فبئستِ الحركاتُ والأقطارُ أسواراً تفصل بين المسلمين، وأغلالاً تقيّد الخُطى والعقول، وتحول دون التواصل والتفاعل والتقدّم والإبداع

ألْقِ بذورَ الحقّ والخير حيثما كنتَ في كلّ أرض، وحيثما استطعتَ من كلّ وقت.. ولا يُفاجِئْك ولا يُثبّطْكَ أن لا تُنبت بعضُ الأراضي، أو أن لا تُنبت لك ولسواك إلاّ العَلْقَمَ والشوك.. فثوابُك كلّه أمامك عند الله.. ولا بدّ أن يَغلب الحقُّ والخير في نهاية الأمر وخاتمة المطاف

إننا نحتاج لأداء رسالتنا الإسلاميّة على الوجه الأمثل في هذا العالم والعصر عقولاً وقلوباً تتّسع للكون وما فيه بالمعرفة والفهم، والحب والعطف، وإلى رؤية شاملة صادقة لخير البشر الآن، وعلى امتداد الزمان والمكان، واختلاف الشعوب والأوطان، ولا يكفي قراءة قاصرة جامدة لبعض الكتب والنصوص، ورؤية جزئية ضيقة لبعض جوانب الدين والحياة

إنّ الإسلامَ يصل المسلمَ معرفةً وفكراً وعاطفةً بالسموات والأرض، والحياة والنفس، والكون وما سَنّه الله فيه من سُنَن، وبمغزى ذلك كله، وما يستفاد منه، ويترتب عليه.. فالذين يكتفون من الإسلام ببعض النصوص الجزئية، ولا ينفذون منها ومن غيرها إلى كُلّياته ومقاصده وتوجيهاته الكبرى في مختلف الأمور، ولا ينظرون ولا يتفكّرون في الكون والحياة والإنسان والمجتمعات.. لا يفهمون الإسلام حق الفهم

ما من معرفة جديدة أو أداة جديدة يكتشفها الإنسان إلاّ ويمكن استخدامها في خير أو شرّ، ونفع أو ضُرّ..

كيف نجعل المعرفة للخير لا للشرّ، والنفع لا للضرر، دون إيمان بالله واليوم الآخر، وبالحساب والثواب أو العقاب، ودون شعور عميق بالمسؤولية الكبيرة عن كل ما نعلم ونعمل في هذه الحياة؟!

كلّما نمت معرفة الإنسان وقدرته ووسائله.. عظمت مسؤوليته، فمسؤولية الإنسان الآن أكبر منها في سائر ما تقدّم من العصور

من أكبر الأخطار على البشر أن تنمو المعرفة والقدرة والوسائل، وأن يتقلّص الشعور بالمسؤولية، وتقلّ المبالاة بالخير والشرّ

إن لم يرتفع ضميرُنا إلى مستوى معرفتنا، وحكمتُنا إلى مستوى قدرتنا ووسائلنا.. فعلينا وعلى الدنيا السلام

القراءةُ في كتاب الكون والحياة هي من القراءة في كتاب الله عزَّ وجلَّ، تتكامل القراءتان ولا تتناقضان، وكلاهما ضروريّ للعلم والفهم والنهوض بمهمّة الخلافة في الأرض

يجب أن يبدأ في أنفسنا التحوّل؛ ولكن يجب ألاّ ينتهي فيها، ولا يقف عندها، وأن ينطلق منها إلى مختلف جوانب العالم والحياة

قد يكون شابٌّ عاقلٌ، وشيخٌ جاهل
وقد يستفيد امرؤٌ من قليلِ تجاربه، ولا يستفيد آخر من كثيرها
وقد ينتفعُ رجلٌ بيسيرِ علمه، ويكون غزيرُ علمٍ حماراً يحمل أسفارا!

إيّاك أن يضيع منك الحاضر، فهو لحظة الفعل الوحيدة في حياة الإنسان، مَن أضاعها أضاع المستقبل والحياة؛ ولكن إيّاك أن تحبس نفسك وفكرك ونظرك وآمالك وأحلامك في حدود الحاضر وحده.. ففي ذلك الضلال والضياع والموت

هنالك ناس شغلتهم الثرواتُ والشهواتُ ونشوةُ السلطة والجاه عمّا سواها من المهمّات والواجبات..

وهنالك ناس شغلتهم أحلامُ الثروة والشهوة والجاه والسلطة عمّا سواها، وإن لم ينالوا منها في الواقع شيئاً سوى الحرمان

ما الفرق في الجوهر يا تُرى بين هؤلاء وهؤلاء؟!

أين الرجال الذين لا تشغلهم الدنيا -إن نالوها- عن الحقّ والواجب، ولا تنصرف إليها قلوبهم وعقولهم وأحلامهم -إن حُرِموها- عن الحقّ والواجب

الواقع الراهن قبر رهيب وإن بُنيَت جدرانه أحياناً بالرخام، وفُرشت أرضه بالحرير

إنّنا أحياء، فلماذا نعيش قبل القبر في قبر؟!! أم أننا متنا ونحن ما نزال نتوهم أننا في قيد الحياة؟!!

لِصَغَارنا في أنفسنا، واعتيادنا رؤيةَ الصَّغَار فيمن حولنا وما حولنا، لم نعد نصدّق أن في الدنيا عظمة، فإذا فوجئنا بإنسان عظيم، كذّبنا أبصارنا وبصائرنا، وغَلَبَنا الشكُّ على اليقين فيما نراه

متى تكثر نماذج العظمة بيننا فنألفها فلا تكون غريبة عندنا إلى هذا الحدّ؟!

إذا كنتَ حُرّاً حقيقيّاً كرهك وحاربك كلُّ من اعتاد في عنقه النِّير، أو رضي بالعبودية من أجل متاع الدنيا.. فاجتمعَ على حربك أحياناً الطغاة، وبعضُ من تعمل على تحريرهم من العبيد

إِذا ارتبطت حياتك ارتباطاً صادقاً بالحقّ والعدل والخير وسائر القيم العُليا.. كانت قيمتك مِنْ قيمتها، وقدرتك من قدرتها، وغَلَبَتُكَ من غَلَبتها.. ولا بدّ أن ينتصر الحقّ على الباطل، والعدل على الظلم، والخير على الشرّ.. وأن تنتصر أنتَ أيضاً، أو تنتصرَ قضيتُك، في حياتك أو بعد مماتك، على الطغيان والطاغوت

قد ينجح قاطع طريق فيقتل وينهب ويهيمن وقتاً يقصرُ أو يطول؛ ولكنه يبقى وهو في أوج قوّته وسيطرته.. لِصّاً وقاطع طريق

وكذلك كلُّ من يبغي على الشعوب فيفتك بها، ويسلب حقوقها، ويستعبدها ويسخّرها.. من الحكام الظالمين المجرمين

إِنّنا نكره الظلم حيثما وُجد، وكيفما وُجد، سواء وقع بنا، أو بأصدقائنا، أو بأعدائنا.. في بلادنا أو في أيّ مكان آخر من الأرض.. في زماننا أو في أيّ حِقْبَة أخرى من حِقَبِ التاريخ..

إِنّ الإِسلامَ عدل مطلق؛ فالمسلم المسلم عقيدته العدل، وشريعته العدل، وأخلاقه العدل، فهو لا يقبل الظلم بحال من الأحوال، ولا يهادنه ولا يسايره.. فضلاً عن أن يكون عونه وأداته، أو ستاره ومُبرّره، في جرائمه بحقّ الإِنسانيّة والإِنسان، وحقوق الإِنسان

تَفْنَى الْحَيَاةُ وَيَبْقَى مِنْ كَرامَتِنَا مَا لَيْسَ يُفْنِيهِ أَسْقَامٌ وَأَعْمَارُ
كُنّا مَعَ الْفَجْرِ أَحْراراً، وَقَدْ غَرَبَتْ شَمْسُ الشَّبَابِ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ أَحْرَارُ

كلّما بعدت الأهداف، وغامت السُّبُل، وصعُب المسير، وعظُم الخطر، وغلا الثمن.. تبيّن المؤمنون الصادقون من المؤمنين الكاذبين، والمحبّون الحقيقيّون من المحبّين الزائفين، وانكشف الرجالُ وأشباهُ الرجال للعيون

أنا لا أبيع مُثُلي وأهدافي، ولا أُبادل بها، ولا أتخلّى عنها، ولا أقعد عن خدمتها والعمل لها، ولا أبالي كثيراً -إذا أخلصتُ القصد، وأحكَمْتُ العمل، واستفرغت الجهد- أن أنجح أو أُخفق، وأن أسعد أو أشقى، وأن أموت في آخر الطريق أو أوّل الطريق.. ولكنّ عينيَّ لن تتطلّعا إلى مُثُل وأهداف أخرى مخالفة، وقدميّ لن تعرفا سُبُلاً أخرى منافية.. ولو كان معها وبها الأمن والسلامة وكلُّ مغريات الدنيا

يقولون لنا: إنّ السياسة هي فنّ الممكن، ولا يمكن أن ينتصر الحقّ والواجب والخير في بلادنا وعالمنا وعصرنا!!

ونقول لهم: بل السياسةُ في جانبها الأسمى والأجدى: أن نجعل انتصار الحقّ والواجب والخير في بلادنا وعالمنا وعصرنا ممكناً؛ ولكن ذلك يحتاج نمطاً آخر من السياسيّين المؤمنين المقتدرين، غير هؤلاء الذين يحتلّون مسارح السياسة والحياة هذه الأيام

ما هذه الثقافة؟! وما هؤلاء المثقّفون الذين يقفزون من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، ومن الديمقراطية إلى الدكتاتورية ومن الدكتاتورية إلى الديمقراطية، ومن الرأسمالية إلى الاشتراكية ومن الاشتراكية إلى الرأسمالية، ومن التبعية الأجنبية إلى الاستقلال الوطني ومن الاستقلال الوطني إلى التبعية الأجنبية، ومن الشعوبية والقُطرية إلى القومية العربية ومن القومية العربية إلى الشرق أوسطية.. تَبَعاً لاختلاف الأنظمة والحكومات، والمصالح والمنافع الشخصية على كل صعيد

أينَ مسؤوليةُ الثقافة؟! وأين شرف الكلمة؟! وأين كرامة الإنسان؟!

قد تستعبد القوّة الغاشمة إنساناً فينقاد لها قهراً، أو ينقاد لها يأساً، أو ينقاد اعتياداً وبَلادةَ إحساس..

ولكنّني لم أر من يسعى إِلى العبودية سعياً، ويشتريها بماله شِراءً، ويفرح بها، بل يفاخر ويختال.. كما يفعل بعض حكام العرب والمسلمين هذه الأيام!!

لقد حمّلنا في الماضي الصهيونيّة والصليبيّة والاستعمار تبعات عجزنا وقصورنا وأخطائنا، وأخشى الآن أن نحمّل «النظام العالميّ الجديد!!» تبعات هذه الأدواء، وأن نستريح لذلك ونطمئن إِليه، ونخادع به أنفسنا، فنقعد عن النقد الذاتيّ الأمين، ورؤية مسؤوليّتنا فيما أصابنا، وأصاب غيرنا بسببنا، ونتوانى عن تجاوز خطئنا وقصورنا وعجزنا، وعن اكتشاف واجباتنا المختلفة، والنهوض بها على كلّ صعيد

قال: ما أجرأَهم وما أجبنَهم!! وما أعزَّهم وما أذلَّهم!!..

قلت: من تعني؟

قال: بعض حكّام العرب والمسلمين

قلت: إِنّني لا أفهم كلامك فهو –كما يبدو لي– غامض متناقض

قال: ما أجرأَهم وأعزَّهم على أمّتهم وبلادهم! وما أجبنهم وأذلّهم في مواجهة أعداء الأمّة والبلاد!!

قلت: ومع ذلك فما يزالون يحكمون، وما تزال في أيديهم الأزمّة والمصائر!!

قال: ولذلك –مع سواه من الأسباب– لقينا ما لقيناه، والعياذ بالله مما سوف نلقاه!

قلت: والشعوب؟

قال: «كما تكونوا يُوَلّ عليكم» و﴿...**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**...﴾ [الرعد:11]

ما أكثر ما تجد علماً وفكراً صواباً، وتجد معهما عملاً مغايراً كلّ المغايرة للعلم والفكر والصواب!!

إِنّ مشكلتنا ليست مشكلة علم وفكر فحسب، ولكنّها أيضاً مشكلة تربية وأخلاق

العملُ السّيّئُ تحتَ رايةِ أعداءِ الإِسلامِ حُجَّةٌ للإِسلام، وتحت رايةِ الإِسلامِ حُجَّةٌ لأعدائه عليه، فلا تكونوا بأعمالكم السيّئة حجّةَ الأعداء وسلاح الأعداء

الحرام هو الحرام سواء صدر من عدوّ أو صديق.. وإذا كان كَفُّ العدوِّ عن الحرام -عندَ القدرة- واجباً، فكفُّ الصديق أوجب؛ لحقّ الصداقة، وحقّ الله والإسلام

في نفسك أسبابُ النجاة وأسبابُ الهلاك، ولا يملك أهلُ الأرض جميعاً ما تملكه لنفسك من الصواب أو الخطأ، والخير أو الشرّ، والنجاة أو الهلاك في الدنيا والآخرة

بَدَلَ أن تُتعب نفسك، وتشغل فكرك ووقتك، في سَتر نقائصك وأخطائك، وإخفائها عن العيون.. اصرِفْ وقتك وهمّك وجهدك في التحرّر من هذه النقائص والأخطاء، فهو أروحُ لك وأنفعُ في الدنيا والآخرة

لا يولد الفجرُ إلاّ من رحم الليل؛ فلا تجحد ليلَك المظلم ما في أحشائه من الأمل والخير

من حقّك عليّ أن أكشف لك -ما استطعتُ- عن قلبي وفكري وتجربتي.. ومن حقّك أن تأخذ ما تشاء، وتترك ما تشاء، فليس هنالك كلام يؤخذ كلُّه إلاّ ما قال الله، وقال رسوله صلى الله عليه وسلّم

الفضائل درجات، والرذائل دَرَكات، فلا تقنط إذا لم تبلغ الدرجات العُلى، ولا تترك السعي إليها بجدّ واستمرار.. واعلم أنّ الإنسانَ والملاكَ ملاك، ولن يتحوّل الناس كلّهم إلى ملائكة في هذه الدنيا

من طبيعة الحياة أيضاً ما تراه من انحرافات وسخافات وتفاهات، فيجب أن يتّسع صدرك لهذه الحقيقة المرّة، وأن تُوَطِّن عليها نفسك، مع السعي الصادق الدائب البصير للاستقامة الدائمة مع الحقّ والواجب، والارتفاع المتواصل الطُّموح إِلى جلائل الأعمال ومعالي الأمور

يجب أن نصمّ آذاننا -أحياناً- عن سماع نصائح المهزومين الخائرين المستسلمين، لنسمع صوتَ الحقّ والواجب والضمير

وألاّ نصغي لِحِكَم الحاضر اليائس الخانع الحقير، لنسمع صوتَ الأملِ والمستقبل، بل صوتَ الأزل والأبد، والحقّ الخالد الذي يعلو على كلّ زمان ومكان..

وبذلك ينشأ فينا الأبطال الخالدون، القادرون على مُصابَرةِ كلّ النكبات، ومواجهة كلّ التحدّيات، ومغالبة كلّ العقبات، والانتصار على الطاغوت والطغيان، وتلبية مختلف حاجاتنا وحاجات الإِنسانيّة والإِنسان

هنالك ناسٌ قلوبُهم شِتاءٌ والعالَمُ من حولهم ربيع، وصقيعٌ والعالمُ من حولهم دِفْء، وظلامٌ والعالم من حولهم نور، ويأسٌ والعالم من حولهم أمل

وهنالك ناسٌ قلوبُهم ربيعٌ والعالم من حولهم شتاء، ودفءٌ والعالم من حولهم صقيع، ونورٌ والعالم من حولهم ظلام، وأملٌ والعالم من حولهم يأس..

أولئك هم ليلُ البشرية وهلاكُها، وهؤلاء هم فجرُها وحياتُها ورجاؤها وأداتها لحاضرٍ أرجى، وغدٍ أفضل

إِنّنا نخاطب المسلمين بأشياء كثيرة صحيحة ومفيدة وجميلة، ولكننا لا نرتفع إِلى مستواها، ولا نجسّدها في حياتنا، ولا نعمل بها على وجهها الأمثل؛ ولو أننا ارتفعنا إِلى مستوى كلماتنا لصنعنا الأعاجيب، وانتقل بنا المسلمون من حال إِلى حال

كلّما عَظُمَ المطلوب عظُم الخطر والثمن.. وما أعظمَ ما نطلب في هذه الحياة، وبعد هذه الحياة!

إِنّ الإِسلامَ يعلّمنا أن نستعيذ بالله من البخل، فالمسلمُ الحقُّ لا يكون إِلاّ جواداً، ومن الجبن، فالمسلم الحقّ لا يكون إِلاّ شجاعاً، ومن الكسل، فالمسلم الحقّ لا يكون إِلاّ نشيطاً فَعّالاً.. فأين المسلمون من الإِسلامِ هذه الأيام؟!

لا يُعطي أيَّ حركة من الحركات حقَّ البقاء والاستمرار، ولا إِمكانيّةَ البقاء والاستمرار، أنّه كان لوجودها مُبَرِّر مقبول قبل عشر سنين، أو عشرين سنة، أو ثلاثين؛ ولكنْ يجب أن يكون لوجودها مبرّر دائم من أمانتها وفعّاليّتها، وحاجة المسلمين إِليها في الحاضر والمستقبل، وقدرتها على الوفاء المعقول بهذه الحاجات

المستشار الخائن، والمستشار الجاهل، يُفَوِّتان عليك مصلحتك، ويوقعانك في المتاعب والمهالك، هذا عن حسن نيّة، وذاك عن سوء نيّة. ألاّ ما أندرَ المشيرَ القويّ الأمين! وما أعظم قيمته وفائدته عندما يوجد!

عَجَباً لبعض الناس.. يرجمون الشيطان بالحصى، ويرمونه -مبالغةً من عند الناس- بالنعال، وهو رمزٌ خارجيّ قائم أمامهم، ويفتحون له في ذات الوقت قلوبهم وعقولهم، فهو منها في حِرْز، ومَرْعىً خصيب، وسلطان مكين!!

سألني سائل عن سيّد قطب، وعن حقيقة ما وقع فيه -كما سمع- من أخطاء

وسيّد قطب -رحمه الله- لم يكن معصوماً، فله صوابه وله خطؤه؛ ولكنه كان عظيماً حقّاً، في زمنٍ أقزامُه وإِمَّعاتُه عَدَدُ الرمال

رحمه الله تعالى، ومدّ في حياة أخيه وصنوه محمد، وجزى الله سائر هذه الأسرة المباركة عن الإِسلامِ والمسلمين خير الجزاء

لقد نسيت اسم الشاعر الذي قال:

وآثَرْتُ إِدْلاجي على لَيْلِ حُرَّةٍ   هضيمِ الحَشَى حُسّانةِ المُتجَرَّدِ

أي: آثر سيرَ الليل على قضائه مع امرأة جميلة باهرة الصفات، على فراش الراحة والأُنس والملذّات

وهو خيار يعرض لنا دائماً بأشكال وألوان:

هل نؤثر الراحة والكسل والمتعة يا تُرى؟ أم نُدْلِجُ الليل إِلى واجباتنا ومطالبنا الكبرى، ونواجه ما فيه أحياناً من الوحدة والوحشة والمتاعب والأخطار؟..

وعند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرى

متى نعبّر عن إِسلامنا وعن أنفسنا تعبيراً أميناً صادقاً إِنْ كُنّا لا نقول إِلاّ ما يرضي هذا الملك أو هذا الرئيس أو هذا الثريّ أو هذا القويّ المتسلّط، مهما كان اسمه أو موقعه؛ وإِن كنا لا نقول ما يهدّد أمننا، أو يعطّل مصلحتنا، أو يصدم مجتمعنا، أو يقلّل أنصارنا ومَن حولنا؟

وكم ناسٍ عاشوا وماتوا ولم يعبّروا عن عقيدتهم وشخصيّتهم وذاتِ أنفسهم -إِن كان لهم عقيدة أو شخصية- لِمَا نقصهم من الصدق والإِخلاص والشجاعة والإِرادة، فأضاعوا فرصة الحياة ومغزاها، والإِنسانُ لا يعيش إِلاّ مرة واحدة في هذه الدنيا

من فوائد إِقامتِنا في الغرب -وللإِقامة في الغرب فوائد ومضارّ-، ومعرفتِنا المباشرة الأوثق بحياته وثقافته، وبواطنه وظواهره، استكمالُ تحرّرنا النفسيّ والفكريّ الواعي البصير من سلطانه المعنويّ المهيمن على كثير من الناس والمجالات في بلادنا، والقدرةُ على التمييز الموضوعيّ بين حقّه وباطله، وصوابه وخطئه، وعيوبه ومزاياه.. ولقد أصبح بإِمكاننا أن نقف منه موقف الأحرار لا العبيد، وأن نأخذ منه وندع، ونحمد فيه ونَذُمّ، بمقياس الحقّ والعدل والتقدّم الحقيقيّ، ومصلحة العرب والمسلمين والإِنسان

من الذي يستطيع منّا في هذا العالم والعصر أن يضمن أبناءه وأحفاده ومَنْ بعدهم كيف يكونون؟.. هل يهتدون أم يضلّون، وينجون أم يهلكون؟..

إنّنا بحاجة إلى وعي وجهد وقدرة تزيد مائة مرة على وعينا وجهدنا وقدرتنا، وإلى لطف الله وعونه وتوفيقه، لأداء حقّهم علينا، ومساعدتهم -ولو بعض المساعدة- على رؤية طريق الحقّ، والنجاة، بين طُرُق الباطل والضلال والهلاك، وعلى امتلاك الصفات والمؤهلات التي تمكنهم من الاستقامة عليه في هذه الحياة

إنّني أشعر أحياناً شعوراً قويّاً بضآلة الدنيا وحقارتها، فتعزف نفسي عزوفاً شديداً عنها، وأوشك أن أعتزلها وأدير لها ظهري، ولكنْ يَرُدّني عن ذلك أن الله قد استخلفنا في الأرض، وأن لنا مهمّة جليلة فيها لا بدّ أن نؤدّيها قبل الرحيل عنها، وأن ما نجنيه في الآخرة من جنّة الخلد، ورضوان الله عزَّ وجلَّ، إنّما هو -بعدَ رحمة الله وفضله- ثمرةٌ لما نغرسه في هذه الدنيا من الغراس الطيب، ونقدّمه بين أيدينا من الإيمان والعمل الصالح

فلا تديروا للدنيا ظهوركم، ولا تعتزلوها بجهودكم، ولا تقصّروا فيها بواجبكم، ولا تبخسوها حقّها وهي سبيلكم المحتوم إلى ثواب الله ورضوانه الأكبر

لا يحمل الغرب في واقعه رسالة إنسانيّة أخلاقية صادقة إلى الدنيا.. ولكن يحمل من وراء كلماته وشعاراته وادّعاءاته البراقة استعمارَه واستغلالَه ومصالحه الاقتصاديّة، وكلَّ ما شئتَ من غطرسة وقسوة -أحياناً- واستهتار واقعيّ بالإنسان وحقوق الإنسان

بعض الغربيين يقيمون الدنيا ويقعدونها باسم حقوق الإنسان من أجل فرد واحد أصابه بعض الأذى، إذا كان في ذلك هواهم أو مصلحتُهم؛ ولا يبالون شعباً كاملاً يُباد إبادةً، ظلماً وعدواناً، إذا لم يكن لهم في ذلك هوىً ولا مصلحة

يكفي كاتباً عربيّاً أو مسلماً أن يشتم الإسلامَ لتنفتح له قلوب الغرب وأبوابه، ويظفر بما لم يكن يحلم ببعضه من التكريم والمال والجاه، وإن لم يكن له وزن فكريّ أو أدبيّ أو خُلُقيّ

ويكفي كاتباً عربيّاً أو مسلماً أن يرفع رأسه بالإِسلامِ في الغرب، لتنغلق دونه القلوب والأبواب، ويصيبه ما لم يكن يخطر بباله من التجريح والتضييق والاتهام الباطل والاضطهاد.. مهما كانت منــزلته من العلم والفكر والأدب والأخلاق

***

إِذا قاوم رجلٌ الدكتاتورية والظلم في بلاده فهو في عين الغرب بطلٌ إِذا كان غير مسلم، وإِرهابيٌّ إِذا كان مسلماً، وكذلك الأمر إِذا قاوم العدوان الخارجيّ والاحتلال

***

يأخذ الغربيّون على المسلمين أنّهم غير متسامحين، ويذكّرونهم بضرورة التسامح بمناسبة ودون مناسبة؛ ولكنّ الغرب الذي يلقي دروس التسامح علينا، لم يتسامح بقيام دويلة ديمقراطية صغيرة متعدّدة الأديان في أوروبا، لأن نسبة المسلمين فيها أكبر من نسبة أي فريق آخر، وقَبِل واقعيّاً بذبحهم وطردهم.. وإِن لم يكن لأكثرهم من الإِسلامِ إِلاّ العنوان!!

هذا هو التسامح الذي يذكّرنا به، ويدعوننا إِليه، ويُلَقّننا إِيّاه؟!

***

ألا يستحي هؤلاء الـــ.. من الحديث عن حقوق الإِنسان وقد ذُبح على أرضهم الإِنسان رجلاً وامرأة وشيخاً وطفلاً، وانتُهكت كلُّ حُرمة من حرماته، وَمُثِّل به أشنع تمثيل، وهم يتفرّجون ببرود، أو يساعدون على الجريمة بكَتْفِ الضحية، وتجريدها من السلاح، ومنعها من كل وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس، وشَغْلِ العالم عنها، وصَرْفِه أو تثبيطه عن العمل الفعّال لإِنقاذها، بألوان من الخداع والتمويه، والتخويف والتحذير..

يا إِلهي! لم أكن أتصوّر أن يهبط بشر إِلى هذا المستوى، وهو يضع على وجهه أجملَ قِناع

***

لقد ملأت حوادث البوسنة والهرسك نفسي احتقاراً لحضارة عصرنا الزائفة، وإِنسانها المخادع، وخَجَلاً أنّني عشتُ في هذه الحقبة من التاريخ

***

هل في المِحَنِ الإنسانيّة أشدُّ من تقع تحت سمعك وبصرك أفجعُ المآسي، وأبشعُ الجرائم، ثم لا يكون لك إلاّ دورُ المتفرّج العاجز، ولا تملك للضحايا في أفضل أحوالك إلاّ الدموع

يا ربّ اغفر لي أنّني أشهد عاجزاً في بلادي وعالمي وعصري أكبرَ المنكرات، ولا أملك تغييرها بيد ولا لسان!!

لا تَقْرؤوني قراءةً «روتينيّة» ميّتة، فأنا لا أكتب إليكم كتابةً روتينيّة.. إنّني أدفع ثمنَ كلِّ حرف أخطّه من أثارةِ الصحّة والحياة ونورِ العين

لا أستطيع أن أسعى إليكم في بيوتكم ومدنكم وحيث تكونون.. يُقعِدني عن ذلك شيخوخةٌ ومرضٌ وقيود أخرى في بعض الأحيان.. فخذوا هذه الكلمات وغيرها مما أكتب إليكم، على أنّها زيارة خاصّة لكلّ منكم، ورسالة من قلبي وعقلي إلى قلوبكم وعقولكم؛ فما أحوجنا في هذه الأيام العابسات، والليالي الحالكات، إلى تواصل القلوب والعقول، وجمع الجهود على الحقّ والواجب، والسعي المشترك إلى الفجر الجديد والمستقبل الكريم

يجب ألاّ نستسلم لطاغوت مهما عَتَا، وألاّ نتخلّى أبداً عن مبادئنا وقِيَمِنا ومُثُلِنا العُليا؛ ولكنْ يجب أن نأخذ في مُغالبةِ الطاغوتِ بالوسائل المناسبة لزماننا ومكاننا وظروفنا، وأن نرفع أنفسنا باستمرار إلى مستوى القيام بواجبنا، والنجاح في مهمتنا، والقدرة على أداء رسالتنا المحلّية والعالمية على أفضل وجه

لا يَعْظُمْ في قلبك ولا في عينيك طاغوت مهما كان، فهو شيء حقير زائل، مهما ملك من السلطان، أو امتدت به الحياة..

لقد كان «نيرون» الذي أحرق روما، ونَكَّل بالنصارى، إمبراطور أكبرِ دولة، وكان على جبينه أثمنُ تاج.. فماذا بقي له على الزمان؟!.. لم يبق إلاّ سخريةُ التاريخِ ولَعنتُه في هذه الدنيا، ثمّ يُرَدّ هو وأمثاله يومَ القيامة إلى أشدّ العذاب، وأهون الهوان

❦❦❦❦❦❦

عندما أرى مواكب المنافقين والمرائين، واللامبالين المستهترين، والعبيد المقهورين في أمّتنا وبلادنا، وأرى غياب الصدق والشجاعة والإرادة والرأي الحرّ.. أقول: قاتل الله الظلم والاستبداد، ما أفظعَ جريمته، وأفدحَ جنايته على الأمّة والبلاد، والإنسانيّة والإنسان!!

❦❦❦❦❦❦

ليس شرّ اللصوص من يسلبك مالك ومتاعك، ولكنْ شرّهم من يسلبك حرّيتك وكرامتك وإنسانيّتك، إن لم يسلبك حياتك نفسها أيضا!.. وما قيمةُ الحياة - إنْ سَلِمتِ الحياة - إذا فقد الإنسان حرّيته وكرامته وجوهر إنسانيّته؟!!

❦❦❦❦❦❦

الظلم والاستبداد أمر قبيح في كلّ وقت ومكان؛ ولكنّ سَحْقَ شعوبنا، وسَلْبَها حرّيتها وحقّها في الفكر والقرار والعمل، في هذه المرحلة المصيرية الحاسمة من تاريخها، شيءٌ أشدُّ قبحاً منه في أيّ وقت من الأوقات، وجريمةٌ نكراء تتجاوز بأخطارها وأضرارها وعواقبها أمثالَها في عهود أخرى، وتهدّد العرب والمسلمين في وجودهم نفسه على كل صعيد

❦❦❦❦❦❦

ما الذي يجعلك أفضل منّي، وأخلص منّي، وأقدر منّي.. ويعطيك الحقّ في أن تحكمني، وتظلمني، وتقتلني إذا أحببت ؟!! ألأن بيدك البندقيّة والدبّابة والمدفع ؟!! وإن كنتَ أحياناً جاهلاً فاسداً، ولم يكن بيدك شيء مما يفيد!!

يجب أن ينتهي حكم البندقيّة والدبابة والمدفع في بلادنا العربيّة والإسلاميّة، بل في كلّ مكان من الدنيا، وأن يعود حكم الحقّ والعدل والعلم والعقل والشورى، وأن ترجع إلى الشعوب حقوقها المغصوبة، وحرّيّتها المسلوبة، في اختيار ما ترضاه ومن ترضاه من المناهج والرجال

لو وقفت شعوبُنا كلُّها وقفةَ رجل واحد مع الحقّ والعدل والحريّة.. لَهوى الباطل، وسقط الظلم، وتحطّمت الأغلال، وانتصر الإِنسان؛ ولكن ذلك يحتاج كثيراً من العلم والوعي، والشعور المرهف بالمسؤولية، والإِيمان العميق، والتجرّد الكبير، والإِرادة والشجاعة والحكمة البالغة والإِقدام.. فمتى تتوفّر لنا هذه الصفات، ونجتني هذه الثمرات؟

إنّ الاستقرار السياسيّ والاجتماعيّ ليس هو الهدوء الظاهريّ الذي يفرضه القمعُ والخوف، وأجهزةُ المباحث، وعصاباتُ المنتفعين بنظام فاسد؛ ولكنّه ثمرة لنظام صالح عادل متطوّر، يلبيّ حاجات الشعوب المشروعة في الداخل والخارج والحاضر والمستقبل، ويقوم على اقتناعها وإِرادتها واختيارها الحرّ..

أمّا هدوء القمع والخوف والاستغلال وتبادل المنافع الخاصّة، المشروعة وغير المشروعة، فقد يكون وراءه أحياناً براكين وكوارث على المدى القريب أو البعيد

عندما يعجز حكامٌ عن تجسيدِ آمال أمّتهم وبلادهم، وتحقيقِ مصالحها، وصوْنِ حرّيّتها وكرامتها وسيادتها، واكتساب محبّتها واحترامها وولائها القلبيّ الخالص الصادق .. يكون أمامهم أن يتخلّوا عن السلطة ويفتحوا أبواب الإِصلاح والتغيير، أو أن يعتمدوا –في الاحتفاظ بسلطتهم– على الترهيب والترغيب والخداع، وضروب القمع والتنكيل والفساد .. ويا بُؤسَه من طريقٍ إِذا اختاروه !!.. فيه خِزْيُ الدنيا والآخرة

لو كان بعض الحاكمين الظالمين يؤمنون بآخرة وحساب، وثواب وعقاب.. هل كانوا يستخفّون بما سيحملونه على أكتافهم إلى الآخرة من أثقال وأوزار تنوء ببعضها الجبال، وبوقفتهم بين يدي الله عزَّ وجلَّ ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ...**﴾ [آل عمران:30]، وسَوْقِهم بعد ذلك إِلى الجنّة أو إِلى النار

مساكين، مساكين، هؤلاء الذين انحرفوا عن الحقّ إلى الباطل، وعن العدل إلى الظلم، وعن الفضيلة إلى الرذيلة.. وفقدوا إنسانيّتهم فليس في جلودهم البشرية إلاّ وحوش !!

مساكين، مساكين، هؤلاء الذين لا يغرسون في دنياهم إلاّ الشرور والآثام، ولا يجنون في آخرتهم إلاّ الخزي والهوان

مساكين، مساكين، وإن تربّعوا على عروش السلطة والقوّة والمال، وتلقّبوا بالجلالة والفخامة والمشير والفريق والجنرال..

يغترّون بالدنيا !!.. وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور

مساكين، مساكين.. إنّني لأنظر إليهم في ضوء نهايتهم، ومآلهم في آخرتهم، فيغلبني الإشفاقُ على الغضبِ والسُّخط، فأجدني أردّد ما بيني وبين نفسي – عفويّاً بلا إرادة ولا تقدير ولا وعي-:

مساكين!! مساكين !!

❦❦❦❦❦❦

كم ذا أشعر بالقوّة والراحة عندما أحمل وحدي تَبِعَةَ كلماتي وعملي، ولا يحمل تَبِعَة ذلك معي أحد من الناس

❦❦❦❦❦❦

ما أكثر الأعمال السيّئة التي تُجْتَرح مرضاةً لإله الهوى، وزُلْفى إلى الدنيا ومن يُظَنّ أنّهم يمسكون بأزمّتها من البشر

متى يعرف المسلمون حقيقة التوحيد، ويذوقون حلاوته، ويتحقّقون به، ليتحرّروا من العبودية للطاغوت، وكلّ ما سوى الله عزَّ وجلَّ

❦❦❦❦❦❦

أعرف من خلال التاريخ، والملاحظة المباشرة، والتجربة الحيّة.. ما يجرّه الحقُّ على أصحابه الأوفياء؛ ولكنّني أُفَضِّل -رغم ذلك كلّه- أنْ أكون طريداً أو سجيناً أو شهيداً مع الحقّ، على أن أكون آمناً طليقاً، وتكون لي الدنيا كلّها مع الباطل

❦❦❦❦❦❦

هل يجوز لإِنسان أن يتنكّر للحقّ إِذا لم ينتصر الحقّ؟! وأن يُوالي الباطل إِن كانت الجَوْلَةُ للباطل؟! وهل يحترمُ مثل هذا الإِنسان نفسَه، أو يستأهل احترام أحد من الناس؟! وهل يكون له في الدنيا والآخرة أيُّ قيمة حقيقيّة أو وزن ؟!

يا أخي الذي أحبه في الله: إِيّاكَ إِيّاكَ إِيّاكَ أن تكون هذا الإِنسان

إِذا تعانق الحقّ والبطولة والمثل الإِنسانيّ الرفيع.. فلا يمكن أن تكون هناك هزيمة على المدى الطويل، مهما قالت غيرَ ذلك -في لحظة من اللحظات- ظواهرُ الأمور..

لقد انتصر قياصرة الروس على الإمام محمد شامل ومن معه من الداغستان والشيشان في القرن التاسع عشر الميلاديّ، ثمّ أتى من بعدهم الشيوعيّون فمحوْا ما بقي من الديار والآثار، وقال المراقبون: لقد انتهى الإِسلام والمسلمون في القفقاس!!

وها نحن نرى في نهاية القرن العشرين روحَ محمد شامل وأمثالِه من المجاهدين تنتفض في صدور الشيشانِ وشعوبٍ إِسلاميّة أخرى في القفقاس وسواه، وتنتصبُ شامخةً -على ضآلة العَدد والعُدد- أمام «الاتحاد الروسيّ» أحد أكبر قوّتين عسكريّتين في هذه الدنيا..

ولولا محمد شامل وأمثاله، ومقاومتهم العجيبة المذهلة، وبطولتهم الخارقة الخالدة، وتضحياتهم الكبار الكبار، وما تركوه للأجيال بعدهم من ميراث حَيٍّ حافِز، ومَثَلٍ باهر آسرٍ.. لما احتفظ الشيشان ومسلمو القفقاس والاتحاد السوفييتي القديم، بانتمائهم الإِسلاميّ العاطفيّ، واعتزازهم بدينهم وأنفسهم، وكرامتهم وهويتهم، ولَمَا بدؤوا بالوقوف على أقدامهم من جديد، رغم كل العثرات والعقبات، وما يَرَوْنه من واقع المسلمين المهين الرديء

إِنّ محمد شامل الذي هُزِم وأُسِر بعد زهاء خمس وثلاثين سنة من الجهاد.. وعاش أسطورةً مُهَوِّمَةً في جبال القفقاس ووِهادِها، وخَيالِها وأحلامها، ووجدانِ أبنائها.. يعود إِلى قِمَمِ القفقاس وسفوحها في نهاية القرن العشرين، ليستأنف المسير والتحرير من جديد

إِنّ الإِسلام لا يمكن أن ينهزم، وإِنّ البطولة التي تعانق الحقّ، وتقدّم القدوةَ الفَذّة، والمثلَ الملهم المعلّم المحرّك.. لا يمكن أن تنطفئ وتموت.. إِنّها منارةٌ شامخة متلألئة في ظلمات اليأس والإِحباط، وصرخةٌ مُجَلْجِلة توقظ من الغيبوبة والسُّبات، وعملٌ مؤثّر متجدّد على الزمان، ورسالةٌ بليغة تعبُر العصور بعد العصور.. وإِن حُرِم أصحابُها الأبطال الأفذاذ، في حياتهم الدنيويّة الموقوتة، الانتصارَ القريب الملموس، الذي تراه العيونُ المعاصرة البسيطة، ويتعارف الناس على أنّه انتصار

لولا البطولاتُ الرائعاتُ الحافِزات، والنماذجُ الملهِماتُ الخالدات، لما كانت قُدوةٌ، ولا نهضةٌ، ولا خيرٌ عميم، ولا انتصارٌ عظيم، للإِنسانيّة والإِنسان

صوتي ضعيف ضعيف لا يبلغ مسامع المسلمين في الدنيا، عاجز عاجز لا ينفذ إلى قلوبهم وعقولهم، ولا يؤثّر في مجرى حياتهم

لماذا لا نضمّ أصواتنا بعضها إلى بعض، وإمكاناتنا وجهودنا بعضها إلى بعض، لنصل إلى سائر المسلمين، وندفع عنهم بعض ما يمسهم من ضُرّ، ونحقّق لهم بعض ما ينشدونه من خير؟!

إذا كان ولاؤك للحقّ، وعملك للحقّ وبالحقّ، لم تختلف مواقفك في جوهرها باختلاف مكان إقامتك من شرق أو غرب، وشمال أو جنوب، وكنتَ حيثما كنتَ نافعاً للبلد الذي تكون فيه، وللإنسانيّة كلّها في ذات الوقت

كم أحلم بأجيال إسلاميّة جديدة لا تفرّقها النوازعُ الصغيرة، والمطامعُ الحقيرة، والعصبيّاتُ السخيفة، والمصالحُ الشخصيّة المعارضة، والجهلُ بالإسلام والعالم والعصر، وإنما يجمعها، ويرصّ صفوفها، ويوحّد جهودها، إيمانُها الصادق برسالتها، ووعيُها العميق لمهمتها، ورؤيتُها الواضحة للغاية والأهداف والطريق، ومسؤوليّتُها الكبيرة الخطير عن الإسلام والمسلمين، والإنسانيّة والإنسان

إعمل ما يتوجّب عليك عملُه في هذه اللحظة، وهذه الساعة، وهذا اليوم.. اعملْه فوراً دون توانٍ ولا تأخير ولا تأجيل، يكُنْ لك ما تريده في الحاضر، وما تهدف إليه في المستقبل

إنّ اللحظة الراهنة في يدك، أما اللحظة التالية فَغَيْب..

وكلُّ وقت جديد له واجب جديد، وبعض الواجبات يعتمد بعضُها على بعض، فلا تستطيع النهوض بواجب الغد إن أهملت واجب اليوم

هذا الذي أقوله لك هنا ليس من عندي، بل هو ثمرة من أنفع ثمار التوجيهات الدينية، والحكمة البشرية، والدراسات النفسية والتربوية، فخذه بغاية الجدّ والاهتمام، ولا تتركْ أن تنتفع به لدينك ودنياك

صدّقْني ولا تحسب أنني أبالغ:

إهمالُ ساعات أو أيام قد لا يمحو آثاره السيّئة –أحياناً– جهود شهور أو أعوام

واجه مشكلاتك بوعيّ وشجاعة وحزم، ولا تتهرّبْ منها، فالهرب من المشكلات قد يزيدها خطورة، ويضخّمها و يجعلها أضعافاً مضاعفة

لا يبلغ إِنسان الكمال، ولكنه يستطيع أن يتقدّم إليه باستمرار

ماذا يفيدنا أن تنفتح لنا كلُّ السُّبُل، وتواتينا كلُّ الفرص، إِذا كنا عاجزين عن الحركة والسير، واقتناص الفُرَص عندما تُواتي..

يجب أن نتبيّن عِلَلَنا، وأن نعالجها في أنفسنا، كما نتبيّنها ونعالجها في محيطنا الخارجي

لا تُضَيِّعْ عمرك فيما لا يَجْمُلُ ولا يفيد

الحياة أقصر وأثمن من أن تضيع في الصغائر والتفاهات

وما أسرع ما تتسَرّبُ من بين أصابعنا الحياة، ونجد أنفسنا -دون أن نَعِيَ أو نشعر- وجهاً لوجه أمام الشيخوخة والمرض والعجز.. والموت

ما أسعدنا لو شعرنا بذلك ووعيناه قبل فوات الأوان! وخرجنا من الحياة وقد أدينا رسالتنا في الحياة! وما أشقانا لو غفلنا أو شُغلنا عن الغاية والطريق والعمل الواجب، وصحونا وقد حقَّ الأجَل، وانتهى العمل، ولا يبق إِلاّ الحساب والثواب أو العقاب

كم من معنىً قديم ينبثق في نفسك انبثاقاً أصيلاً جديداً، فأنت لا تنقله عن ذاكرةٍ أو كتاب، ولكن عن التجربة الحيّة، والتأمّل الذاتيّ الأصيل

يقول لي بعضهم ناقدين:

إنّ أسلوبك تحريضيّ أحياناً، وربّما أثّر في نفوس الشباب!!

ولكنْ على أيِّ شيء أحرّض الشباب وغيرهم من مختلف الأعمار؟

إنّني أحرّضهم على الحرّية والكرامة والإقدام، وعلى العلم والتفكير والإبداع، وعلى الأمانة والعدل والإحسان وسائر مكارم الأخلاق، على العمل المخلص المثمر الفعّال في كلّ مجال.. وكم يسعدني أن يكون لكلامي وأسلوبي بعض التأثير في النفوس

إنّك تستطيع أن تكسر قيود العبودية الخارجيّة، ولكنك لا تستطيع أن تصنع بذلك وحده الأحرار

يجب أن تتفجّر الحرّية في أعماق النفس، وتجري في العروق كالدم، وتمتزج بالقلب والفكر، ليولد الإنسان الحرّ

يقولون:

أنْ تصنع الأشياء الصغيرة خير من أن تتحدّث عن الأشياء الكبيرة ولا تصنعها

هذا حقّ لا مِرْيَةَ فيه؛ ولكن أليس خيراً من ذلك أن تتحدّث عن الأشياء الكبيرة وتصنعها في ذات الوقت؟

ليتنا نكون من هؤلاء

يقولون:

أنْ تكتشف المشكلة أسهل من أن تجد لها الحلّ

هذا صحيح؛ ولكن هل نستطيع أن نحلّ مشكلة إلاّ إذا اكتشفناها ؟.. إنما الخطأ والخطر أن نكتفي برؤية المشكلة ونقف دون الحلّ الصحيح

طوبى للذين يستطيعون كسر القيود العاطفية والاجتماعيّة والمصلحيّة عندما تتعارض مع الحقّ والعدل والواجب.. أولئك هم الأبطال حقا

إِذا لم تسافر في بحار النفس وجبالِها ووهادِها، وآفاق السماء وفِجاجِ الأرض، ببصرك وسمعك، وإِحساسك وشعورك، وفكرك وتأمّلك.. فاتك كثير من حقائق الكون والحياة، وآيات الله عزَّ وجلَّ

المسافرون المبعِدون في بحار النفس، وآفاق السماء، وفجاج الأرض.. تتكوّن بينهم أحاسيس ومشاعر وأفكار وخواطر مشتركة، ويفهم بعضهم عن بعض أحياناً دون كلام، فإِذا تكلّموا كان لكلامهم معناه العميق، ومغزاه الرفيع، وإيحاؤه البعيد.. ولم يكن كهذا الكلام الفارغ التافه الذي يتبادله كثير من الناس، وينفقون فيه ساعات وساعات وساعات، وهم لا يقولون في الحقيقة شيئا!!

لا تجعل أخطائي الماضية حاجزاً بيني وبينك، فأنا ربما كنت اليوم أشدَّ إِنكاراً لها منك، وأبعدَ عنها من بُعد غدٍ عن أمس

إِذا كنت لا تعرف نفسك معرفة عميقة دقيقة شاملة كاملة.. فكيف تدّعي أنك تعرف سواك مثل هذه المعرفة؟!!

الخانع الخاضع المنقاد لكلّ طاغوت هو كالحمار والبغل، كلٌّ من يركبه يُصَرِّفه كما يشاء، ولا إِرادة له ولا شخصية ولا رأي!!

أيها الإِنسان

الإِنسانيّة حرّية وكرامة ومسؤولية، وثورة متجدّدة على العبودية والباطل والطاغوت..

كيف تقبل لنفسك وأنت إِنسان أن تكون كالبغال والحمير؟!

ربّما حَرَنَ البغل والحمار أحياناً في مواجهة الأذى والظلم إِن اشتدّ؛ ولكن بعض الناس لا يحرنون مهما أصابهم من الظلم والأذى والبغي.. فهم أسوأ حالاً من البغال والحمير!!

بعض حكّام بلادنا يعلمون علم اليقين أنّهم إِذا فقدوا الدبّابة والمدفع فقدوا السلطة، فليس لهم من القيمة الذاتية ما يؤهّلهم للثقة والحكم، ولذلك يعتمدون أوّلَ ما يعتمدون للاحتفاظ بسلطتهم على الإِرهاب والقمع هل تستغربون بعد ذلك ما آلتْ إِليه حالُ أمتنا وبلادنا في هذا الزمان من الهوان والسوء؟!!

بعض حكّامنا يُضيعون بجهلهم وعجزهم أو منافعهم وأهوائهم الأمةَ والبلاد، وربما خانوها وتآمروا عليها أحياناً، فأسلموها إِلى أعدائها، أو باعوها كما يباع المتاع.. ومع ذلك فهم لا يكتفون بسكوتها وغفرانها، وإِنما يُلزمونها ويُرغمونها، بأخبث أو بأعنف الوسائل، على أن تعتبرهم أبطالاً كباراً، وعلى أن تعاملهم وتمجّدهم وتُكَرّمهم كما يُكّرم كبار الأبطال!!.. والويل ثّم الويل لمن يأبى عليهم ما يريدون، ويقول لهم بملء فيه: لا

إِننا نريد للمسلمين دائماً الإِيمان الأقوى، ولكنّنا لا نستهين أبداً بأضعف الإِيمان، فما دامت القلوب سليمة لم يقتحمها الزيْغ والفساد والوهن، وما دام الإِنسان المسلم ينكر في قلبه المنكر، ويُوالي في قلبه المعروف.. فلن يتمكّن الطاغوت في بلادنا، ولن يستقرّ ويستمرّ، ولن ينطفئ أو ينقطع الأمل في الحاضر والمستقبل

لا نستطيع أن نخطو خطوات سديدة واسعة إِلى الأمام، إِلاّ إِذا تحرّرنا من قيودِ تصوراتِنا وأفكارِنا ومواقفِنا وعاداتِنا السابقة، واستوعبنا استيعاباً أعمق وأشمل وأوعى ما استجدّ من متغيّرات ومُعْطَيات، وحاجات وواجبات.. فلا تكونوا أسرى الماضي والروتين، ولا تخافوا من الجديد، والاستجابة الإِسلاميّة الأصيلة الحيّة الواعية لِمُتَطَلّباته على كل صعيد

مما يوسّع أفق الإِنسان، ويساعده على فهم الناس والتفاهم معهم، والوزنِ الموضوعيّ البصير العادل للأمور، أن يرى الأشياء بعيون الآخرين أيضاً، ويحسّها بِإحساسهم، وينظر إِليها من خلال ظروفهم.. دون أن يُخِلّ ذلك عنده بموازين الحق والعدل، وينحرف به عن خطه الأصيل القويم

كيف تسمعني وتفهمني وتستجيب لدعوتي وبيني وبينك سدود من الأهواء والشهوات وشواغل الدنيا؟!..

ليتني أستطيع أن أخترق هذه السدود الكثيفة إِلى قلبك وفكرك؛ فلا بدّ أن تسمعني، ولا بدّ أن أسمعك، إِذا أردنا لأنفسنا النجاة

ليست السياسة الذكيّة الناجحة أن نضحّي بالواجب من أجل الممكن، ولكن أن نجعل الواجب ممكناً.. وشتان بين الأمرين

مطالبُ العمالقةِ شيءٌ مستحيلٌ في منطق الأقزام

لا تحاولوا المستحيل:

الطاغوت في عيني طاغوت أَكْفُرُه وأَحْقِرُه ما حييت، وإِن عَبَده وخضع له سائر الناس

وحدَك مع الحقّ أقوى من الباطل ومعه الدنيا

كيف ينتصر بك الحقّ، وكيف تربط به الناس، إِذا كنت لا تؤمن به حقّ الإِيمان، ولا تقف معه في مختلف الظروف، ولا تتحمّل في سبيله ما يترل بك من الأذى؟!

بعض الناس يرفعون أو يردّدون شعارات لا يرتبطون بها ارتباطاً حقيقيّاً مصيريّاً أصيلا.. فهم يهجرونها ويرفعون سواها عند أوّل صدمة أو شدّة، أو عندما تلوح لهم في غيرها بوارق الدنيا

بعض العاملين للإسلام يغلب عليهم في أعمالهم الشكّ والتردّد، فهم يقدّمون على الدوام رجلاً ويؤخّرون أخرى، ولا يثقون بأنفسهم ولا بأهدافهم ولا بطريقهم ثقة كافية، ولا بقدرتهم على الفوز..

كيف ينتظر هؤلاء من الناس أن يستجيبوا لهم، وأن يثقوا بهم، وأن يربطوا بهم أو معهم أمنهم وحياتَهم ومستقبَلهم، وهم على هذه الحال؟!

أعوذ بالله من غرور السلطة والمال والقوّة والشباب.. وكلّ غرور يخطر بالبال؛ فالغرور على صاحبه في الآخرة والدنيا

تعلّمْ كيف تستمع إِلى غيرك، وتستفيد من علمه وتجربته ورأيه، فالذين يتكلّمون ولا يستمعون، يفوتهم خير كثير، ويَتّصفون ببعض ما يَتّصِف به الجهلاء السفهاء السخفاء من قلّة العقل والأدب والذوق

إِنك لا تكتسب الناس بالكلام بمقدار ما تكتسبهم بحسنِ الإِصغاء، والاهتمام الصادق بما يقولون.. وخيرٌ من الكلام أو الإِصغاء وحده الحوارُ النزيه الأمين، الذي تتكامل به المعارف، وتتلاقح الأفكار، ويُتوصّل من خلاله إِلى مستوىً أفضل من العلم والفهم والصواب والإِبداع

إِيّاك أن تُفشي سرّاً لمن وثق بك، أو تستغلّ حديثاً سمعته من أحد للإِضرار به أو بسواه، فذلك إِثم وعيب وسمّ فاتك يقتل صدق الحديث وصراحته، والثقةَ الضرورية للصدق والصراحة بين الناس

إنّ نظرة واحدة إِلى خرائب «غروزني» وبقية مدن «شيشانيا» وقراها وضحاياها، -و«شيشانيا» كلّها الآن ضحايا وخرائب-، تكفي لاكتشاف حقيقة الغرب وقيمه وشعاراته الباهرة التي يرفعها عن الإِنسان وحقوق الإِنسان

ليس هناك فرق كبير جداً بين من يرتكب الجريمة، ومن يُقِرُّه عليها، ومن يقف متفرجاً وهو قادر على منع الجريمة، أو تصعيبها، أو إدانتها ورفع الصوت ضدّها على الأقل

أشدّ ما تكون ثورةُ الغرب وغيرته للإِنسان وحقوق الإِنسان عندما ينتصر لأفراد من «المسلمين!!» يشتمون الإِسلام ويفترون عليه

أمّا مئاتُ ألوف المسلمين الذين يُذَبّحون ويُعَذّبون ويُشرّدون، وتنتهك كلُّ حرمة من حرماتهم.. فلا يستوجبون في نظر الغرب النُّصْرَةَ حَقَّ النُّصْرة، ولا تُثير حقوقُهم الإِنسانيّةُ المهدرةُ غَيْرَةً ولا ثورة

ما أجمل وما أنبل هذا الشعار: حقوق الإِنسان، وما أكثر ما تستخدمه الدول الكبرى ستاراً ومبرّراً لانتهاك هذه الحقوق، وبلوغ مآربها القبيحة السافلة!!

لِيكُنْ واضحا:

عندما أقول الغرب لا أعني كلَّ الغرب، وعندما أقول الشرق لا أعني كلَّ الشرق، وعندما أقول العرب والمسلمين لا أعني كلَّ العرب والمسلمين

هنالك «حشرات بشريّة!!» لا تثير في النفوس إلاّ التقزُّز والاشمئزاز والاحتقار.. ولكنَّ الحشرات تستطيع – رغم حقارتها– أن تلدَغك وتؤلمك.. وقد تسبّب لك الموت في بعض الأحيان

الذين يفترون غيرَ الحقّ

والذين يشوّهون صورة الحقّ.. أعداء الله والإنسانيّة والإنسان، وكم عانت الإنسانيّة منهم في مختلف العصور، وكم عانيتُ منهم –ولا أزال أعاني– في رحلة الحياة!!

كيف تكتشف استعداداتك ومواهبك ومواطن قوتك، وكيف تربّيها وتنمّيها وتحسن استثمارها على أفضل وجه، عنصرٌ حاسم في نجاحك أو إخفاقك في القيام بوظيفتك الأصيلة، وأداء رسالتك الخاصّة في الحياة، وتحقيق ما تؤمن به أو تصبو إليه من الأهداف

كَم استعدادات كبيرة، ومواهب فريدة، أُهدرتْ لأنها لم تُكتشف في وقت مناسب، وسار أصحابها في دروب الفشل أو القصور عن السبق لأنهم لم يسيروا في طريقها، وكانوا جديرين أن يصلوا بها إلى درجة عالية من النجاح

هذه يدي مبسوطة لكل صاحب موهبة أصيلة من أبنائنا الأعزاء، لتغذيتها وتنميتها لخير الإسلام والمسلمين والإنسانيّة والإنسان

هذه يدي مبسوطة، وهي تنتظر بلهفة سائر الأيدي الأخرى

ما قولُك في رجلين:

رجلٌ له رصيد قليل من معرفة الناس به، ومن محبّتهم وثقتهم واستجابتهم؛ ولكنّه يحسن استثماره والإفادة به والإفادة منه

ورجل له رصيد كبير من ذلك كلّه، ولكنّه لا يحسن استثماره ولا الإفادة به ولا الإِفادة منه في أيّ أمر؟

ما أحوجنا نحن المسلمين إِلى تكوين رصيد كبير، وإلى حسن استثماره في خدمة الإِسلام والمسلمين والإِنسان؛ فكم من رصيد كبير تجمعه الأيام، وتبدّده الأيام، ولا يكون له ثمرة ولا نفع

❦❦❦❦❦

خذ من الأعمال ما تطيق وما تحسن، فالذي يأخذ ما لا يطيقه، أو ما لا يحسنه، يُضيع جهده، وما أخذ على عاتقه من الأعمال

❦❦❦❦❦

فَكِّرْ في الأمور كفرد من فريق، كما تفكر فيها كفرد مستقل عن الآخرين، فالتفكير في الأمور ومواجهتها بروح الفريق وعقليته يساعد على حسن التخطيط، وتوزيع الأعباء والمهمات على حسب الطاقات والاختصاصات والاستعدادات والظروف، وعلى التنفيذ الفاعل الدقيق، والإِنجاز المنهجيّ المستمرّ

❦❦❦❦❦

إِذا استكملتَ استعدادَك للبدء في أمر أو عمل أو مشروع.. فابدأْ فوراً ولا تُسَوِّفْ ولا تؤجّل، فشرُّ ما يُبتلى به الإِنسان التسويف والتأجيل

وإِذا بدأ هذا المسلسل الرهيب الخطير: مسلسل التسويف والتأجيل.. فلن ينتهي قبل أن تنتهي الحياة

❦❦❦❦❦

رتّب أهدافك وأعمالك على حسب أولويّتها وأهمّيّتها وتسلسلها المنطقيّ: الأهمُّ أولاً ثمّ المهمُّ ثم ما دونَهما، والمقدمةُ أولاً والأساسُ ثمّ ما ينبني عليهما، وهكذا.. ثمّ لا يَشغلْك جزئيٌّ عن كلّيّ، وفرعيٌّ عن أصليّ، ومستحبٌّ عن واجب، واحرص على تكامل الخطوات والأعمال وفْقَ تصوّر علميّ شامل بصير بعيد، يضع كلّ خطوة، وكلّ عمل، وكلّ أمر من الأمور، في مكانه الصحيح، ووقته المناسب

❦❦❦❦❦

قسّمْ طريقك إِلى مراحل، وقدّر لكلّ مرحلة زمناً مناسباً لإِنجاز ما رسمته لها من العمل، فالزمن المفتوح بلا حدود لا يساعد على تخطيط ولا تنظيم ولا إِنجاز مقبول

النظام المحكم الدقيق ضروريّ جداً للعمل والإِنجاز والنجاح؛ ولكن يجب ألا يتحول إِلى قيد آسر، وسجن مقفل النوافذ والأبواب، وأن نكون قادرين على تطويره وتعديله أو الخروج عليه إِذا دعت إِلى ذلك حاجة ماسّة، أو مصلحة كبيرة.. على أن يكون النظامُ دائماً هو القاعدة والأصل، والخروجُ عليه هو الاستثناء

الراحة والرياضة والمتعة البريئة التي تعين على الحقّ والواجب هي من الحقّ والواجب، فلا تحقِرْها، ولا تُهملْها ولا تحرمْ نفسك منها

احرص - ما ساعفتك الفرصة وسمح لك الوقت - على ما يغذّي روحك وعاطفتك، وينمّي عقلك وفكرك، ويوسّع إِدراكك وأفقك، ويزيدُك معرفةً بالحياة والأحياء، وينير لك طريقك في رحلة العمر.. وإِن لم يكن له ارتباط مباشر بعملك المباشر

كلُّ إِنسان له خصوصيّته وظروفه، وما يصلح لعامّة الناس قد لا يصلح لكلّ فرد من الأفراد، وظرف من الظروف.. فعلى الإِنسان الفرد أن يفكّر فيما يسمع أو يقرأ، وأن ينظر فيما يأخذ أو يدع من الأمور

لن يأتي خلاصنا من خارج أنفسنا وحدودنا، فلا تقعدوا مشلولين محبطين.. تنتظرون الخلاص من خارج الأنفس والحدود، وتضيعون بذلك الفرص والمستقبل والحياة..

إِنّ الحرّيّة هي حياتُنا، فمن يسلُبنا الحرّيّةَ قاتلٌ مجرم كمن يسلُبنا الحياة

من أكبر المآسي أن يتحكّم في أحرار النفوس والعقول عبيدُ الأهواء والشهوات

قال لي:

إِذا سلب بعضُ حكّام العرب شعوبَهم حقَّ الكلام فقد تركوا لهم حقَّ الصمت!!

قلت:

ولا هذا تركوه أيضاً، فَمِنَ الحكّام من يَعُدُّ الصمت إِنكاراً أو إِخلالاً بواجب التأييد والتمجيد، فلا بدّ للسلامة من السير في ركْب المرائين والمنافقين!!

بعض دكتاتوريّاتنا «العربية!!» استكبارُها كلُّه وجبروتُها كلّه على شعوبها.. أما في مواجهة أعداء الأمّة والبلاد الخارجيّين فهي -أحياناً- أذلُّ من كلب، وأطوعُ من حَمَل..

يا إِلهي! كم أكره الدكتاتوريّة، وأحتقر الدكتاتوريين!!

عبيد الروح والفكر لا يصبرون طويلاً على ما ينتحلونه من جِلْد الأحرار ومواقف الأحرار

ما أحقر أولئك الذين تتشكّل وتتبدّل مواقفُهم على حسب مصالحهم ومطامعهم، سواء اعترفوا بحقيقتهم، أو ستروها والتمسوا لأنفسهم كاذب المبرّرات

النذْلُ مَنْ يأتيك في ثياب الصديق، ويكلّمك بلسان الحبيب، ويخالطك مخالطة الأخ.. ثمّ يغرس مُدْيته في قلبك بروحِ عَدُوّ، لأدنى مصلحة، وأوهى سبب، وهو لا يلقى منك إِلاّ البرّ والإِحسان!!..

وكم في هذه الدنيا من أنذال لا تكشفهم إِلا التجارب، ولا ترى حقيقتَهم أكثرُ العيون

أسماءٌ شهيرة، وألقابٌ كبيرة.. وليس وراء ذلك شيء ذو بال!!
أليس هذا جزءاً من المأساة؟!

أين بلالٌ الجديد الذي يصرخ في الجاهليّة الجديدة: أحدٌ أحد، والدنيا من حوله كفر، وفي يديه القيود، وعلى عنقه سيف الجلاد ؟!!

لا يخاف المؤمنُ الباطلَ مهما ملكَ الباطلُ من الدنيا، فالدنيا كلُّها لا تَعْدِل عند الله جناح بعوضة

عندما تَغُورُ النجومُ في السماء
وينفردُ الظلامُ بالسلطان
عندما تَعوي الغرائزُ والأهواء
وتفترسُ العقلَ والضمير
عندما تطاردُ أشباحُ الموت عرائسَ الحياة
وتزحف عقاربُ الرُّعْبِ من كلِّ مكان
عندما يغوصُ خنجرُ اليأس في قلب الأمل
ويَخنق القنوطُ أجنّةَ المستقبل
عندما تملأُ كلمةُ اليأس الصدورَ والأفواهَ والآذان
ويتردّد في كلّ مكانٍ على كلّ لسان:
لا فائدةَ.. لا فائدةَ.. لا رجاء..
عندها تنتقلُ النجومُ والشموس والآمال إلى بعض الصدور.. ويبدأ من داخلنا انبثاقُ الفجر والأمل من جديد، وتنفتحُ بنا صفحةٌ جديدة للحقّ والخير والنور في هذا الوجود

أنا لا أكره ظلمَ طواغيتِ عالمنا وعصرنا وظلمَ حكّامنا فقط؛ ولكنّني أكره أيضاً ظلمنا لأنفسنا ولغيرنا، وتظالمنا فيها بيننا.. وكلَّ ظلم يخطر على البال مهما كان ومن أيٍّ كان

أنا لا أحارب الفساد في الحكم والحكّام فقط؛ ولكنّني أحاربه في أنفسنا وفي محيطنا ومجتمعنا.. أحاربه حيثما كان.. فكراهيةُ الظلم والفساد ومحاربتهما كُلٌّ لا يتجزّأ

بِئْسَ المسلمُ أنا إذا رضيتُ الباطل والظلم من صديق وأنكرتُهما على عدو.. ذلك علامة ضعف الولاء أو كذب الولاء للحقّ والعدل، وَمَنْ ضَعُفَ ولاؤُه للحقّ والعدل كان بعيداً عن روح الإسلام وتعاليم الإسلام

جوعُ المعدة قد تشبعه كسرةُ خبز، وظمأُ المعدة قد ترويه جرعةُ ماء

أما جوعُ القلب وظمؤه فليس يشبعه ولا يرويه كلُّ طعام الأرض، وكلُّ ما فيها من ينابيعَ وأنهار..

ما أشدَّ وما آلَمَ جوعَك وظمأَك يا قلبي!!

كثرة المعلومات بلا فهم ولا نفع، كالأسفار يحملها الحمار، يتعب بها، ولا يستفيد منها شيئا

لو أحسنَّا الرؤية والعمل في الماضي لما وصلنا إلى هذا الحاضر البائس

وسيكون مستقبلنا أشدّ بؤساً من ماضينا إن لم نحسن في حاضرنا الرؤيةَ والعمل للمستقبل

كلُّ كلمة نلفظها أو نخطّها نُسأل عنها يوم القيامة، وعن قصدنا منها، وعن آثارها الحاصلة أو المحتملة، المباشرة أو غير المباشرة، فيمن يسمعها أو يقرؤها، وفيما يصدر عنهم من أقوال وأفعال.

ألا ما أعظمَ مسؤولية الكلمة، وما أكثر ما تكون سبب هلاك أو نجاة!!

❧❧❧❧❧

قال لي رجل لقيته مصادفة في سفر من الأسفار:

«إِنّك لا تتذكّرني، ولكنّني لقيتك لقاء قصيراً في مطالع شبابي في دمشق، وسمعت منك كلاماً أثّر في حياتي أبلغ تأثير، فنقلني من هدف إِلى هدف، ومن طريق إِلى طريق..»

إِذا كان لبعض كلامنا أحياناً، ودون أن نشعر، مثلُ هذا التأثير في بعض من يصحبنا، أو يمرّ بنا مروراً عابراً، فما أعظم مسؤوليّتنا عن كلِّ كلمة نقول، وكلّ حرف نخطّ، وما أشدّ حاجتنا في كلّ ما نقول ونكتب إِلى العلم والفكر والبصر الصحيح بالأمور، والتجرّد والأمانة والنصيحة ومراقبة الله عزَّ وجلَّ

❧❧❧❧❧

في كلّ لحظة جديدة فضلٌ من الله جديد؛ فحياةُ الإِنسان قد تنطفئ في لحظة واحدة، وقد يَنْزِلُ به ما تُكْرَهُ لَه أو تُمَلّ الحياة..

فاشكروا الله على حفظه وسَتْرِه، ونعمته وفضله، آناءَ الليل والنهار

❧❧❧❧❧

الحياة الدنيا سبيلنا إِلى الجنة أو النار، فهي مَفَازَةٌ للأبرار، مَهْلَكَةٌ للفجّار، فانظروا.. هل تسلكون طريق النجاة أم الهلاك، والنعيم أم الجحيم؟!

❧❧❧❧❧

خاطبوا اللهَ عزَّ وجلَّ وادْعوه واذكروه بما أمركم، وبما علّمكم رسوله صلى الله عليه وسلّم، فذلك هو الذي يُعَرّفكم به ويربطكم، ويُحبّبكم إِليه ويقرّبكم، ويفتح لكم أبواب الرعاية والرحمة والعون

❧❧❧❧❧

السموّ ليس له حَدّ، والسفالةُ ليس لها قرار، فما أعظم وما أعجب ما يمكن أن يرتفع أو ينحط الإِنسان!!

❧❧❧❧❧

الذي يفقد الرجاء في الله لا يؤمن حقّ الإيمان بالله، فالله على كلّ شيء قدير؛ ولكنه أمرنا أن نَتّكلّ ولا نتواكل، وأن نعرف السُّنَن، ونأخذ بالأسباب، ونُخْلِص القَصد، ونحسن العمل

الراعي الأمريكي؟!!..

لقد مُسِخ العربُ إِلى قطعان نعاج، وقبلوا -بل طلبوا وتوسّلوا- أن يتولّى رعايتهم الذئب!! فهل تنتظرون بعد ذلك أيّ نجاة أو فلاح؟!!

اسمه إبراهيم، وكنيته أبو خليل..

كيف يمكننا أن نعادي إِبراهيم ونُصادق في الوقت نفسه أبا خليل، وهما في الحقيقة شيء واحد؟!!

ولكن حكّام العرب الأفذاذ أمكنهم أن يفعلوا ذلك!! فنقدوا سياسة «الكونغرس» الأمريكي، وأثنوا على سياسة «الولايات المتحدة» الأمريكية، وكأنهما شيئان مختلفان!! وأدّوا -راضين أو كارهين- دورهم المرسوم في خداع شعوبهم خدمة لــ«المعلّم الكبير»

قال جاك شيراك، رئيس جمهورية فرنسا الجديد، في مقابلة تلفزيونية:

«إِن الوحدة الأوروبيّة ضروريّة لمحافظة دولها على سيادتها وازدهارها»

هذا وفرنسا هي فرنسا، وأوروبا هي أوروبا، في قوتها ومَنَعَتِها، وفي تقدّمها ومكانتها في العالم

ولكنّ بعض حكّام العرب والمسلمين ما يزالون يُقَطِّعون في وشائجهم، ويَحُلّون من عُرى وحدتهم، ويُمعِنون في زيادة التجزئةِ تجزئةً، والخصام خصاماً، ولا يبالون أن تضيع السيادةُ -إِن بقي ثَمّةَ سيادة-، والازدهارُ -إِن بقي ثَمَّ ازدهار- أنانيةً وعصبيّةً ضيّقةً، وهوىً مُرْدِياً في الحاضر والمستقبل!!

ما أجهلَ هؤلاء الحكّام، وما أحقرهم في ذات الوقت، وما أشدَّهُمْ مِنْ بلاءٍ على الأمّة والبلاد!!

أقول لكم ببساطة وصراحة:

إنّ الذي يَنْصُرُ التجزئة على الوحدة، والتبعيّةَ على الحريّة، والاستبدادَ على الشورى، والظلم على العدل.. خائنٌ لله ولرسوله وللمؤمنين، ولسائر أبناء الوطن العربيّ والإِسلاميّ

يُسَمُّون أعداءَ الاستسلام أعداءَ السلام!! ويبرّرون لأنفسهم ولغيرهم بهذا التزوير والخداع والإِيهام كلَّ شتيمةٍ وجريمةٍ بحقّ الأحرار الذين لا يقبلون الظلم والضَّيْم والهوان!!

لا نستغرب كثيراً من الولايات المتحدة وإِسرائيل ومَنْ لَفَّ لَفَّهم أن يَصِفوا من يقاوم احتلالهم واغتصابهم وظلمهم بالتطرّف!!

ولكنّنا نستغربُ كثيراً جدّاً من بعض حُكّامٍ وقادةٍ عربٍ ومسلمينَ أن يستخدموا نفس الوصف لنفس السبب، وأن يُسَوُّوا في ذلك بين المظلومين والظالمين، والمحتلّين المغتصِبين وشُداةِ الحقّ والعدل والتحرير!!

الذي يَقْتلُ بوسائله الصغيرة المحدودة، لتحرير بلاده من الاحتلال.. إرهابيٌّ مجرم يستحقّ أشدّ العقاب

والذي يقتل بوسائله الكبيرة المتطوّرة، لتثبيت احتلاله.. ليس عليه من ملام، ولا على عمله من غُبار!!

ما أظلم هذه المقاييس وما أحقرها، وما أجدرها بأن تورد الإِنسانيّة موارد الضلال والشرّ والهلاك

الذي يقتل فرداً أو أفراداً بمسدّس أو سكّين إرهابيٌّ مجرم، والذين يقتلون بالطائرات والصواريخ والمدافع والرشاشات أمةً من الناس الأبرياء ليسوا إِرهابيّين ولا مجرمين ولا خارجين عن القانون!!

أين العقل والمنطق؟ وأين العدل والإنصاف؟ وأين النزاهة والأخلاق في هذه الأحكام والتصرّفات، في هذا العالم الفظيع؟!!

إِنّني من أشدّ أنصار السلام، وأعداء الحرب والقتل..

ولكنْ لا سَلامَ على أشلاء الحقّ والعدل والكرامة وحقوق الإِنسان.. فمن أراد السلام صادقاً فلْيكنْ مع هذه المبادئ والمُثل والقِيَم

﷽﷽﷽

هنالك أخلاقٌ إِسلاميّة في السلم والحرب وفي سائر الأحوال
والإِسلام لا يسمح في سلم ولا حرب بقتل النساء والأطفال والأبرياء المسالمين

﷽﷽﷽

لقد كنت -وما أزال- ضدّ التطرّف والقتل والإِرهاب، حكومياً أو شعبيّاً، من أيّ مصدر كان، وفي أيّ مكان كان..

ولكنّنا لن نتخلّص من هذا البلاء المدمّر إِلاّ بالإِدراك العميق، والفهم الدقيق، والتعاون الصادق البصير الفعّال، للتحرر من الظلم والقهر والاستبداد، وإِقامة حياتنا على أسس راسخة من الحقّ والعدالة، والحريّة والكرامة، والأخوّة والمحبة والغفران.. فهذا هو سبيل العلاج الجذريّ والشفاء والخير..

إِنّني أدعو حكوماتنا وشعوبنا إِلى التلاقي والتعاون على هذا الهدف النبيل، والمطلب الجليل، والإِنجاز الحيويّ الواجب

﷽﷽﷽

إِنّني أجد نفسي صغيراً صغيراً أمامَ أصغرِ إِنسان طيّبٍ صالح
وكبيراً، كبيراً جدّاً، أمام أكبر طاغوت فاسد ظالم

﷽﷽﷽

أموت ألفَ مَرّة، وأقاسي ألفَ غُرْبَة، وأكابدُ كلَّ بلاءٍ وعناء، ولا أخفِضُ جَبْهَةً رفعها اللهُ بالإِيمان، وشَمَخَ به الإِيمانُ على الدنيا

﷽﷽﷽

كلّما عَظُمَ الطّاغوتُ وعَظُمَ شَرُّه، زادني ذلك له استصغاراً واحتقاراً وتحدّياً؛ فلا تُخَوِّفونا بالطواغيت، ولا تحاولوا جَرَّنا أو دفعنا إلى العبودية والاستسلام

رُوحي شـــامِخَـــةٌ أبـــداً   بالحقّ وإنْ ســـاد الباطـــلْ
قَدَمـــي ماضيـــــةٌ أبـــداً   للحـــقّ على رغـــم الباطـــلْ
قلبـــي ولســـاني ويـــدي   حَرْبٌ ما عِشْتُ على الباطـــلْ

إنّ قُوَّةَ الروحِ أعظمُ من قُوّةِ الجسم، وقوّةَ العقيدةِ أعظمُ من قوة السلاح؛ فلا الشيخوخةُ، ولا المرضُ، ولا قلَّةُ الحيلة وقُصورُ الوسيلة.. توهن اليقين، وتغرِسُ في القلوب المؤمنة اليأس والوهن والاستسلام

إذا فقد رجالُ الإسلام ثقتهم بأنفسهم كيفَ يثقُ بهم الناس، وإذا فقدوا ثقتهم بمستقبلِ الإسلام كيف يثق به الناس، بل كيف يكونون رجالَ الإسلام وحَمَلَتَه وهم على هذه الحال؟!!

عندما يموتُ الأمَلُ في مَشاعِلِ الأَمَل
وينفُثُ الفجرُ نَفْسُه اليأسَ والظلام

عندما تتحوّلُ القِمَمُ إلى سُفوحٍ ووديان
وتتمرّغُ الجباهُ العزيزة بالرَّغام

عندما يُنْفَى العدلُ
ويجلسُ الظلمُ على كُرْسِيِّ الحُكْم

عندما يُعْزَلُ الحقُّ
ويُمْسِكُ الباطلُ صَوْلَجانَ الملك

عندما تعودُ اللاتُ والعزّى[22] بأثوابها الجُدُد
ويُسَبَّحُ بحمدِ هُبَل[23]
ويُكْفَرُ بالله عزَّ وجلّ

عندما يُمَجَّدُ مثلُ سلمان رشدي
ويُكَبَّل مثلُ العربي الكَشّاط
ويُكَرَّمُ مثلُ تسليمة نسرين
ويُشْتَمُ مثلُ آنا ماري شِمل

عندما يُصافح «العربُ!!» شمعون بيريز
ويفتحون له الحدودَ والثغورَ والصدور
ويُطاردونَ عز الدين القسّام
ويُلقونه في غيابَة السجن إن لم يقتلوه بالرصاص

عندما يُنْزِلُ «العربُ!!» عن عرشِ البطولةِ نورَ الدين وصلاحَ الدين
ويرفعونَ عليه بوش وكلينتون
ويَطْوُون رايةَ التحرير
وينشرونَ رايةَ الاستسلام لا راية السلام

عندما يَغيضُ ماءُ الحياءِ من الوجوهِ والعيونِ والألسنةِ والأقلام ويُجاهرُ مَنْ يُجاهر، ويُفاخرُ مَنْ يُفاخِرُ.. بالمخازي والمعاصي والآثام

عندما يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكرا..
....

(22) اللاّتُ والعُزّى: من معبودات العرب في الجاهلية.
(23) هُبَل: صنم كان بالكعبة.

عندها لا يعود للحياة بصورتها هذه قيمة ولا معنى
عندها لا بدّ أن يبدأ تغيير عميق أو أن تَنْتَهي الحياة الجديرة بالإنسان
ولا بدّ في هذا التغيير من روح الأنبياء، وعزم الأنبياء، وصبر الأنبياء، وتجردهم الكامل لله عزَّ وجلّ..

لا ينقذ المسلمونَ أنفسَهم من الهزيمة والهوان والهلاك إلاّ بوحدتهم، وتكاملهم، وتعاونهم، ولا تتحقق لهم وحدتهم إلاّ بالحبّ والأخوّة في الله، فكلُّ خَفْقَةِ حُبٍّ في قَلْب، وموقفٍ أَخَوِيّ في مجتمع، خطوةٌ حقيقيّة في طريق الإِنقاذ والنصر، والفوز في الدنيا والآخرة

كيف تستطيعُ أجيالٌ ضائعة، لا تجدُ نفسَها، ولا تجدُ غايتَها، ولا تجدُ مَغْزى حياتها.. أن تُنشئ أجيالاً غير ضائعة؟!

كيفَ تستطيع أجيالٌ جاهلةٌ غافلة عاجزة أن تُنشِئ أجيالاً غير جاهلة ولا غافلة ولا عاجزة؟!

كيف تستطيع أجيالٌ أهدرتِ الحقَّ والواجب والمُثُلَ العليا، وعبدت المالَ والأهواءَ والشهوات، وغرقتْ في الأنانياتِ والصغائِر والتفاهات.. أن تُنشِئ أجيالاً على المبادئ العظيمة، والأخلاقِ العظيمة، والأعمال العظيمة؟!

كيف تستطيع أجيالٌ فقدت رُؤاها ورؤيتَها البعيدةَ الواضحة، وضاقتْ آفاقُها أو انسدّتْ واختنقت، وتحجّرت أفكارُها وعاداتُها أو بَلِيَتْ.. أَنْ تُنشئ أجيالاً على سَعَةِ الأفُقِ، وبعد النظر، والإدراكِ الشاملِ المتجدّد، والإِبداعِ الحيّ المتواصل، والنموّ والارتقاء المستمر في مختلف الملَكات والمؤهّلات وجوانب الحياة ؟!

إِنّ مشكلةَ تربيةِ أجيالِنا المقبلة مُشكلةٌ كبيرةٌ خطيرة، وليست مشكلةً صغيرة، أو مشكلة «تقنيات» نقرؤها في بعض الكتب، أو نحشو بها الذاكرة والذهن، ونردّدها في الكلمات والمحاضرات..

أعاننا الله!!

من المِحَنِ أن تكون لك نظرةٌ نافذة تريك ما وراءَ الظواهر، وتكشفُ لك عن السرائر؛ فأكثرُ ما تراه عيناك لا يُوَلِّدُ إلاّ الحزنَ والشكَّ والإِحباط

إِذا نظر كلٌّ منّا من خِلالِ ذاتهِ وحدَها، ومن خلالِ ميولِه أو مصالحه وحدها إِلى الأمور.. كيف تلتقي النظرات، وتجتمع القلوبُ والعقولُ والجهود؟!!

ما أحوجنا إِلى نظرةٍ موضوعيةٍ شاملة، تَنْتَظِمُ جميعَ النظرات، وترتفعُ بنا جميعاً إِلى سماءِ الحقِّ والعدالة والمصالح العامّة المشتركة

❦❦❦❦❦

غوصوا في أعماق أنفسكم، واكتشفوا ما فيها من كُنوزِ المواهبِ والاستعداداتِ والطاقات؛ فكَم من محرومٍ فقيرٍ يَتَكَفَّفُ الناس(24)، وفي أعماقه كنوزٌ لو اكتشفها وعرفها واستثمرها لاستغنى بها عن السؤال، وأصبح بها من أصحاب الثراء والعطاء

❦❦❦❦❦

ما أبعد الغايةَ، وما أقْصَرَ الوسائلَ، وما أَوْهَنَ الجسمَ، وأَشَدَّ عجزه عن الوفاء بالواجب

ولكنّني لا أتخلى عن غايتي ومبادئي، ومحاولةِ القيامِ بواجبي، ولو هَلَكْتُ في ذلك، أو عَجَزَ الجسمُ الواهنُ عنِ الحراك

❦❦❦❦❦

كيف أتداركُ ما فات، والعُمُرُ قد فات؟!

لم يبق لي إِلاّ الأملُ فيك -يا ربّي- وفي رحمتك التي وسعت كلّ شيء

❦❦❦❦❦

ماذا يقولُ مثْلي، إِذا كان عمر بن الخطاب في خاتمة حياته يقول:

«ولَئِن نجوتُ كَفافاً لا وِزْرَ ولا أَجْرَ إِنّي لَسعيد.. ليت أمَّ عمر لم تلد عمر»؟!

جَهِلَ الناسُ وعلمتَ، وأخطأتُ وأخطأتُ وسَتَرْتَ، وعثرتُ فأنْهضْتَني كلّما عثرت؛ فلك الحمد على ما سَترتَ وأَعنْت، وعلى نِعَمِك التي لا تُحصى

❦❦❦❦❦

(24) يتكفف الناس: يبسط إليهم كفه، ويسألهم الصدقة والمعونة والعطاء

لأَنْ تكونَ مُقَصِّراً بينَ السابقين، خيرٌ من أن تكونَ سابقاً بين المقصّرين؛ فالأوّلُ يَحْفِزُكَ إلى التقدّم وإلى مَزيدٍ من الجهد، والثاني يُقنِعُك ويُرضيك بِسَبْقٍ زائف، وأنت في حقيقةِ الأمرِ في زُمْرَةِ المقَصّرين المتخلّفين

لماذا تقارنُ نفسَك في السرعة بالسلحفاة، ولا تقارنُها بالأرنب والغزال؟!

كثيرون يسألون العفو عن ذنوبهم وقلوبُهم ما تزال تَحِنُّ إلى تلك الذنوب

هلِ اللهُ عافٍ عن ذُنوبٍ تَصَرَّمتْ   أَمِ اللهُ إن لم يَعْفُ عنها يُعيدُها!!

فأنّى يُستحابُ لهم؟!

إذا تحرّرت من أهوائك وشهواتك، تفتَّحتْ لك آفاقُ السماءِ والأرضِ والنفس، فحلّقْتَ دونَ جَناح، وانكشفتْ لك عَوالمُ رائعة من الحقائقِ والعجائبِ والأسرار

إن عملي الصالح -إن كان لي عمل- هو من فضلِ اللهِ وتوفيقه، ولولا فضلُ الله وتوفيقُه ما هُديتُ إلى صواب، وما أُعِنْتُ على واجب، ولا كان لي مِنْ عمل.. فالفضلُ أوّلاً وآخراً هو لله عزَّ وجلّ

ما اخترتُ لنفسي شيئاً، واختارَ ليَ اللهُ سواه، إلاّ تَبَيَّنَ لي أنّ ما اختاره اللهُ هو الأفضلُ لي في دنيايَ وآخرتي، وإن حزنتُ في أوّلِ الأمرِ -جَهْلاً مِنّي- لفواتِ ما اخترتُه لنفسي

سَلِّمْ أُمورَك لله، وارضَ لنفسك ما قضاه، ولا تحزنْ على ما فاتك ممّا دعوتَ ورجوت؛ فكمْ مرّ بي من موقفٍ وظرفٍ، هتفتُ فيه من أعماقِ قلبي: الحمدُ لك يا ربيّ، أنّكَ لم تستجبْ دُعائي وطلبي في هذا الأمرِ وهذا الأمر، فلو أنّكَ استجبتَ لي -على جهلي، وقصورِ رُؤيتي، وانحجابِ الغَيبِ عنّي- لهلكتُ أو فاتني خيرٌ كثير

✾✾✾✾✾

أنا أفرح بهدايةِ اللهِ لي أكثرَ ممّا أفرحُ بجهدي وعملي، فلولا رحمةُ اللهِ وهدايتُه وتوفيقُه ما نفعني جهدٌ ولا عمل؛ وإِنْ كان العملُ واجباً على كلّ حال، وسَبَباً في استجلابِ عونِ الله

✾✾✾✾✾

دمعاتُ المظلومينَ لَعَناتٌ على الظالمين، وقصائدُ بليغة في هِجائهم، وإِن أغرقَهم النفاقُ الحقيرُ في بُحورِ الثناءِ الكاذب

✾✾✾✾✾

إِيّاك واليأس؛ فاليأسُ يُطْفِئُ حماستَك، ويَهُدُّ قواكَ المعنويّةَ والماديّةَ، ويُسَوِّدُ نظرتَك للحياة، ويشلُّ قدرتَك على العمل والإِنتاج، ويصلُ بك إِلى العجز والاستسلام

✾✾✾✾✾

اليأس قرين الكفر، والأملُ قرينُ الإِيمان

✾✾✾✾✾

الأمل حياة، واليأسُ موتٌ قبلَ الموت

✾✾✾✾✾

من أكبر معاركِنا في الحاضرِ والمستقبل: أَنْ نُخْرِجَ أنفسَنا، ونُخْرِج أمتَنا وبلادَنا، ونُخرج الأخيار في العالم كلّه إن قَدَرْنا، من ظلمةِ اليأسِ إلى نورِ الأمل، ومن وِهادِ الإحباطِ والتشاؤمِ إلى ذُرى الثّقةِ والتفاؤل، ومن هوان الاستسلام إلى شرفِ الكفاح

❦❦❦❦❦

يا رجالَ الدعوةِ الإسلاميّة!

إنْ يئستمْ يَئِسَ بِكُمُ المسلمون

وإن ذَلَلْتم ذَلّ بكم المسلمون

وإنِ استسلمتُم استسلم معكم المسلمون..

وإن شَمَخْتُمْ بجباهكمْ شَمَخَ بكم الإسلام والمسلمون، فمسؤوليّتُكُم في مختلف مواقفكم، ليستْ عن أنفسكم وحدَها؛ ولكنّها عن الإسلام والمسلمين في الحَاضرِ والمستقبل، فانظُروا - يا رجالَ الدعوة - ما تَصنعون!!

❦❦❦❦❦

لقد كنتُ أُرْجِئُ وأُرْجِئ؛ فلمّا هَمَمْتُ أخيراً بالطيران وجدتُ جَناحي قد ضَعُف وتحجّرَ و لم يعدْ قادراً على حَمْلي إلى الآفاقِ البعيدةِ التي حملني إليها أيامَ الكهولةِ والشباب؛ فإيّاكمْ ثُمَّ إيّاكم من الإرجاء

❦❦❦❦❦

ما أشقى الذي يرى الأمورَ من بواطنها، لا من ظواهرها، فيتحوّلُ بعضُ التَّمِرَةِ في عينيه إلى فِئران

❦❦❦❦❦

ما أكثر الوفاءَ والأوفياءَ وأنتَ قويٌّ يُحتَاجُ إليك! وما أَنْدَرَ الوفاءَ والأوفياءَ وأنتَ ضعيف، تَحْتاجُ الناس! وما أحلى الموتَ وما أرحَمَه آنذاك!

❦❦❦❦❦

من أبشع الأشياء وآلمِها وأخطرِها أنْ يُوضعَ عنوانُ الإسلام على واقعٍ أو على أفرادٍ يبرأُ منهم الإسلام!!

❦❦❦❦❦

هنالك ناسٌ إذا نظرتَ إلى الدنيا من خلالهم رأيتَها ظلاماً ليس في دَياجيره نُور
وهنالك ناسٌ إذا نظرتَ إلى الدنيا من خلالهم رأيتَها نوراً ليس في ضيائه ظلام
والحياةُ فيها من هؤلاء وهؤلاء، وفيها من هو بَيْنَ بَيْن

مَنْ لكَ بالمَحْضِ وليسَ مَحْضُ يَخبُثُ بَعْضٌ ويَطيبُ بَعْضُ

❦❦❦❦❦

كم ألبسَ التاريخُ مخادعينَ أو مجرمينَ ثيابَ الأبطال، وألبس أبطالاً حقيقيّين ثيابَ المجرمين، أو طَوَّحَ بهم في لُجَجِ النسيان!

والعزاءُ أنّ الناسَ يستطيعون خداعَ الناس، ولكنّهم لا يخدعون الله..

❦❦❦❦❦

ما أروع أن يكتشفَ الإنسان في صحراءِ العمرِ والحياةِ ينابيعَ حُبٍّ وحَنان، تَنْسَكِبُ من قلوبٍ طاهرةٍ ما عَرَفَ أصحابَها من قَبْلُ، وما قَدَّر أنّه يلقاهم في واقعِ الحياة

❦❦❦❦❦

تمرّ بكَ دروبُ المِحَن بناسٍ عرفتَهم وعرفوك عشراتِ السنين، وجمعتْ بينَك وبينَهم أوثقُ الروابط.. فكأنّكَ ما عرفتَهم وما عرفوك

وتمرُّ بكَ الدروبُ بناسٍ ما رأيتَهم من قبل، فكأنّكم تعارفتم وتواددتم من عشرات السنين

ما أعجبَ تصاريفَ القدَرِ وشؤونَ الحياة!

❦❦❦❦❦

ما أقلَّ الناس، الذين يفرّقون بين الذهبِ والنحاس، في الأخلاقِ والأفكارِ وتقويمِ الرجال!!..

وكم ارتفعَ عندَهم مَعْدِنٌ خسيس، وبارَ مَعدِنٌ نفيس، فأصابهم في هذا وذاك أفدحُ الخَسارِ والأضرار

❦❦❦❦❦

قد يجدُ الإِنسان كثيرينَ يُحِبّونه، ولا يجد كثيرين يَفهمونَه، فيحسُّ -على كثرةِ المحبينَ- بالغُربةِ والوحشةِ والضياع

ليست المصيبةُ فقط في الجهلاء لا يعلمونَ أنّهم جُهَلاء، والأغبياءِ لا يعلمونَ أنَّهم أغبياء، والمتخلّفين لا يعلمون أنّهم متخلّفون؛ ولكنّها أيضاً فيمن يَغْتَرُّ بهم أو ينقادُ لهم، لأنه أكثرُ منهم غَباءً وجَهلاً، أو أقلُّ رجولةً وجرأةً في مواجهةِ الباطل وبيان الحقّ؛ فيسيرون بأنفسهم وبمن تَبِعَهم، وبغيرهم من الناس إِلى الهلاك والضياع والخسار..

لا تخلو الدنيا أبداً من فاضلٍ وناقص، وأمينٍ وخائن، ووفيٍّ وغادر؛ ولكن أبشع العيوب وأكبر المآسي، وأدعاها إِلى الحزن والألم، أن يتراءى لك الناقصون الخائنون الغادرون بثياب الفضلاء الأمناء الأوفياء، وأن يخدعوك بها، ويخدعوا غيرك من الناس

ما الفائدة من ألفاظِ الفضيلة على شفاهِنا في المجالس والمناسبات، إِذا كانت الرذيلةُ تُعَشِّشُ في قلوبنا ورؤوسِنا، وتتحكّم في تصرّفاتنا في واقع الحياة؟!!

يجب أن نطهِّر قلوبَنا وعقولَنا وسلوكَنا قبلَ أن نُطَهِّر كلماتِنا، وأنْ تكونَ الفضيلةُ في القلوبِ والعقولِ والسلوكِ قبل أن تكونَ على الشفاه..

أنا لا أخاف قيودَ الطغاةِ كما أخاف قيودَ الأهواءِ والشهوات.. وإِذا كانت قيودُ الطغاةِ تُنغِّصُ الحياة، فقيودُ الأهواءِ والشهوات توبِقُ الإِنسان في الحياة وبعدَ الممات

ليس في المخلوقات ما هو أعظمُ أو أحقرُ من الإنسان!!.. وقد يكونُ الحقيرُ مجرماً في سجن، أو حاكماً في قصر، أو دَعِيّاً كاذباً من أدعياءِ الحريّةِ والديمقراطيّةِ وحقوقِ الإنسان!!

❦❦❦❦❦❦

المسخ قد يكونُ مَسْخُ جسوم، وقد يكون مسخ نفوس؛ فكم وراءَ بعضِ الصُّوَرِ الإنسانيّةِ الرائعةِ من وحوشٍ مفترسة، ومن حشراتٍ مؤذيةٍ أو قاتلة!!

❦❦❦❦❦❦

قلمُ الكاتبِ النّاصحِ كمِبْضَعِ الجرّاحِ الأمين، يغوصُ -أحياناً- في أعماقِ المريضِ لاستئصالِ الداء، وهو لا يحملُ له إلاّ الحبّ، ولا يُريد له، وهو يُعالجه ويُؤلمه، إلاّ الشفاء

❦❦❦❦❦❦

لو تَمثّلَت الخيانةُ نفسُها، وتمثّلَ الذلُّ والصَّغَارُ نفسُهما، رجالاً، لما هبطوا إلى ما هبط إليه بعضُ حكام العربِ والمسلمينَ من الخيانةِ والحقارةِ والهوانِ هذه الأيام!!

❦❦❦❦❦❦

إنَّ «حصانَ طروادة» كان داخلَ حصوننا، و«الطابور الخامس» ينتشرُ في جبهاتنا المختلفة، ومواقِعِنا الحسّاسة.. ولولا ذلك لم أصابتْنا تلك الهزائمُ الماحقةُ على كلّ صعيد..

❦❦❦❦❦❦

الخيانةُ قديمة، ولكنّها لم تُسفر عن وجهها كما أسفرت هذه الأيام، و لم تبلغْ ما بلغته من الوقاحةِ والصدارةِ والسلطان!

❦❦❦❦❦❦

لقد انقلبت الحقائقُ والقِيَمُ والمقاييس، فالخيانةُ هي تَعيبُ الآنَ الأمانةَ، و«العُملاءُ» هم الذين يَتّهمون الآنَ الأحرار، ويُلْقونَهم في أعماقِ السجون، أو يقضونَ عليهم بالموت!!

أضحك وأبكي في آنٍ واحد كلّما رأيتُ مَشهداً من مشاهد صراعِ حكّام العربِ والمسلمينَ فيما بينهم، وتطاولِ بعضِهم على بعض، فهؤلاء الحكّامُ جميعاً، ومن يحكمونهم من العبيد، ليسوا في ميزانِ العالم وميزانِ الواقع شيئاً.. صِفرٌ أو ما دونَ صِفرٍ على اليسار؛ ومع ذلك فما أعظم انتفاشَهم وادعاءَهم، وتَجَبُّرَهم على شعوبهم، وعلى بعضهم بعضاً، وكأنّ كلّ واحد منهم يُمسك بزمام العالم، وصولجان القدر، وهو لا يمسك في الحقيقة حتى بزمام نفسه!.. أَليسَ في بعض ذلك ما يُضحك وما يُبكي، بل ما يميتُ من الضَّحِكِ والبُكاء؟!

مصائر الناس في أكثر بلادنا العربيّةِ والإسلاميّةِ لا ترتبط بالحقّ والعدل، ولا بالأخلاقِ والقيَم، ولا بالقانونِ السائد، أو مصالحِ البلادِ والعباد؛ ولكنّها ترتبط بمصالح الحكّام، وأهوائِهم وأمزجتهم، ونزواتِهم المجنونةِ في بعض الأحيان!!

قال حاكم لحاكم:

لِمَ فعلتم بفلانٍ ما فعلتم وهو من أصحابِ السابِقَةِ والمكانةِ والسِّنِّ، وهو الآن بعيدٌ عن أيِّ نشاطٍ أو اتّهام؟!

قال الحاكم المسؤول:

ليس هنالك سَبَبٌ من عَمَلِه، ولكنّني أحببتُ أنْ ألهوَ وألعبَ به قليلاً، واللهوُ واللعِبُ به وبأمثاله من أحبِّ تَسْلِيتي إليّ؛ ثمّ إنّني أريد أن يشعر هو وأمثالُه من أصحاب الشأن –أو مِمَّن كانوا أصحابَ شأن– أنّهم في قبضة يدي على الدوام، وأنّهم لا يأمنون مَكْري وبَطْشي –مهما احتاطوا لأنفسهم– في أيِّ وقتٍ من الأوقات، وأن عليهم أن يُذْعِنوا قَلْباً وقالباً، ويعرفوا ويعترفوا –علناً– بما قدّمته وأقدّمه للبلاد من الخير!!

في مؤتمر «شرم الشيخ» في مصر، وصفَ «يلتسين» الشاشانَ الأحرارَ الأبطال، الذين يَشُنُّ عليهم حربَ إبادةٍ ظالمةٍ آثمة، بأنّهم مجرمون إرهابيّون لصوص!!..

ولم يرتفع من مقاعد من «مثّلوا العرب والمسلمين!!» صوتٌ بحَقٍّ، أو إشارةٌ باعتراض؛ بل صَفّقوا في نهايةِ الخطابِ لــ«يلتسين» مع المصفِّقين!!

أليس عند هؤلاء «الممثّلين!!» التزامٌ إسلاميّ؟

أليس عندهم التزامٌ إنسانيّ؟

أليس عندهم التزامٌ أخلاقيّ؟.. أم أنهم بلغوا من الضعف والعجز والهوان دَرَكةً أفقدتهم كلَّ وجودٍ في نُصرةِ حقٍّ على باطل، أو عدلٍ على ظُلم، أو خَيْرٍ على شرّ

أتساءل باستغراب:

لماذا نُجَرِّم بعضَ العمليّات الفلسطينية «الانتحاريّة» -كما تصفُها وسائل الإعلام- التي تصيبُ بحجمها الصغير، ووسائلها المحدودة، جنوداً ورجالاً ونساء وأطفالاً، ونُبَرِّرُ العمليّاتِ الإسرائيليّة التي تُصيب بحجمها الكبير ووسائلها غير المحدودة، أضعافَ أضعافِ هذا العددِ من النساءِ والأطفالِ والرجالِ الأبرياء، وتزرعُ الموتَ والفزعَ والخرابَ في كلّ مكان؟!!

إنّ عالمنا بحاجة ماسّة إلى روحِ العدلِ والإنصاف؛ فالعدلُ وحدَه هو سبيلُ الخلاصِ من اليأسِ والنّقمة والإرهاب، وسبيلُ السلام الحقيقيّ المستمرّ المطمئنّ..

العدلُ حياة وسلامٌ وبناء، والظلم موتٌ ودمارٌ وإرهاب

قال لي:

ما أروعَ ما جاء في خطاب الرئيس «فلان» عن الحقّ والعدالة وحقوق الإنسان!

قلت له:

ولكنّك لو وضعتَ هذا الرئيسَ وأشباهَه على محكِّ الواقع، وحكَمْتَ عليهم بأعمالهم لا بأقوالهم، لرأيتَ صورةً مناقضةً أو مخالفةً في أكثرِ الأحيان، ولَرأيتَهم يميلون مع المطامع والمصالح الشخصيّةِ والأهواء، ويدوسون في ذلك الحقَّ والعدالةَ والإنسان وحقوقَ الإنسان، فلا بدَّ من النظرِ مع السماع، ومن مُقارنةِ الأقوالِ بالأفعال، لنصلَ في شأنهم -وشأن غيرهم- إلى ما يمكن الوصولُ إليه من الصواب

الذين يملكون القوّة الماديّة الساحقة، ولا يتحلَّوْنَ معها بالإنسانيّة والعدل والإنصاف.. أهلٌ لأَن يكونوا أكابرَ المجرمين في الدنيا؛ ومِنْ أَوَّلِ هؤلاء بعضُ المسؤولين الكبار في الدول العظمى

❦❦❦❦❦❦

المُلْكُ لله –يا سيّد كلينتون–، وليس للولايات المتحدة الأمريكيّة، ولا لكَ، ولا لأحدٍ في هذا العالم وستجدون أعمالَكم كلَّها أمامَكم يومَ لا قوّةَ ولا ملكَ ولا سلطانَ إلاّ للهِ الواحدِ القهّار

❦❦❦❦❦❦

أنّاتُ المظلومينَ ودعواتُ المظلومينَ ودماءُ المظلومينَ.. أفعلُ من القنابلِ النوويّة في هَدْمِ صُروحِ الطغاةِ والطُّغيان، فلا تحسبنَّ الدماءَ البريئةَ تذهبُ عَبَثاً، ولا تحسبنَّ اللهَ غافلاً عمّا يعملُ الظالمون

❦❦❦❦❦❦

إنّ الذين ارتكبوا مجزرةَ «قانا» و«النبطيّة» في لبنان، ليسوا بَشَراً، وأستحيي –واللهِ– من الوحوشِ أنْ أصفَهم بأنّهم وحوش!!

❦❦❦❦❦❦

لقد قامتْ إسرائيل على الدماءِ والاغتصابِ والإرهاب، ومع ذلك فضحاياها المنكوبونَ هُمُ الذينَ يُنْعَتون بالإرهابيّين، ويطارَدون في كلِّ مكان!!

❦❦❦❦❦❦

لِتكونَ حُرّاً يجبُ أن تكونَ قويّاً

لِتكونَ عادلاً يجبُ أن تكونَ قويّاً

لِتكون نافعاً يجب أن تكون قويّاً

والذين يرتضون لأنفسِهم الضعف، ولا يأخذون بأسباب القوّةِ المعنويّةِ والماديّة، في ذواتِ أنفسِهم، وفي مختلف مجالات حياتهم، يتنكّرون عمليّاً للحريّة والعدلِ والخير، وسائر المبادئ السامية والقيم العليا

❦❦❦❦❦❦

الفيلسوفُ العالميُّ الشهير روجيه غارودي، صديقٌ عزيزٌ جداً، أتَّفِقُ معه في أمور، وأختلف معه في أمور؛ ولكنّني أشهدُ أنّه مُثقَّفٌ عظيم، ومفكّرٌ عظيم، وإنسانٌ عظيم، وأنّه يملكُ من الشجاعةِ الأدبيّة ما لا يكادُ يُجاريه فيه أحدٌ من أمثالهِ في هذا العالم والعصر

وسلامٌ على غارودي في مِحْنَتِهِ الراهنة، ومحنةِ العلمِ والفكرِ والضميرِ، التي تُذَكّرنا بعضَ التذكير، بقُرونِ الغَرْبِ الوُسْطى، ونحن على عتبةِ القرنِ الواحدِ والعشرين

سجنوا فكرَه عَمَليّاً، وغَلّوا لسانَه وبنانَه!

حَكَموه قبلَ أن يُحاكِموه!

أهذه هي عدالةُ الغربِ المتقدّم المتمدّن المستنير؟!

وإذا فُعِلَ هذا بفيلسوفٍ شهيرٍ مثل غارودي، فماذا يُفْعَلُ أو يمكنُ أن يُفعل بالمغمورين أو المستضعفين من الناس!!

وا أسفاه ثمَّ وا أسفاه!!

ما أصعبَ وما آلَمَ ما أنتَ فيه يا صديقي العزيز.. روجيه!

لقد جرّبتُ بعضَه من قبل، وذُقتُ من مرارةِ ما تتجرّعُه الآن

يهاجمونك ويتّهمونك ويفترون عليك، جاهلينَ أو عالمينَ عامِدين، وتُغْلَقُ في وجهك كلُّ أبوابِ الإعلام المقروء أو المسموع، فلا يصل قولُك ولا صوتُك إلى عينٍ ولا أُذُن!!

دعوه يتكلم -أيّها الناس- ثمّ ناقشوه إذا تشاؤون

دعوه يتكلم ثمّ حاكموه إذا تشاؤون

دعوه يتكلم ثمّ اقتلوه، نعم اقتلوه!! إذا تشاؤون! فما في الجرائم ما هو أظلمُ وأبشعُ من حرمانِ الإنسانِ حقَّه في الدِّفاع عن نفسه، والإفصاح عن رأيه

أَإلى هذا الحدّ تُخيفُ الكلمةُ وتُضطهدُ، وتُنتهكُ حقوقُ الإنسان، من مُعَلّمي حريّة الكلمةِ وحقوقِ الإنسان؟!!

لماذا نحنُ عاجزون عاجزون؟!

لماذا نحنُ مظلومون مضطهدون؟!

لماذا لا يتحقّقُ بنا خيرٌ أو شرّ، ونفعٌ أو ضُرّ؟!

لماذا لا نتقدّمُ إلى غاية، ولا نستطيع النهوض بواجب؟!

لماذا؟!

إنّ عجزَنا الراهِن، بصُوَرِهِ الراهنة، خيانةٌ وحقارة، والموت نفسُه أرحمُ بنا، وأكرم لنا من الخيانة والحقارة، وما يعانيه بعضُنا، ويستغرق فيه بعضُنا الآخر، بلا مبالاة ولا إِحساس، من العجز والذُلّ والهوان

أكتبُ ما أكتبُ ولا أدري:

هل هنالك من يقرأ؟ هل هنالك من يتأثّر بما يقرأ؟ هل هنالك من يفكّر؟ هل هنالك من يندفع إِلى العمل؟ هل هنالك من يَرْهَنُ نفسَه وجهدَه لإِنقاذ أمّته وبلاده من مأزقها التاريخيّ الخطير، وإِنقاذ الإِنسانيّة والإِنسان؟..

أعترفُ بأنني أكتب هذه الكلمات في هذه اللحظة وأنا حزينٌ حزين، وبأنّني أخشى أحياناً أن أكون كمن يمشي وحدَه في فلاةٍ بعيدة، ويتكلّم وحدَه، وليس أمامَه ولا وراءَه إِلاّ الرمالُ والفراغ!!

ولكنّني -على ذلك كلّه- سأتابعُ طريقي العتيد، أمشي وأمشي، وأتكلّم وأكتب، إِلى أن تُوقِف خطواتي، وتخنق صوتي، وتشلَّ أصابعي يدُ الموت

ولن أفقد أبداً -رغم طَوارئِ الحزنِ أحياناً وخيباتِ الأمل- ثقتي بربّي، وثقتي بنفسي، وثقتي بالإِنسان وما ينطوي عليه من الخير، وثقتي بالمستقبل: مستقبل الإِسلام والإِنسان

أكرم زعيتر -رحمه الله- عَلَمٌ عربيٌّ شاهقٌ هوى

عرفتُ بوفاته متأخّراً جدّاً، فحزنت لغياب الرجل الكبير والصديق الكبير، وأنْ يَهْوِيَ هذا العَلَمُ الشاهقُ بصمت أو ما يشبه الصمت، فلا يعرف بذلك كثيرٌ من أصدقائه وعارفيه إِلاّ متأخرين، والعالَمُ العربيُّ تمتلئ عيونُه ومسامعُه أحياناً بأتفه الحوادث والأخبار!!

ما أروعَ وفاءَ العظيم للعظيم!

ما أروع وفاءَكَ يا أخي يوسف القرضاوي لأخيك محمد الغزالي رحمه الله

ويا لَهُ من درسٍ عمليّ بليغ تُلَقِّنُه لكثيرٍ من العلماءِ وطلبةِ العلمِ والدعاةِ إِلى الله، في زمنٍ قلَّ فيه الوفاءُ والعِرفان، وكَثُرَ فيه الجحود والنُّكران

جزاكَ اللهُ عنِ الإِسلام والمسلمينَ خيرَ الجزاء

ثباتاً ثباتاً على الحقّ، فالباطلُ خِزْيٌ في الدنيا، وعذاب في الآخرة

أنْ أُسْتَشْهَدَ على الحقّ، أحبُّ إِليَّ من أن أملك الدنيا كلّها على الباطل

على مَحَكِّ الأحداثِ الكبيرة، والتحدّياتِ الخطيرة، يتبيّن الصادقون والكاذبون، والرجالُ وأشباه الرجال

إِرفعوه ما شاءَ أو شئتم أن ترفعوه
ومجّدوه ما شاءَ أو شئتم أن تمجّدوه
فسيقف سلطانُه ونفاقُكم عند حافّة القبر، ومن ورائه، ووورائكم من بعده، جهنّمُ وبئس المصير

الدكتاتوريّة هي الدكتاتوريّة: أن تضع جبينَك في الرّغام، وإِلاّ فلا أَمانَ ولا سلامَ ولا وِئام

الحاكمون بأمرهم يتعاملون مع الناس بأمزجتهم وظروفهم ومصالحهم، لا حسب دستور وقانون، وحقوق وواجبات، وعدل وإِحسان..
ويا شقاءَ الإِنسانيّة والإِنسان بأمثال هؤلاء الحكام

أذلُّ من الكلاب وأحقرُ منها ألفَ مرّة، عبيدُ الطاغوتِ الذين يقبلون لأنفسهم أن يكونوا أظافرَ باطِلِه، وبراثنَ جرائمِه، مهما حازوا من المراتب، ونالوا من المكاسب، وكان لهم من الوجاهة والسلطان في أعين بعض الناس

لن يفهمنا من فقدوا الكرامة، والشعورَ بالمسؤولية، والإِحساسَ بالخير والشرّ، ولن يكون لكلماتنا في نفوسهم صَدىً إِلاّ الاستغراب أو اللامبالاة

هل هؤلاء –يا ترُى– من الأحياء الذين تزدهر بهم وتشرُفُ الحياة؟!

عندما يتّهم حاكمٌ عربيٌ حاكماً عربياً آخر بالفرديّة والدكتاتوريّة وانتهاك حقوق الإِنسان.. لا أملك نفسي من ضحكٍ مرير، فكلُّ الناس يعرفون أنّهم في جوهر الأمور «في الهوى سواء»

إِذا قُتِلت الحريّةُ والكرامة، وقُتِل الأملُ والحُلم في حياة الشعوب، لم يتحقّق لها نهضة، ولم يُدْفَعْ بها ظلمٌ وعدوان، فويلٌ لمن يقترفون هذه الجريمة البشعة، ولمن يدفعون شعوبَهم إِلى هذا المصير البائس الحقير

التاريخ يُعلِّم ويُلْهِم ويُفَسِّر؛ ولكنّه لا يُلغي الفكر والإِرادة، ولا يُكبِّل الحاضرَ والمستقبل

أنا أحبّ أنْ أواجه الواقع الإِنسانيّ والاجتماعيّ والسياسيّ.. وأن أفهمه كما هو، ولكنّني لا أقبل أن يحكمني هذا الواقع، وأن أقف فيه موقف المستغلّين الانتهازيّين، لا موقف الناصحين المصلحين، والمجاهدين الصادقين من أجل واقع أفضل

أنت لا تُريد هذا، ولا تُريد هذا، ولا تريد هذا.. قل لي بالله ماذا تريد؟!
وإِذا لم تعرف ما تريده فيكف تتّخذ إِليه الأسباب، وكيف تصل إِليه يوماً من الأيام؟!

لا يُحرّرُك من قيود الواقع الحقير إِلاّ حُلُمٌ كبير وأملٌ كبير، فالأحلامُ الصغيرة والمطالبُ الصغيرة، ولا تستأهل الكفاح المرير، والتضحيات الجسام

عندما أرى بعض الأنظمة السياسيّة، في بعض بلادنا العربية والإِسلاميّة، يُخيّل إِليّ أنّني أشهد فيلماً سينمائياً عتيقاً، أو أقرأ في كتاب تاريخيّ قديم

أكثر الأنظمة السياسيّة، في بلادنا العربية والإِسلاميّة، لن يدوم
وكيف تدوم أنظمة لا تتناسب مع كرامة الإِنسان وعقله ومصلحته، ولا مع مُتَغَيِّرات العالم والعصر؟!

لا تكن في نفسك وفكرك ومسلكك صورة الواقع الراهن الحقير، فذلك عارُ الدنيا والآخرة، والخسارُ المبينُ في الداريْن، ولكن كُنْ صورة إِسلامك العظيم كما أنزله الله، وإِشراقَةَ الأملِ وطليعةَ المستقبلِ والنصرِ الموعود

لا يُوازي مقاومتي وكراهيتي للظلم والظالمين إِلاّ إِشفاقي عليهم، ورغبتي في إِنقاذهم من ظلمهم لأنفسهم وظلمهم للناس

الظلمُ هو أحطّ ما يهبط إِليه الإِنسان من دَرَكات، والظالمون هم أحطُّ البشر وإِن توهموا أنّهم في أعلى الدَرَجات

ألا ليتَ الظالمين يُحسّون ويدركون حقيقتهم المفزعة المخزية، ويجاهدون أنفسهم بصدق ليتحرّروا من الظلم، ويعودوا بشراً أسوياء

ما أجمل أن يفيء الظالمون إِلى الحقّ والعدل، وأن تستردّ مجتمعاتُنا المنكوبةُ الأُخُوّةَ والمحبّةَ والكرامة، والتعاونَ المثمر على البرّ والتقوى

من أمثال العرب:

«رَهَبُوتا خيرٌ لك من رَحَموتا»

أيْ أن تُرْهَب فلا يُعتدى عليك خيرٌ لك من أن تُرحم فلا يُعتدى عليك؛ فكيف الآن وقد ماتت الرحمة في القلوب، وفي العلاقات، وصدق المثل الآخر:

«إِن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب»

لا بدّ لنا من قوّة مادّيّة ومعنويّة كبيرة تحمينا أن نُظلَم، وتحمينا أيضاً أن نكون من الظالمين

الحوار طبيعة وضرورة وواجب، وأن من أشدّ الناس إِيماناً وعناية بالحوار؛ ولكن من الحوار ما لا يمكن أن يجدي، أو أن يَقوم أصلاً، وأنت عاجزٌ ضعيف لا تُخشى ولا تُرجى، ولا تَمَسّ الحاجة في قضاء أمرك إِلى محاورتك

لا بدّ من القوّة، بمختلف أنواعها، على كلّ صعيد، ليُحاورنا الناسُ ونُحاور الناس، ولنصل من وراء الحوار إِلى ما هو حقّ وعدل وخير لنا ولسائر البَشَر

أشدُّ الأشياء إِيلاماً أن ترى أحبابك يتألمون فلا تستطيع لهم شيئاً صدِّقوني فقد ذقت ذلك وعرفته بالتجربة

أقول لبعض الأحباب الذين يعانون لأداء واجبهم، ويرفضون الهرب من تبعاتهم للخلاص من المعاناة:

إِصبروا على آلامكم لتحموا غيركم من الآلام، وتؤدّوا رسالتكم وواجبكم على أفضل ما يمكنكم؛ فالحياة الكريمة هي أحياناً تضحيات وتضحيات وتضحيات، وإِن ضاعَ ثوابكم، وضاعت حقوقكم عن الناس، فلن يضيع ذلك عند الله

❦❦❦❦❦

لماذا يحمل بعضُ المسلمين إِلى بيوتهم أو مجتمعاتهم الشقاء والبلاء، وكان بإِمكانهم أن يحملوا السعادة والسلامة والأمن والخير؟!!

إِنّه سؤال جارح كحدِّ السكِّين يطرحه واقع المسلمين المرير كلَّ يوم

فهل تصحو النفوسُ السادرة، وتفيء إِلى الله، وإلى الواجب والضمير

❦❦❦❦❦

صوت المسلمين خافت ضائع في هذا العالم والعصر، ومع ذلك فما يزال بعضهم يحاول خنقَ صوتِ بعض، وسدَّ طريقه إِلى الناس!!

❦❦❦❦❦

الصغائرُ تجرُّ إِلى صغائر، والانحرافات تجرّ إِلى انحرافات، وتزداد قيود الصغائر والانحرافات كلما أَوْغَلْتَ فيها، ويعظُم سلطانُها وجَذْبُها ويشتدّ، فاحذر أن تسقط في هذه الشِباك

❦❦❦❦❦

التشاؤم واليأس طريقُ الهزيمة النفسيّة والفكريّة والعمليّة

والتفاؤل والأمل والعمل البصير طريقُ الصمود والكفاح والنصر -إِذا استُكْمِلَتْ شروطُ النصر-

❦❦❦❦❦

من العيوب الكبيرة: أن تظنّ نفسك قادراً وأنت عاجز، أو عاجزاً وأنت قادر، وأن تفقد التمييز الدقيق بين الأمور، وتسقط فريسة الأخطاء والأوهام

❦❦❦❦❦

لا تكُنْ كما يحبّ لك غيرُك، ولكن كما تحبّ أنت أن تكون، ولا تَعْتَقِدْ نفسَك كما يراها أو يحكم عليها الآخرون، ولكن كما تراها وكما تحكم عليها بمعرفتك وعقلك، لا بجهلك وهواك، مستفيداً من رؤية الآخرين ونصائحهم

من إسلامك:

أن ترفع رأسك إلى السماء وإن انخفضت سائر الجباه

وأن تتابع السير إلى الغاية وإن أُفْرِدْتَ وحدَك في الطريق

وأن تكون دائماً على بصيرة فلا تخبط خَبْطَ عَشْواء

وأن تحتفظ في صدرك بنور الأمل وإن غرقت الدنيا في ظلام اليأس

وأن تصبر في البأساء والضراء وحين البأس.. وإن عزّ الصبر

وأن تحمل مسؤوليّات جميع الناس.. إن هربوا من حمل المسؤوليات

وأن تبذل نفسك وكلّ ما تملكه في سبيل الله، ولو انقطع البذل

وأن تَسْتَوْفِيَ في نفسك كلّ ما يلزمك لأداء رسالتك على خير ما تستطيع

وأن تجدّد نفسك، وتُقَوِّمَ مسارك، باستمرار

وأن تُخلص النّية والقصد، وتطلب الحقّ والصواب، في كل فكر أو قول أو عمل

وأن تؤثر الآخرة على الدنيا، ومرضاة الله على مرضاة الناس، وعلى كل شيء من الأشياء

لن يحبّنا، ولن يستجيب لنا، إلاّ من يحبّون الحقّ والعدالة، والحرية والكرامة، والإنسانيّة والإنسان..

أما الطاغوتُ وعبيدُ الطاغوت فلن يحبّونا أبداً بصدق وإخلاص، ولن تكون ابتساماتهم لنا، وكلماتهم في مجاملتنا في بعض الأحيان.. إلاّ أقنعة زائفة تمليها بعض المصالح والظروف

نعم إنّني أعني كلّ كلمة أقول، وكلّ حرف أخطّه على الورق؛ فما في إهابي إلاّ ما أؤمن به، وأدعو إليه، من الحقّ والعدالة، والحريّة والكرامة، والحبّ والخير

عندما يزدحمُ عبيدُ الدينار والدرهم، والأهواء والشهوات، على أبواب الطاغوت، وفُتات موائده، أتمثّلُ أسرابَ الحشرات تزدحم على الجِيَف، فلا يَعْظُم في عيني الطاغوتُ لكثرة من يزدحمون على أبوابه، ولا يعظُم المزدحمون لقُربهم من الطاغوت، ويغلبني أحياناً الاحتقار والاشمئزاز كما يغلبني الإِشفاق

❦❦❦❦❦

استردّوا إِنسانيّتكم أيها الناس؛ فالذي يفقد حريّته وكرامته ونهجه الأصيل.. يفقد إِنسانيّته ومغزى حياته ووجوده

❦❦❦❦❦

أوه، ليتني أستطيع أن أنقل شرارة واحدة من نار قلبي، إِلى قلوب غَلّفها الصقيع، وماتت قبل الموت

❦❦❦❦❦

قال الطاغية الظالم لسجينه المظلوم وقد قرّر إِطلاق سراحه:

- يا لك من مجرم أثيم!.. كم أوجعتَ يدي وأنا أضربك بالسوط، وثقبتَ أذني بالصراخ والعويل! فاعتذرْ إِليّ قبلَ الفَكاكِ وإِلاّ فلا فَكاك، وتُب إِليّ مما اقترفتَ وأجرمت!

قال السجين: وهو لا يقوى على النهوض من العناء، ولا على الكلام من الخوف، ولا يكاد يصدّق بالنجاة:

- لا تؤاخذني يا مولايَ ويا سيدي. اصفح عنّي واغفِر لي ما فَرَط مني.. أستغفرك وأتوب إِليك!!

وهكذا تجري الأمور في بعض بلادنا العربية والإِسلاميّة، ويُهْدَر الحق، وتُهدر الإِنسانيّة والإِنسان!!

❦❦❦❦❦

بعض الناس فقدوا نعمة الحرية، والشوق إِليها، والقدرة على الحياة بها، فهم يتنقلون من سيّد إِلى سيّد، ومن نِير إِلى نِير .. سيّدٍ يُسَخّرهم بالخوف والسوط، وسيدٍ يسخرهم بالطمع والفُتات، وهم عبيد، بل شرّ من العبيد، في كلتا الحالتين

❦❦❦❦❦

أنتَ! أنت! أنت!..

إِن ملابسك الثمينة، وسيّارتك الثمينة، وقصورك الثمينة، ومناصبك الكبيرة.. لا تكفي وحدها لتكون بها إِنساناً كبيراً، فلا تخدعنّك نفسُك عن حقيقتك، ولا تتيهنّ علينا بِعَرَضٍ زائل لا يدوم

❋❋❋❋❋

أنا بالله أغنى من كلّ مخلوق، وأقوى من كلّ مخلوق، وأسعد من كلّ مخلوق، فكيف أترك صحبته لصحبة الطاغوت، وطاعته لخدمة الطاغوت؟!

❋❋❋❋❋

إِن لم يكن على عينيك أغشية كثيفة من العبودية للدنيا، والعبودية للهوى، والعبودية للعصبيّات الجاهلية.. فسوف تراني وأراك، وتجتمع خطاي وخطاك على طريق الله عزَّ وجلَّ، ما دمنا نؤمن صادقين بالله واليوم الآخر

❋❋❋❋❋

قالوا:

- الوقت من ذهب، والوقت من الحياة والحياة هي الوقت.

أحبّ أن أضيف:

- والوقت هو أيضاً سعادةُ الإِنسان أو شقاؤه الأبدي، فمن خلال الزمن يعمل الإِنسان، فيدخل بعمله الجنّة أو النار

❋❋❋❋❋

لا يُعرف المؤمن الصادق إِلاّ بالصبر على الشدائد إِذا نزلت به الشدائد، وعن المغريات إِذا عَرَضت له المغريات، والثباتِ على الحقّ إِن تفرّق عنه الناس، ومتابعة العمل والجهاد حتى يأتيه اليقين

❋❋❋❋❋

أفْسَلُ[25] الناس من يظلم زوجته، ويتفرعن على ولده، ويستعلي على إِخوانه وصحبه، ثم يضعف في مواجهة تحدّيات الحياة وتكاليف الحياة، وينقاد للأهواء والنـــزوات، ويذلّ أدنأ الذلّ لأصغر الطواغيت

لا أخافك أبداً أيُّها الطاغوتُ المتجبّر!
إِنك مهما انتفشتَ وتجبّرتَ في الحاضر، عظامٌ نَخِرة، ثمّ حَفَناتُ تُرابٍ في المستقبل
حفناتُ ترابٍ تدوسها الأجيالُ القادمة، وتنصَبُّ لعناتٌ ولعنات على من كانَتْه في ماضيات الأيام

رأيتُ سريرَ نومِ هذا المليارديَر الفاجر في التلفزيون بعد موته بزمن
ما أفخمَه وما أروعَه وما أحلاه!
ولكن أين تُراه يرقد هذا الملياردير الآن؟! وما مصيره الأخير ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المطففين:6]
﴿...**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ**﴾ [النور:44]

أيّهما أفضل: أن تركض وراء سرابٍ ولا ماء، أو أن تقعد بلا ماء ولا سراب؟
أمّا أنا فقد فجّر الإِيمانُ ألفَ ينبوعٍ في قلبي، فلا أحتاج أنْ أختار هذا أو ذاك

علينا أن نصنع مستقبلَنا بأيدينا، لا أن ننتظر جامدين مستسلمين ما يصنعه لنا أو يصنعه بنا الآخرون

من لا يثق بنفسه ولا يحترمها، لا يثق بغيره ولا يحترمهم، ولا يثق به غيره أيضاً، فهو شرّ لنفسه وللناس

(25) فسُل الرجل يفسُل فُسُولَة: جَبُن ورَذُلَ. والفُسُولة: قلّة المروءة وضعف الرأي.

إِذا كان الماضي يُعَلِّمك، فالحاضر والمستقبل يمنحانك فرصة الاستفادة مما تعلمت، وفرصة الإِبداع وتحقيق الذات

أعرف شابّاً جيّداً، تَقَدَّمه كثيرون ممن هم دونه موهبةً ومقدرة. لا ينقصه إِلاّ معرفةُ نفسه والثقةُ بها، وشيءٌ معقول من الجرأة والإِقدام..

هل تعرف أنت أيضاً مثل هذا الشاب؟ أو لعلّك أنت أيضاً مثله؟!

معرفة النفس والثقة بها، والجرأة المعقولة والإِقدام البصير.. أمر لا بدّ منه في مواجهة تحدّيات الحياة، والقيام بمختلف الواجبات.

نعم، هو «حَقّاني» ونزيه، ولكن في الأمور التي لا ترتبط بها منفعته ومصلحته وهواه، أو لا يكون له وزن على الإِطلاق!!.

كيف نتبيّن أنّك على حقّ إِذا كنتَ تتكلّم وحدَك وتمنع خصمك من الكلام؟!!

ألا يوحي إِسكاتُ الخصوم أنّك تحمي به –ربّما– باطلك، وأن الحق ربّما كان مع سواك؟

العين لا تقاوم المِخْرَز –كما يقولون–؛ ولكنّها لن تنظر أبداً إِلى أصحاب المخارز نظرة محبة أو احترام

يظن بعضُهم أنّ التفاؤل أن ترى الليلَ نهاراً، والقُبحَ جمالاً، والشرَّ خيراً، لا؛ ولكن التفاؤل أن تؤمن بانتصار النور والجمال والخير، وبقدرتك أنت بالذات على أن تسهم في هذا الانتصار

السكوت عن الباطل والظلم عونٌ سلبيّ لهما أو تواطؤٌ ضمنيّ معهما؛ ومعاذ الله أن نكون من حيث نريد أو لا نريد أعواناً للباطل والظلم، أو أن نكون مع الظالمين المبطلين من المتواطئين

بعض الناس يتفاءلون كثيراً لأنهم لا يرون دواعِيَ التشاؤم الكثيرة في الحياة، وبعض الناس يتشاءمون لأنّهم لا يرون دواعِيَ التفاؤل..

ما أحوجنا إِلى النظرة الشاملة الواعية التي ترى كلّ الجوانب والمعطيات، وتضع الأمور كلّها في نصابها الصحيح

وما أحوجنا إِلى إِيمان عظيم يسمو بأصحابه فوق كلّ شيء، وتنبثق ثقتُه بالحياة وبالمستقبل الدُّنيَوِيّ والأُخروِيّ من ثقته بالله عزَّ وجلَّ

ما يزال كثير من الناس يعبدون رغبةً أو رهبةً الأصنام!! لا أعني أصنام الحجر، ولكن أصنام البشر!!

ما أصعبَ التحرّرَ الحقيقيّ من الوثنية، وإِخلاصَ الدين والنفس لله عزَّ وجلّ

كم في عالمنا العربيّ والإِسلاميّ من ضحك يتقاطر منه -لو تَوَسّمتَه- الأسى والدمع، ومن بكاء له صورة الضحك ورنينه المستعار!!

قلت له وأنا أُودّعه:

- ما أصعب أن يغترب الإِنسان عن وطنه، وعن أهله وصحبه!!

قال لي وهو يودّعني:

- أصعب من ذلك كثيراً أن يغترب وهو في وطنه عن نفسه ذاتها: عن عقله ومُثُلِهِ، وضميره وعاطفته، وحريته وكرامته..

قلت له:

- لعلّك تبالغ؟

قال لي:

- لا تنكأ جراحاتي! تمر بي أحياناً حالات أرى الموت فيها خيراً من الحياة، وأَرْوَحَ من الحياة!!.. وما هو نفع الحياة لمن يفقدون أنفسهم وشخصيّتهم وإِرادتهم ومغزى وجودهم..

وداعاً -يا صديقي- وداعاً، وتذكّر: أننا نعاني في وطننا ما لا يعاني كثيرون في الغربة. أُدعُ الله لنا، فقد طال بنا الظلام، وطال انتظارُنا الفجر

❦❦❦❦❦❦

قال لي:

- كلماتك غريبة كلّ الغربة في واقع العرب والمسلمين والعالم والعصر، منفصلة عن تفكير أكثر الناس وشعورهم وسلوكهم العملي

قلت:

- ولكنها متصلة كلّ الاتصال بفكري وضميري وشعوري وسلوكي، وبالحق الخالد الذي أومن به، وبالمصلحة الحقيقية لأمتنا وبلادنا، والإِنسانيّة والإِنسان، عندما يصحّ الفهم، وتعتدل الموازين

❦❦❦❦❦❦

لقد رفضت في شبابي «الوزارة» مَرّات، ورفضت «السفارات» ومختلف المغريات.. لتبقى لي حريتي كاملة في خدمة عقيدتي وأمتي وبلادي على الوجه الصحيح، واستقامتي على طريق الحق والعدالة والخير، وخدمة الإِنسانيّة والإِنسان

ولقد جابهت الموت أشكالاً وألواناً، فما أرهبني الموت الذي لاحَقني في بلدي وغربتي، ودخل أكثر من مرّة بيتي، ولا حجزني عن موالاة الحق، والجهر به، والعمل في سبيله بكل ما أستطيع

وأعيشُ الآن أسيرَ مرضي وشيخوختي ووحدتي.. فهل ندمت على ما ضيّعته -وما أزل أضيّعه- من فرص الدنيا، وهل شعرت يوماً، بل لحظةً واحدة، بأنني خسرت بما أصابني في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وبما سلكته من طريق عسير خطير، وبما آلت إِليه حالي من الغربة والوحدة والمرض؟

لا والله، ولو عادت الأيامُ القَهْقَرى إِلى عهود الصبا والشباب، وعادت الفُرص الكبيرة، والمغريات الكثيرة، تطرق بابي من جديد، بإِلحاحها الشديد.. لَما سلكتُ إِلاّ الطريق الذي سلكتُه في الماضي، فالدنيا كلّها لا

تَعْدِل عند الله جناحَ بعوضة، ولا شيءَ أربحُ ولا أسمى ولا أحلى من أن تكون مع الله عزَّ وجلَّ، وأن يكون الله معك حيثما كنت وتوجهت

لقد عشنا حياتنا أحراراً حتى ونحن في القيود، وعاش جلاّدونا عبيداً وهم في أوج القوة والسلطان

أقسى من سجون الطغاة، ما نحبس فيه أنفسنا بِإرادتنا، من سجون الجهل والهوى، أو اليأس والإحباط، أو الصغائر والتفاهات..

وإِذا كانت مفاتيح سجون الطغاة ليست بأيدينا، فبأيدينا مفاتيح سجوننا التي أغلقناها على أنفسنا بأنفسنا، والتي نزيدها أَقفالاً وأَغلالاً كلّ يوم!!

لن نتحرّر تماماً من السجون التي يحبسنا الطغاة فيها حتى نتحرّر من السجون التي حبسنا فيها أنفسنا، فهما أمران متكاملان لا ينفصلان

كلنا يعرف الفرق بين الزمن الفيزيائي الذي يقاس بعقارب «الساعات»، والزمن النفسي الذي يستعصي على هذا القياس

وقد يكون في الزمن النفسيّ ساعاتٌ في غناها كسنوات، وسنواتٌ في فقرها كساعات

وقد يعيش إِنسان حيّ -بمقياس الزمن النفسيّ- في عمر قصير أضعاف أضعاف ما يعيشه بعضُ طوال الأعمار

وقد يسمو إِنسان فانٍ على الفناء نفسه، ويعانق الخلود في لحظات

فطوبى لأغنياء النفوس الذين تَغْنَى بهم الإِنسانيّة، وتمتدّ رؤاهم وحياتهم -وإن ماتوا- عصوراً بعد عصور

التحرّرُ من سجن الواقع الوقتيّ النسبيّ، والارتفاعُ إلى سماء «المُطْلَق»، ثم العودةُ بروح «المطلق» إلى معالجة شؤون الواقع، خير للإنسانيّة والإنسان، وعون للركب البشريّ على رؤية الغاية والطريق، وتحقيق المصالح العملية المرجوّة: القريبة والبعيدة والأبعد

ما أكثر الآذان التي تخاطبُها فلا تسمعُ ولا تعي ولا تتأثّر، فكأنّك تصرخ في صحراء قاحلة مَوات!

وما أقلّ الآذان التي تسمع وتعي وتتأثّر، وتتحوّل الكلمات فيها إلى غيثٍ يُحيي، ونورٍ يَهدي، وعملٍ مُثمرٍ فعّال!

رُبَّ أُذُنٍ بجوارك تخاطبُها فلا تسمع ولا تعي ولا تتأثّر، فكأنّها صخرةٌ صمّاء ملساء

وَرُبَّ أُذُنٍ بعيدة بعيدة، تُصغي إليك، وتتجاوب معك، فتلتقي القلوبُ والقلوب، والأفكارُ والأفكار، والخُطى والخطى، على طريق الحريّة والكرامة، والحقّ والعدالة، والمستقبل الإسلاميّ والإنسانيّ المنشود

يا أصدقاءَ روحي وفكري، ورفاقَ غايتي ودربي، أينما كنتم من الأرض!

كم أفكّر فيكم، وأرتاح لذكركم، وآنس برسائلكم وهواتفكم، وأسعد أو أشقى بأخباركم، وأنتم تمشون في دروب الحياة والكفاح، وتصنعون ما تصنعون من إخفاق ونجاح!

من ضروب التعبيرِ الحديث التعبيرُ بالفراغات والنُّقَط دون كلمات

أجدُ هذه الليلةَ نفسي في أمسِّ الحاجةِ إلى هذا النمطِ من التعبير، إذ لا يسعني ولا يسعفني هذه الليلةَ سواه:

آهٍ.. آهٍ.. آه..

هل تفهمونني أيها الأصدقاء؟! افهموني، فأنا بحاجة إلى من يفهمني ويشاركني مشاعري.. دون حروف ولا كلمات!! ولا أستطيع.. لا أستطيع.. أن أبوحَ بما تنطوي عليه الضلوع!!

معالي الأمور غريبة عن حياة كثير من المسلمين!! لا يعرفونها، ولا يُفكّرون فيها، ولا يطيقون حملَ تكاليفها -إن عرفوها-، ولا يحبُّون أن يُذَكّروا بها، أو يُدْعَوْا إليها، فقد شغلتهم عنها وعن دُعاتها سفاسفُ الأمور، وصغائرُ الأهواء والشهوات

أيامُنا في الحياة محدودة وواجباتُنا غيرُ محدودة، فكيف نملؤها بالسفاسِف والصغائر والتفاهات، ونصرفُها فيما لا يفيد من الأمور

ساعاتٌ تأتي وتمضي، وتمضي معها الحياة، ونحن لا نحسّ ولا نشعر ولا ندرك.. إلى نجد أنفسَنا فجأة في قبضة العجز أو الموت

أسعدُ السعداء من عرف غايته، وأدّى رسالته، قبل أن يعجز أو يموت

وأشقى الأشقياء من جهل غايته ورسالته، أو غفل عنها وأهملها، وشغله متاع الدنيا الزائل عنها، إلى أن عَجَزَ أو مات

وتمضي أمواجُ الحياةِ بهؤلاء وهؤلاء إلى مصائرهم من خسارة أو فوز، وشقاء أو سعادة.. دون احتفال أو انتظار

تَحرَّكْ تَحرّكْ يا أخي! فالجمود موت والحركة حياة

يجب أن نسهم في صنع مستقبلنا ومستقبل الإنسانيّة والإنسان؛ لا أن نجلس في مسرح الحياة مُتفرِّجين سلبيّين، نرقب المشاهد والحوادث والتطوّرات، ولا نؤثّر أقلّ تأثير في مجرى الأمور

إذا كنت لا تستطيع! ولا تستطيع! ولا تستطيع!، ولا تجاهد، وتجاهد، وتجاهد لتستطيع؛ فما هي فائدةُ الحياة منك؟! وما هي فائدتُك من الحياة؟!

***

لقد اعتمد حكّام العرب والمسلمين، عشرات السنينَ، على الغرب أو الشرق، فضاعوا، وأضاعوا شعوبهم وبلادهم، وقضاياهم الكبرى..

لماذا لا يُجرِّب هؤلاء الحكام أن يعتمدوا مَرّةً واحدةً على الله عزَّ وجلَّ، ثمّ على أنفسهم، وأن يجمعوا شملهم المبدّد، ويركّزوا جهودهم المشتركة، في الدفاع عن أمتهم وبلادهم، وتحقيق أهدافهم الواحدة العادلة؛ وسَيَرَوْن -إن فعلوا- كيف ستتبدّلُ بهم الحال، ويحترمهم العدوّ والصديق، وتتوفّر لهم الكرامة والأمن، وتصانُ مصالحهم الداخليّة والخارجيّة على كلّ صعيد

***

ما أحقرَ هذه الدول التي ترتبط مصائرها ومصالحها الكبرى -في نظرها- بفوز الحزب الجمهوري أو الديمقراطي برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية!! أو باستلام «كريسوفر» أو «أولبرايت» منصب وزارة الخارجيّة!!.. إنها صفر أو دون الصفر، ولن تفلح بهذه العقليّة والنفسيّة، وبهذه الروح الخائرة أبداً

***

أقول بغاية البساطة:

كلُّ حاكم عربيّ يقف في هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة سَدّاً في طريق الوحدة، ويمشي في طريق التجزئة والفرقة، ويربط مصيره بأعداء أمته وبلاده، ويتآمر معهم على دينه وقومه.. خائن حقير؛ بل هو أشدُّ خيانة، وأكثر حقارةً من أيّ جاسوس وعميل عادي

***

هل في ذلك أدنى شك؟!

إنّني سأقف مع النظام السوريّ، ومع أيّ نظام عربيّ وإسلاميّ -رغم كلّ خلاف قديم أو حديث- في مواجهة أيّ عدوان إسرائيليّ، أو ضغط أجنبيّ ظالم، وفي أيّة خطوة إيجابيّة خالصة واضحة على طريق الحريّة والتحرير، والعدالة والإنصاف، والتقدّم والبناء القويم السليم

أنا لا أمانع في ترقيع الثياب العربية والإِسلاميّة البالية الممزّقة، على ألاّ يكون ذلك بديلاً عن حِياكة ثياب جديدة مناسبة للمستقبل

إِذا لم يغضب العرب والمسلمون لتمادي إِسرائيل في الظلم والبغي والعدوان، ولما يصيبهم منها كل يوم من لطمات، ويترل بهم من إهانات بعد إِهانات، ولو بإِيقاف التطبيع الذليل على أقل تقدير، فلماذا تتوقف إِسرائيل عن سلب الحقوق والأراضي والمقدسات، وعن التنكيل البالغ بالفلسطينيين، ومعاملتهم على أرضهم المغصوبة، معاملَة العبيد، وعن احتقار العرب والمسلمين في كلّ مكان، بمختلف الأشكال والألوان، وعن التفكير والتخطيط والتحرّك الفعلي، للهيمنة الاقتصاديّة والسياسيّة والعسكرية في «الشرق الأوسط!!»، ولإِقامة إِسرائيل الكبرى في وقت مناسب غير بعيد؟!!

استيقظوا لأنفسكم، وثوبوا إِلى رشدكم، أيها الحكام العرب والمسلمون

فما أكبرَ مسؤوليتكم أمام الله عزَّ وجلَّ! ثمّ ما أكبرها أمام الشعوب والتاريخ!

إِنّ الانفجار الذي وقع في محطة القطار الباريسيّة «بورت روّيال» يوم الأربعاء 1996/12/4م، وقُتل فيه شخصان، وجُرح 93، سبعة منهم حالتهم خطرة.. أمرٌ يتنافى مع الإِسلام والإِنسانيّة والأخلاق..

وأنا أتمنّى ألاّ يتورّط أيُّ مسلم في مثل هذه الأعمال الجاهلة الطائشة الشائنة، التي تغضب الله عزَّ وجلَّ، وتُسيء أبلغ الإساءة إِلى الإِسلام والمسلمين، وقضاياهم السامية العادلة

على المسلمين الذي يعيشون في الغرب، ويحمل كثير منهم جنسيّة البلاد التي يقيمون فيها، أن ينظروا إِلى هذه البلاد التي تُوَفّر لهم الأمنَ والاستقرار، والعلمَ والعمل، وحرّية العقيدة والعبادة، والممارسات الدينية والثقافيّة.. على أنّها وطنُهم أيضاً، وأن يحرصوا على أمنها وخيرها ومصالحها المشروعة، ويجسّموا فيها، بأقوالهم وأعمالهم وسلوكهم اليوميّ، الإِسلام النقيَّ الجميلَ الإِنسانيّ السَّمحَ كما أنزله الله تعالى، وأن يقيموا حياتهم فيها على أصحّ الأسس الشرعية والقانونيّة، ويتعاونوا، بمقياس الإِسلام وحدوده، مع سائر أبناء البلاد، على تعميق التعارف، والفهم المتبادل، وتحقيق الخير المشترك

أما بعضُ المسلمين الذين يحملون جنسيّة هذه البلاد، أو يقيمون فيها، ويستفيدون منها مادّيّاً ومعنويّاً، ويرون مع ذلك أنها «دار كفر» يستبيحون فيها -أحياناً- ما لا يبيحه قانون ولا نظام، فهم مخطئون كثيراً، وهم يسهمون، من حيث يعلمون أو لا يعلمون، في تشويه صورة الإِسلام والمسلمين، وتنفير الناس منهم، ومساعدة أعدائهم على الكيد لهم بغير حقّ

إنّ الإِسلام يفرض على المسلمين الصدق والأمانة والعدل، ويحرّم عليه الكذب والخيانة والظلم، في أي مكان من الأرض

❧❧❧❧❧❧

يجب أن نردّ إِلى الإِسلام صورته الأصليّة النقيّة، وإِلاّ كيف يعرفه الناس على حقيقته، وكيف يُجِلّونه ويُحبّونه، وكيف نؤدّي رسالته السامية الخالدة من جديد في بلادنا نفسها، وفي عالمنا وعصرنا؟!

ويجب أن نردّ إِلى الإِسلام نظرته الإِنسانيّة العالمية المستقبليّة الأصيلة المتجدّدة؛ فالإِسلام ليس دين الماضي وحده، ولا دين العرب والمسلمين وحدهم، ولكنّه دين الإِنسانيّة والإِنسان في كلّ مكان وزمان

ويجب أن نهيّئ الأسباب والظروف، ونوفر الإِمكانات والجهود، لانطلاق الطلائع الإِسلاميّة، ونموّها، وتفوّقها في مختلف الاختصاصات والصفات والخِبْرات والميادين.. لتنهض بهذه الواجبات الكبرى وأمثالها، في هذه المنعطفات التاريخيّة الحاسمة، في حياتنا، وحياة سائر البشر

ويجب علينا ونحن نُعِدّ خيرَ إِعداد للمستقبل، أن نقدّم أيضاً في الحاضر وللحاضر، أقصى ما نستطيع، وأفضلَ ما نستطيع، واثقين كلّ الثقة بربنا، ثم أنفسنا، ومستقبلِ الإِسلامِ والمسلمين والإِنسان

❧❧❧❧❧❧

عندما أقول: الطلائع الإِسلاميّة، لا أعني بذلك جماعة أو حركة محصورة محدّدة؛ وإِنما أعني العناصر الإِسلاميّة المتقدّمة بإِيمانها وأخلاقها، وعملها ووعيها وفكرها، وشعورها المرهف بمسؤوليتها، وتصميمها القاطع على أن تربح قضيّة الإِسلام والإِنسان في مختلف المجالات والميادين.. باذِلَةً في ذلك كلّ ما يستوجبه من جهد، محتملةً فيه كلّ ما يتطلبه من تضحيات.. حيثما كانت هذه العناصر من الأرض، وتحت أيّ عنوان عملت وجاهدت في سبيل الله عزَّ وجلّ

❧❧❧❧❧❧

لم أحبس نفسي قطُّ في حدود سورية التي ولدتُ فيها، ولا في حدود البلاد العربية والإِسلاميّة، فحدودي هي حدود عقيدتي العالمية الكونية التي تتخطّى حواجز المكان والزمان

وقد يؤدي الإِنسانُ رسالته من خلال قطره وبلده، أو أقطار وبلاد أخرى، وقد يؤدّيها إِلى الإِنسانيّة والإِنسان من فوق فواصل الأقطار والبلدان

❀❀❀❀❀❀

لا تُخطِئوا فهمي؛ فالحريّةُ وعيٌ ومسؤولية، والتزامٌ ذاتيٌّ طوعيّ بضوابط الحقّ والعدل والمصالح الحقيقية المعتبرة، والخلقِ الكريم، والذوقِ الرفيع، وإِلاّ فما هو الفرق بين الإِنسان الحرّ، والحيوان الهائج المندفع بغرائزه دون أيّ ضابط من الضوابط أو حدٍّ من الحدود؟!

❀❀❀❀❀❀

إِنّنا لا نقول: لا، لطغيان الحكام وظلمهم فقط، وللباطل والفساد في بلادنا وعالمنا فقط؛ ولكننا نقول –قبل ذلك كلّه-: لا لأنفسنا، إِذا صَغَتْ لباطل، أو ضَعُفَتْ عن حقّ، أو مالت إِلى ما لا يليق بالإِنسان الكريم، والخلق الكريم

❀❀❀❀❀❀

ما أبعض النفاق وما أحقره وأظلمه!.. كم زيّن من باطل وقبّح من حق، وأغرى بشرّ وثبّط عن خير.. وما أكثر المنافقين على امتداد التاريخ، وما أكثرهم في هذه الأيّام!!

❀❀❀❀❀❀

في محاكم الدنيا يُعاقَب من يقتل فرداً واحداً بأشدّ العقوبات؛ فكيف تكون حالُ الطغاة الذين أفلتوا من محاكم الدنيا، وسيقوا إِلى محكمة الآخرة، وقد قتلوا المئات والألوف؟!

❀❀❀❀❀❀

يقتلون الألوف، ويسجنون الألوف، ويُرَوِّعون الألوف.. ثمّ ينامون ملءَ الجفون، لا يؤرّقهم خوفٌ من الله، ولا ضميرٌ ولا شعور؛ وضحايا بغيهم ساهرون مؤرَّقون لا ينامون..

ويلٌ لكم يا طغاة من الله! ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المطففين:6]

من المسلمين -حتى في ديار الغرب- من يجلس مع الشيطان الرجيم يحاوره ويجامله ويلتقي معه في بعض الأمور؛ ولا يجلس مع مسلم آخر إذا اختلف الحزب أو الاجتهاد!!

هل تعجبون بعد ذلك لفرقة المسلمين؟!

من المسلمين من يُهمّهم «واقعيّاً» -واعين أو غير واعين- أشخاصُهم وأحزابُهم، أكثر ممّا يهمّهم الإِسلامُ، ومصلحةُ الإِسلام، ومستقبلُ الإِسلام!!

كثير من المسلمين يكونون مع من يدفع المال ويحقّق المصالح الدنيويّة، ولو كان فاسداً مفسداً؛ وضدَّ مسلمٍ حُرٍّ مستقيم، مرضاةً لأصحابِ مالٍ أو سلطان!! فأين هو الإِسلام؟! وأين الولاءُ والبراء؟!

الدنيا أقلّ من أن ينخفضَ من أجلها رأس، أو يذلّ من أجلها حرّ، أو ينحرف لأجلها إِنسانٌ مؤمن كريم، عن الصراط المستقيم

نعم، لقد كان بإِمكاننا أن نعمل أفضل مما عملنا، ونبلغ أبعد مما بلغنا، لو كنا أوعى وأتقى، وأكثر بذلاً في سبيل الله

لا بدّ للإِبداع العظيم من جهد عظيم، فالموهبةُ وحدَها لا تكفي

في ميادين العلم والفكر والأدب والفن يَحسُنُ النظر إلى أعلى لا إلى أسفل، وإلى المُجَلِّين لا إلى المتخلّفين، فذلك خليق بأن يحفز إلى مزيد من الجهد والتقدم باستمرار

قال صديقٌ صالحٌ لصديقٍ صالح يَعِظُه ويُذكّره:

– لقد اتصلتُ هذا اليوم مراراً بالأستاذ محمد الغزالي، والأستاذ عبد الحميد كشك، والأستاذ حامد أبو النصر في مصر، فما أجابني منهم أحد، وهم الذين كانوا ملءَ الأسماع والأبصار والساحات!!

فردّ عليه صديقه:

– وعمّا قريب، يَتّصل بي وبك وبأمثالنا بعضُ الأصدقاء الأوفياء، فلا نجيب!!

يا أيّها الناسُ سيروا إنَّ قَصْرَكُمُ[26] أن تُصبحوا ذات يومٍ لا تَسيرونا

حُثّوا المطِيَّ وأَرخوا من أزِمَّتِها قبلَ المماتِ وقَضّوا ما تُقَضّونا

من رأى الدنيا بعينِ الأزل والأبدِ لم يجدْها شيئاً، ولم يستعبدْه فيها شيء، ولم يغرَّه منها شيء، ولم يتوجَّهْ قلبُه وشوقُه ورجاؤه إلاّ إلى الله عزَّ وجلّ

أنْ يهتف إنسانٌ حُرٌّ فَرْدٌ بالحقِّ، وقد خَشَعَ الناسُ للباطلِ، فيُعْزَلَ أو يُسجنَ أو يُقتل، أكرمُ وأنبلُ وأجْدى على الإنسانيّة من أن تعْنُوَ الوجوهُ كلُّها لغير الحيِّ القيوّم

كيف يقود المسلمين إلى المستقبل المأمول، وإلى مرضاة الله عزَّ وجلَّ، من يبيعون دينَهم وكرامتَهم، ورأيَهم وإرادتَهم بِعَرَضِ الدنيا الزائل، أو يميلون –رَغْبَةً أو رَهْبَةً– مع الطاغوت أنّى شاء لهم الطاغوت

(26) إنَّ قصركم: إنّ غايتكم ونهاية أمركم

يجب أن نتحرّر من العبودية لغرائزنا وأهوائنا ومنافعنا الشخصية، والعبودية للطغيان والطاغوت الخارجيّ بمختلف صوره؛ لنبصرَ الحقَّ والصواب، ونهتديَ إلى السبيل القويم.

أما الذين ينطلقون من العبودية للغرائزِ والأهواء والطاغوتِ، فلن يبصروا حقّاً، ولن يهتدوا سبيلاً، ولن يَهتديَ بهم مَن ينقادون لهم إلى حقّ أو صواب، أو يتحقّق لهم خيرٌ أو نجاح

بعض الناس يخلطون بين الحكمة وبين الذِلَّةِ والخُنوع، فيسمّون ذُلَّهم وخنوعَهم، وإيثارَهم السلامةَ على الواجب، والدنيا على الآخرة.. حكمة!! وما أبعدهم في ذلك عن الأمانة والصواب!!

لا تكون الحكمةُ المُثْلَى إلاّ مع العلم والفهم والفكر، والتحرّرِ من سلطان الغرائز والأهواء، وسلطان الرغبة والرهبة إلى الطاغوت ومن الطاغوت، والتجرّدِ الصادق لله عزَّ وجلَّ؛ وعندها يستطيع المسلم -بتوفيق الله- أن يكون حكيماً، يرى جوهرَ الأمور، وينفذُ إلى الحقِّ والصوابِ ووجوهِ المصالحِ الحقيقيةِ لا الزائفة، الفعلية لا المتوهّمة، المستمرّة لا الموقّتة، فيضع الأمور في مواضعه بمعرفته وتقواه ووعيه، ويُحسن التصرّفَ بأمانته وخبرته وفطنته، بما ينصُر الحقّ والعدل والخير، ويحقق مصالح الناس في الدنيا والآخرة

إذا كنتَ تقيس نفسك برضا الطاغوت أو سخطه، ومدحه أو ذمّه، فتفرح بذلك أو تحزن، وتَفْخَر به أو تَخْزى، وتقلّب في أفكارك ومواقفك طلباً لمرضاته وثوابه.. فكيف يمكن أن تحمل رسالة الله عزَّ وجلَّ، وتستقيم على نهجه القويم؟!

رأيته في شريط «فيديو»
يداه ترتجفان
يكاد لا يقوى على الإمساك بكتابه، وعلى تقليب الصفحات
قلت في نفسي:
عجباً! كيف ترتجف هاتان اليدان وخلفهما قلبٌ أثبتُ من الجبال، وعزمٌ أمضى من الحسام؟!

رأيته لا يكاد يقوى على النهوض على قدميه، وكتفاه تحملان -رغم ذلك- كلَّ هموم البشر وطموح البشر.. ولا تنوءان بما تحملان!!

قد يشيخُ الجسم، ويشيبُ الشَّعْر، وتضطربُ اليدان، وتضعفُ القدمان، وتنهدُّ -على الزمن- القوى.. ولكنْ لا يشيخُ -إن شاء الله- الروحُ، ولا يُفَلُّ العزمُ، ولا تنطفئُ شعلةُ الحقّ والجهاد في الصدور، ولا تزداد الكرامةُ إلاّ فتاءً وسناءً وبقاءً

تَفنى الحياةُ ويَبْقى من كرامتِنا ما ليسَ يُفنيهِ أسقامٌ وأعمارُ
كُنّا معَ الفجرِ أحراراً، وقد غَرَبَتْ شمسُ الشبابِ، ونحنُ اليومَ أحرارُ

قد يَتَعَثَّرُ الإنسانُ بجهله، وبقصور عقلِه وفكره، وبخطئه وخَطَلِه، وقد يتعثّرُ بمطامعه وأهوائه، وفسادِ أخلاقه، فَيَرْدَى..

كم أتمنى للمسلمين علماً شاملاً عميقاً، وعقلاً مدركاً سليماً، وفكراً سديداً مضيئاً، وخلقاً كريماً متيناً، وتجرّداً صادقاً لله عزَّ وجلَّ؛ فذلك من أهم أسباب الوقاية والسلامة والخلاص والنجاة والنجاح

أحلُم بالمسلم العظيم الذي يقول في مواجهة مغرياتِ الدنيا ومخاطرها وشدائدها.. ما قاله رسولُه العظيم صلى الله عليه وسلّم:

«والله لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري، على أن أتركَ هذا الأمرَ حتى يُظهرَه اللهُ، أو أهلكَ فيه، ما تركتُه»

أحلُم بقادة عظام يرتفعون بصدقهم ووعيهم، وإِرادتهم وجهدهم، إِلى مستوى إِسلامهم ومهمتهم، وعالمهم وعصرهم، وحاجات الإِسلام والمسلمين والإِنسان في هذا العالم والعصر، فتتّضحُ بهم الرؤيةُ، وتستبينُ بهم الأهداف، وتتجدّدُ وتتطوّرُ الأساليب، وتتفجّر الطاقاتُ والآمال، وتعودُ الثقةُ في النّهْج وفي النفس، وينتقلُ العملُ الإِسلاميّ بهم من مستوى إِلى مستوىً، والمسلمون من حالٍ إِلى حال

إِذا لم تستطع أن تكون محرِّراً فكن شهيداً، فالشهادةُ اليوم هي حرّيةُ المستقبل

كن عبد الله المظلوم ولا تكن أبداً عبد الله الظالم، فالظلمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامة، والظلمُ لا يتحقّق به هدف نبيل، ولا يكون به مستقبل كريم

ما أروعَ أن يُعطِيَ الإِنسانُ حياتَه كلَّها فيموتَ من أجل هدفٍ جليل، وأروعُ منه أن يبذلَ حياتَه كلَّها فيُكرّسها وهو حيّ لخدمة هذا الهدف الجليل

من عرف الله، وأحبّه بحقّ وصدق، هانت عليه الدنيا، فأصبح سيّدها لا عبدها، واستطاع أن يستقيم فيها مع الحقّ والواجب وسائر المُثُلِ العُليا، وأن يشمخ برأسه دائماً في مواجهة الطاغوت، وأن يرتقيَ فيها أعلى الذُّرى، وينجز أجلّ الأعمال

لقد رأيتُ بعين الإِيمان والعقل والتجربة أنّ ما يختاره الله لي هو أسلم وأقوم وأفضل مما أختاره لنفسي، فرضيت بقضاء الله وقدره، وإِن كان ذلك لا يعفيني عقيدةً وشرعاً وعقلاً من الاجتهاد في الاختيار، وفي دَفْعِ قَدَرِ الله بقدرِ الله

عندما ندعو المسلمين إِلى الارتفاع إِلى مستوى إِسلامهم ومهمّتهم وعصرهم، وحاجات الإِسلام والمسلمين في هذا العالم والعصر، وإِلى تنمية إِمكاناتهم وتطويرها باستمرار ليكونوا قادرين على النهوض بهذا الواجب العظيم؛ لا نستهين أبداً بإِمكاناتهم الحالية الراهنة، فلو أنَّ هذه الإِمكاناتِ استثيرتْ وحُرّكت ونُظّمت وسُدّدت وأُحسِنَ توظيفُها في خدمة الإِسلام والمسلمين لجاءت بمعجزات

هنالك كثير من المسلمين «الأوادم» حسب تعبير أهل الشام؛ ولكن قلَّ بينهم من يتّصِفون بصفات حَمَلَةِ الرسالات الذين تشتدّ الحاجةُ إِليهم في هذا العصر، وفي سائر العصور

بعضُ المسلمين الطيّبين إِذا أحبوك لم ينفعوك، وإِذا أبغضوك لم يضرّوك، وإِذا وُضِعوا في الميزان لم تضطرب بهم كفّةُ الميزان!!

أين المؤمنُ القويُّ الفعّال الذي ينتصر به الحقُّ على الباطل، والخير على الشرّ، ويكون له أثره الواضح أنّى كان، في أيِّ مجال أو مكان؟

ما أسهلَ أن نطالب الآخرين وننتقدهم! وما أصعب أن ننهض نحن أنفسنا بما نطالبهم به، وأن نُصلح في أنفسنا ما ننتقدهم عليه!

كم ينقصنا روحُ التعاون والتكامل في الواقع، وإِن أكثرنا الحديث عنه والدعوة إِليه بالكلام

إِذا غاب الصدقُ غابت الفضائل كلُّها وتحوّل العاملون للإِسلام إِلى ممثّلين ومهرّجين!!

إِذا غاب الصدقُ ماتت الثقة، وإِذا ماتت الثقة لم يَقُم تعاونٌ خالص، ولم ينهض بناءٌ راسخ، ولم يتحقّق أيُّ مشروعٍ مستقبليٍّ عظيم

❧❧❧❧❧❧

لا أستطيع أن أشقّ عن قلبك، ولا تستطيع أن تشقّ عن قلبي. اللهُ وحده هو الذي يعلم السرَّ وأخفى، ويَرى الأعمالَ والقلوبَ جميعاً؛ فَلْيتّقِ اللهَ كلٌّ منّا في أخيه وإِخوانه، وفي الإِسلام والمسلمين

❧❧❧❧❧❧

النيّة الحسنةُ لا تشفع للعمل السيِّئ، فاللهُ تعالى قد اشترط العلم والتفكير للعمل المقبول، وندبنا إِلى تحكيم الإِرادة المؤمنة البصيرة في الأهواء المُرْدِية، وفي نَزَغاتِ الشيطانِ وبَوادِرِ[27] النفوس

❧❧❧❧❧❧

إِنّ خلاصنا في هذا الزمان يرتبط بخلاص العالم، وخلاصُ العالم يرتبط بخلاصنا، فلا بدّ أن تتعاون قوى الخير في العالم كلّه، من خلال قواسمها المشتركة، على إِنقاذ الإِنسانيّة والإِنسان، والخروج بها من أزماتها العميقة الخطيرة الراهنة

❧❧❧❧❧❧

علينا ألا ننسى أسرتنا الإِنسانيّة الكبرى، ونحن نسعى لخير أُسَرِنا الصغيرة، وخيرِ شعوبنا وأمتنا وبلادنا؛ فالاهتمامُ بالأسرة الإِنسانيّة الكبرى في هذه المرحلة من التطور البشريّ، وتعارفُ أبنائها الأخيار، وتعاونُهم في القواسم المشتركة بينهم، واجبٌ وضرورة لِدَرْءِ الشرّ، وتحقيق الخير لأنفسنا ولسائر البشر

❧❧❧❧❧❧

لا أدري إِلى متى تستمر هذه «الكلمات»، وإِلى متى تقوى يدي على رَقْمِها على الورق؛ ولكنني أحبّ أن أذكر لها، وأنا أُوشك أن أنقطع عنها، أنها حملت رغم قلّة سطورها وصِغَرِ حجمها، شيئاً من نبضات قلبي،

---

(27) بوادر: مفردها: بادرة، والبادرة: الغضبة السريعة، والكلمة العوراء، وما يبدر من رجل عند غضبه من خطأ أو سَقَط.

وملامح حياتي وفكري، وما رجوته -وما أزال أرجوه- للعرب والمسلمين والإِنسانيّة والإِنسان، وانتظرتُه -وما أزال أنتظره- منهم من جلائل الأعمال

أنا أعيش في كلماتي التي أكتبها، فمن أراد أن يعرفَني -ولو ظِلاًّ باهتاً ناقصاً-، ويعرفَ رأيي ونظرتي إِلى الأمور، فلْيقرأ هذه الكلمات

ماذا يفيد تقاربُ المسافاتِ إِذا تباعدت القلوب؟ وماذا يضير إِذا تقاربت القلوبُ تباعدُ المسافات؟

وَرُبَّ نائي المغَاني رُوحُه أبداً لصيقُ رُوحي ودانٍ ليسَ بالداني

أرواحُنا بمكانٍ واحدٍ وغَدَوتْ أجسامُنا لشآمٍ أو خراسان

في الجاهلية والإِسلام كان صوتُ المرأة يهتفُ بالنخوةِ النائمة فتصحو، والعزيمةِ الفاترةِ فتلتهب، وربّما تحوّلتْ بذلك الهزيمة إِلى نصر

أين صوتُ المرأةِ المسلمةِ الآن؟!

قد سمع اللهُ قولَ امرأةٍ مسلمةٍ فأنصفها، وأنزل في ذلك قرآناً يُتلى على الأيام؛ فكيف تنغلقُ دونَ هذا الصوتِ الآنَ مسامعُ وقلوبٌ وعقولٌ تدّعي الإِيمان والإِسلام؟!

قد تختلف الذرائعُ والمبرّرات من زمانٍ إِلى زمان، ومكانٍ إِلى مكان، وحالٍ إِلى حال؛ ولكنْ لا بدّ أن يأكل الذئبُ الحَمَل؛ فلا يكُنِ الأفرادُ ولا الشعوبُ بضعفهم واستسلامهم حُمْلاناً تأكلُها الذئاب

لا تخْدَعْكُمُ العناوينُ والدعاوى ومظاهرُ الأمور؛ فما أكثرَ العلماءَ والأدباءَ الذي يبيعون عقولَهم وضمائرَهم وألسنتَهم وأقلامَهم لشياطين الأهواءِ والمنافعِ الخاصّة؛ ويكونون قُوّةً للباطل والظلم والشرّ على الحقّ والعدل والخير

كثيرون ممن يسيرون في ركب العمل الإِسلاميّ لا يزيدُ عملهم فيه أحياناً على وضع العِصِيِّ في العجلات!!

نريد إِخلاصاً، ونريدُ وعياً، ونريد فِعلاً.. فما لم تجتمع هذه الأمورُ الثلاثةُ فلا سَدادَ ولا نجاةَ، ولا إِنجاز

ما قيمةُ العمل بلا علمٍ ولا فكرٍ؟!
وما قيمةُ العلمِ والفكرِ بلا عمل؟!

المسلمُ الحيُّ الفعّالُ الذي يتحركُ فيُخطِئُ ويُصيب، أفضلُ ألفَ مرّة من المسلمِ الجامد الخامدِ الذي لا يتحرّكُ فلا يخطِئ، والذي لا يصدرُ عنه باطلٌ ولا شرّ؛ ولكنْ لا ينتصرُ به حقٌّ ولا خير

أن ينساب الحاضرُ في أقنيةِ الماضي.. هذا –أحياناً– أمرٌ سهَل!
أن تَشُقَّ للحاضر والمستقبل أقنيةً جديدةً أوفى بالحاجة والآمال والرؤى.. هذا –دائماً– أمرٌ صعب يستلزم كثيراً من المؤهلات والإِبداع والشجاعة والجهد

آلةُ العرضِ والطلبِ واقتصادِ السوق تدور وتدور بلا إحساس ولا ضمير، وتطحنُ في دورانها الأصمِّ الأعمى الشعوبَ المتخلّفة، ومئاتِ الملايين من الضعفاءِ والمستضعفين في مختلف أنحاء الأرض

هل نستطيع أن نَرُدَّ إلى العالم إحساسه وضميره ووجهه الإنسانيّ، أو نُسهِمَ في ذلك بعضَ الإسهام على الأقل؟

هذا جزءٌ من التحدّيات الخطيرة الكبرى التي نواجهها -ويواجهها معنا سائرُ بني الإنسان- في هذا العالم والعصر

❦❦❦❦❦

لقد بلغتَ نهايةَ العُمُرِ وأنتَ ما تزالُ تفكّر وتحلُم!!

نعم، إنّني أفكرُ وأحلُم للإسلام والمسلمين والإنسانيّة والإنسان، وأبذلُ غاية جهدي من أجل المستقبل الإسلاميّ والإنسانيّ الأفضل، ولا أحبس نفسي في حدود حياتي الخاصّة وقد أوشكت تنطوي صفحة هذه الحياة

❦❦❦❦❦

ليس هنالك خيارٌ ولا بديل:

إمّا أن نربح معركتنا الإسلاميّة والإنسانيّة، وإمّا أن يتحوّل العالم إلى وَحْشٍ آليّ كاسِر.. ليس له روحٌ ولا شعورٌ ولا قِيمٌ عُليا ولا هدف نبيل!

❦❦❦❦❦

ما أخطرَ أن يكون لك قلبُ وَحْش وغرائزُ وحش وفَتَكاتُ وحش، ووجهُ إنسان وابتسامةُ إنسان وكلماتُ إنسان، كما نشاهد كثيراً، ونكتشف كثيراً، في هذا العالم والعصر

❦❦❦❦❦

كتبَ إليَّ داعيةٌ إسلاميٌّ كبير:

- كيف لا ييأسُ الإنسانُ بعدَ إخفاقٍ وإخفاقٍ وإخفاق..؟!

فكتبتُ إليه:

- لو أخفق المؤمنُ الصادقُ البصيرُ ألفَ مَرّة لَما فارقه أملُه بل ثقتُه بأنه سينجح في المرّة الواحدة بعد الألف

سألني شابٌّ حائز:

- لماذا لا ننجح نحن المسلمين كما ينجح الآخرون؟!

قلت:

- لأننا لا نؤمن صادقينَ بالنجاح، ولا نأخذُ حازمينَ بأسباب النجاح، ولا نعمل دائبين العملَ الكافي - كمّاً وكَيفاً- للنجاح

كثيرون من المسلمين يتعاملون مع الإِسلام كما يتعامل التجار في السوق

إِن ارتفعت أسهمُ الإِسلام كانوا في طليعة المساهمين، وإِن وقفت وقفوا جامدين متردّدين، وإِن انخفضت تخلّوْا عنها واستبدلوا بها أسهماً أخرى!!!!

ما أبعدَ الفرق بين مسلمينَ تُجّار، ومسلمينَ مؤمنينَ صادقين!!

مكاسبُ الدنيا كلُّها لا تعدلُ عند المؤمن العارف الصادق ذرَّةً واحدةً من ثواب الله عزَّ وجلّ

بعضُ «العاملين السابقين للإِسلام» يُثَبِّطون هِمَمَ المسلمين، ويخذّلونهم ويوئسونهم من الإِسلام والعمل للإِسلام.. ليُبَرِّروا لأنفسهم ولغيرهم تخلّيهم «الفعليّ» عن رسالته، وانصرافهم إِلى الدنيا، أو تحوّلهم إِلى خدمة الطاغوت!!

لا تسرفوا في التشاؤم؛ فالإِسلامُ باقٍ ما بقيت السمواتُ والأرض، وشجرتُه الطيّبة ما تزال تَنْبُتُ وتنمو في القلوب والعقول والمجتمعات، وتؤتي أُكُلَها بإذن ربها، وتَبْلُغ بذاتها وبالصادقين من دعاتها ما لا يبلغه طاغوتٌ وطغيان بكلّ ما يُغري به من متاع زائل، أو يرهب به من حديد ونار

لا يوجد إِنجاز عظيم دون حماس عظيم

ولكنْ شتّانَ بين حماسٍ صميميٍّ صادق، وحماسٍ ظاهريٍّ سطحيٍّ مصطنعٍ كاذب

وشتان بين الحماسِ التمثيليّ الظاهريّ الشكليّ الذي لا يُعَبِّر عن نفسه إِلاّ برفع الصوت، واحتقان الوجه، وتحريك اليدين، وبين الحماس الصادق العميق الذي يعبّر عن نفسه بالإِرادة والتصميم القاطع، والعمل الدائب الصابر المبدع البصير في مختلف الأمكنة والأوقات والظروف

إِنّنا نقتلُ الإِسلامَ عندما نحبسُه في حدودِ حركةٍ من حركاته، أو فردٍ من أفرادِه، أو عصرٍ من عصوره، فالإِسلام أكبرُ من كلِّ الحركات والأفراد والعصور، وأبقى من كلِّ الحركات والأفراد والعصور

كلُّ اجتهادٍ إِسلاميّ يرتبطُ من حيثُ الأصلِ بزمانه ومكانه وظروفه

لماذا نحبس الإِسلام ونحبس أنفسنا في زمانٍ تقدَّمَنا، وفي ظروفٍ غير ظروفنا، ولا نتطلّع إِلى اجتهادٍ جديد، وأُفُقٍ جديد؟!

احتكارُ العملِ الإِسلاميّ، وسَدُّ السُّبُل على من يحاولونه غيرنا، أجدر بالمافيات لا بالدعاة

العملُ الإِسلاميّ أكبر من العاملين فيه الآن بألوف المرات، فافتحوا الأبوابَ والقلوبَ لكل من يريدُ أن يعملَ للإِسلام ولو خالفكم في العنوان والاجتهاد

لقد تعودتُ أن أرتفعَ على اللحظةِ الراهنة باستمرار، وأن أبصرَ ما قبلها وما بعدها، فقد تكونُ هذه «اللحظة» هزيمةً فأرى وراءَها النصرَ، أو ظلاماً فأرى وراءها الفجرَ، أو يأساً فأرى معها وبعدها الأملَ، ولا أنكسر تحت وطأتها بحال من الأحوال

أنا أكبرُ من اللحظة الحاضرة وأقوى؛ أملكها ولا تملكني، وأحيط بها ولا تحيط بي، ولا تحبسني بمنطقها وضروراتها، ولا تقهرني على الخضوع لها، ولا تخرجني أبداً عن نهجي الأصيل

اللحظة الحاضرة هي لحظة الفعل الحقيقيّ في حياة الإنسان، ولكن يجب أن ننطلق في فهم مقتضياتها، ومعرفة واجباتها، وأداء هذه الواجبات، من مبادئنا وقيمنا وأهدافنا، ورؤيةٍ نافذةٍ شاملةٍ للماضي والحاضر والمستقبل جميعا

لا يُغَيِّرني ما يضمره لي غيري أو يظهره من الكراهية والشرّ، فأنا لا أضمر للناس إلاّ الحبّ والخير، ولا أمشي بينهم إلاّ بالحبّ والخير

لا تخافوا الطواغيت مهما اغتروّا وانتفشوا؛ فهم عمّا قريبٍ جُثَثٌ عَفِنَة، وعظامٌ نَخِرَة في هذه الدنيا، ثمّ يُرَدّون يومَ القيامةِ إلى أشدّ العذاب، ويبقى في هذه الدنيا الحقُّ والخيرُ، ويبقى لأهل الحقِّ والخيرِ ثوابُهم في الدنيا والآخرة

يا من تشكو إليّ سواك، وترى المشكلة فيهم ومنهم على الدوام..
أنا وأنت جزءٌ من هذه المشكلة أيضاً؛ ولكنّ الإنسانَ بطبعه يرى القَشّةَ في عين أخيه ولا يرى العمود في عينه!

لقد ارتقت كلماتُ بعض الناس سُمُوّاً وجمالاً إلى أعلى عِلّيين، وهبطت حقائقُهم قُبْحاً وانحطاطاً إلى أسفلِ سافلين، ولم يعدْ هنالك بين حقائقهم وكلماتهم أدنى ارتباط

يذيبني الشوق إلى أجيالٍ جديدة طاهرة صادقة، عالمة واعية، لا تَبَايُنَ بينَ سرّها وجهرها، وحقيقتِها وكلامِها، وعلمِها وعملِها..

هذه الأجيال هي نقطة التحوّل في حياتنا وفي حياة سائر البشر

إذا لم نجاهد لرفع أنفسنا إلى مستوى تحقيق ما ندعو إليه من الحقّ والعدالة والخير، وحماية ما ندعو إليه من الحقّ والعدالة والخير، لم نكن جادّين في دعوتنا، ولا جديرين بها مهما زعمنا وحبّرنا خلافَ ذلك من المزاعم والأقوال

في كلّ فجر جديد حياة جديدة، وأمل جديد، ومنعطف ممكن لمستقبل أفضل

لا تحكم على فرد أو شعب في ضوء اللحظة الحاضرة وحدها؛ فربّ من يرتدي ثياب الملاك الآن، ويُسَبِّحُ صباحَ مساءَ بحقوق الإنسان، كان هو الشيطانَ نفسَه قبل نصف قرن، وكان أكبرَ بلاءً على الإنسانيّة والإنسان، وأكثر وحشيّةً من وحوش الغاب

كن قويّاً وعادلاً ورحيما.. يحبّك الصادق في إنسانيّته وارتباطه بالْمُثل العُليا، ويخشاك الكاذب في ولائه للحقّ والعدالة والإنسان وحقوق الإنسان فلا يجترئ عليك، فتحمي منه نفسَك، وتحميه من نفسه، وما تدفعه إليه من الظلم والعدوان

أَكُلَّمَا غَابتِ الشمسُ توهّمنا أنها لن تعود

وكلّما عَمَّ الظلامُ حسبنا أنّه لن يزول

وكلّما هَيْمن الباطلُ ظننّا أنه لن يضمحلّ

وكلّما ساد الظلمُ خفنا أنه لن يندحر وينحسر
يا أخواتي وإخوتي ثقوا كلّ الثقة بنواميس هذا الكون:
إنَّ الشمسَ الغائبة ستشرقُ من جديد
وسَتَشُلُّ مواكبُ النور أطباقَ الظلام
ويدمغُ الحقُّ الباطلَ، ويَزْهَقُ الباطلُ في مواجهة الحق
ويكونُ الظلمُ ظلماتٍ على أصحابه في الدنيا والآخرة

كيف ينتصرُ الإِسلامُ بناسٍ قلوبُهم معه وسيوفُهم عليه مع كلّ من يتوهّمون أنّه يملك جنّةَ الدنيا وجحيمهَا؟!

إذا كان قلبُك في مكانٍ وسيفُك في مكان فما أشدّ الفِصام وأعظم المأساة!!

أَحَبُّ إِليَّ ألفَ مرّة أن تفارق روحي جسدي من أن يفارق سيفي قلبي رهبةً من طاغوت أو رغبة إلى طاغوت

قال صديق لصديقه:
هل هنالك ما هو أسوأ من أن يكون القلب معك والسيف عليك؟
قال الصديق:
– نعم، أن يكون القلب أيضاً مع السيف في خدمة من يَرفعُ العصا ويَرمي الفُتات

لم تتقدّم الإِنسانيّةُ و لم تَشْرُفْ قطُّ بمن يكونون مع الحقِّ والمُثل العليا إِذا كان معها الدنيا، ويَتخلّون عنها أو يكونون ضدّها إِذا كانت جهاداً واستشهاداً، أو صبراً واضطهاداً، أو حرماناً من بعض متاع الدنيا وعرضها الزائل!!

❦❦❦❦❦❦

كيف أكون غريباً أو وحيداً وأنا مع الله، ولا أكون غريباً وحيداً في ركب شياطين الإِنس والنفس والهوى، حيث لا يطمئنُّ إِنسان لإِنسان، ولا يَفي إِنسان لإِنسان، ولا يصدُق إِنسان مع إِنسان، ولا يَجْمَعُ أكثرَ ما يَجمعُ إِلاّ الحياةُ الدنيا وزينتُها والعبوديةُ لها دونَ اللهِ عزَّ وجلّ؟!

❦❦❦❦❦❦

لا أملك لك -يا أخي- إِلاّ المحبة والنصيحة والتعاون الخالص معك على البرّ والتقوى إِن كنت تريد الله ورسوله والدّار الآخرة؛ أمّا إِذا كنت تطلب الدنيا بالدين فلن تجد عندي شيئا

❦❦❦❦❦❦

قال صديق لصديقه:

- ما أوسع ثقافة فلان! وما أثقب فكره، وأحلى حديثه!

قال الصديق:

- فيا ليتَ له مع سعة الثقافة وثقوب الفكر، وحلاوة الحديث، نقاءَ الضمير، ومتانة الخُلُق، واستقامةَ النهج، لتكون مزاياه في خدمة الحقّ لا الهوى، والحريّة لا الدكتاتورية، والخير لا الشرّ

❦❦❦❦❦❦

ما أكثر من يقول عند الشدائد والنكبات والتحوّلات الكبرى: يا ربِّ نفسي، وما أقلَّ من يقول: يا ربِّ أمّتي، ولو انفتحت له كفرد كلُّ أبواب النجاة!

❦❦❦❦❦❦

قادةُ السفينة آخر من ينـــزل منها عند الغرق، لا أولُ من يترل تاركاً أعوانه وسائرَ الركاب للأمواج والأسماك

عجبت لمن يبحث عن الأمل، ولا يَنْشُدُه إلاّ خارج نفسه!! أما علمتَ -يا أخي- أنّك أنت نفسُك الأمل والمستقبل إن أخلصت لرسالتك، ووثقت بربك ونفسك، وبذلت غاية جهدك في أداء واجبك على أفضل وجه ممكن؟!

لا أدري من أنت، ولا أين أنت يا أخي الذي أتجاوب معه ويتجاوب معي، وأحبه ويحبّني، وأنتظره وينتظرني من زمن بعيد.. وإن كان لا يعرف أحدُنا الآخر، وما التقينا بعدُ في دروب الحياة!!

هل سمعتَ بتلك الجماعات التي تقتل أحياناً أبناءَها المثاليّين المتفوّقين، أو تمثل بهم وهم أحياء؟ حتى لا ينكشفَ بهم نقصُها أو انحرافُها أو قبحُ ما هي عليه، ولا تتحمّلَ بهم ومعهم مشقاتِ السّير الحثيث في طريق الحقّ والواجب، والصعودِ المُصمّمِ المستمر إلى فوق، وفَطْمِ النفوس أو صَبْرِها على كثيرٍ مما تحب، وعلى كثيرٍ مما تكره

أعدى أعداءِ المسلمين، وأكبرُ معوّقاهم عن المسير، ما يَرْسُفون به من قيودهم الذاتيّة، وما يمزّق صفوفهم، ويبدّد جهودهم، من الجهل والأهواء، والصغائر والتفاهات

ما يصيب المسلمين -أحياناً- بأيديهم، أشدّ وآلم كثيراً مما يصيبهم بأيدي الأعداء

ما أفجعَ وما أوجعَ أن تتحوّلَ واحاتُ الأمن والسلام المرجوّةُ في صحارى الحياة إِلى جحيمِ قَلَقٍ وخوف، وبلاءٍ وعناء!! وليس ذلك بنادر في بعض بيوتنا وأُسَرِنا ومجتمعاتنا –وا أسفاه–!!

❦❦❦❦❦

لولا الإِيمانُ والصبرُ والرجاء في رحمة الله.. لَتَحَوّلت بسماتٌ كثيرة إِلى دموع، وضحكاتٌ كثيرة إِلى آهات، وعصفت بنا وبسعادتنا الأعاصيرُ الخارجية المنظورة، والأعاصير الداخليّة الخفيّة التي لا تراها العيون

❦❦❦❦❦

بعضُ الناس يؤمنون بألفاظهم، ويلحدون بأفعالهم!! وإِلاّ لما عبدوا الدنيا هذه العبادة، وآثروها هذا الإِيثار، وأعرضوا هذا الإِعراض عن تعاليم الله عزَّ وجلّ

❦❦❦❦❦

يجب أن نصل إِلى قلب الإِنسان وعقله وضميره من وراء فواصل الأقوام والأوطان؛ فلن يصلح هذا العالم إِلاّ بصلاح الإِنسان

❦❦❦❦❦

الإِنسانُ السطحيُّ الضّحْل لا يستوعب رسالة الله فضلاً عن حمل رسالة الله..
ما أحوجنا وما أشوقنا إِلى المسلم البعيد الأغوار والآفاق

❦❦❦❦❦

لقد بلغوا الغاية في إِشعال أحاسيس الجسد، وإِطفاء أشواق الروح!!
مَنْ لنا بمن يُلهب أشواق الروح الإِنسانيّة من جديد، لإِنقاذ الروح والجسد جميعاً، وإِنقاذ الإِنسان؟

❦❦❦❦❦

يحدثنا بعض الأدعياء أو المحترفين عن الروح وأشواقها، وليس في ضلوعهم إلاّ صراخُ المادّة والشهوات؛ فتأتي كلماتُهم مزوّرةً ميّتةً لا صدقَ فيها ولا حرارةَ ولا تأثير؛ فكيف تُؤَثّرُ فينا كلماتُهم الزائفة الباردة التي فقدت الصدق والحرارة والحياة؟!

✽✽✽

كلّما اقتربنا من نهايتنا، زادت قدرتُنا على تقويم حياتنا وأعمالنا، ووزنها بميزان حسّاس دقيق؛ فيا ليت لنا هذه القدرة في مطالع حياتنا، لتكون لنا فرصة كافية للانتفاع بها قبل العجز والموت

✽✽✽

ما يزال بعض المسلمين يقول:

- أزمةُ المسلمين أزمة علم وفكر

وبعضهم يقول:

- أزمة المسلمين أزمة إِرادة وعمل

والحق أن الأزمة هي أزمة علم وفكر، وإِرادة وعمل، في ذات الوقت

وإِذا تساءلنا بحقّ: لماذا لا يتعلّم المسلمون ما لا يعلمون مما يحتاجونه أمسّ الحاجة؟! فإِنّ من حقنا أن نتساءل أيضا: لماذا لا يعلمون بما عملوا، وبما استبان لهم أنه واجبٌ وحقّ وصواب؟!

✽✽✽

لا يُقبل عملٌ بلا علم، ولا ينفع علمٌ بلا عمل، ولا يغني العلم والعمل بلا إِخلاص؛ فلا بدّ لفلاح الإِنسان، وصلاح المجتمع، من الإِخلاص والعلم والعمل جميعا

✽✽✽

ما أحمق من يلبس للذئب الجائع جلد الحمل وهو يستطيع أن يلبس جلد الأسد!

✽✽✽

عندما يكونُ الطغيانُ في بلدٍ محدوداً أو جزئيّاً يتكلّمُ متكلّمون، وينتقدُ ناقدون، ويعارض معارضون

وعندما يزدادُ الطغيانُ شدّةً وشمولاً يصمتُ أكثرُ المتكلّمين والناقدين، ويختفي أكثرُ المعارضين

وعندما يبلغ الطغيانُ غاية شِدّته وعنفه يتحوّلُ النقدُ عند الأكثرين إِلى ثناء، والمعارضةُ إِلى وَلاء، والسوادُ القاتمُ كلُّه إِلى بياض!!

فإِذا رأيتم المظلومين يُثنون على الظالمين، والمقهورين يُوالون الجلاّدين، فاعلموا أنّ الطغيان والبطش قد بلغ حدّه الأقصى، وأنّ كلّ كلمة مدح وزُلفى، هي في الحقيقة كلمةُ هجاء وشكوى، عجزت عن نطقها الشفتان، وقَلَبها الخوفُ والفزعُ والاضطرار، أو الجبنُ والطمعُ والصَّغَارُ.. إِلى مديح

❧❧❧❧❧

قيثارةُ أرواحنا وأفكارنا وأشواقنا تفتقر إِلى أوتار جديدة تعبر عنّا تعبيراً أصفى وأوفى وأشجى، وتتغلغل إِلى أعماقٍ وآفاقٍ أبعدَ وأبعد في وجدان الإِنسانيّة والإِنسان

❧❧❧❧❧

مَنْ لنا بعلماء وأدباء وشعراء.. أحرارٍ أحرار، أُصَلاءَ أُصَلاء، مُبْدِعِينَ مبدعين، تصل كلماتهم إِلى أبعد وأفسح وأعمق مما تصل إِليه كلماتُنا المشلولة المسكينة، وتحمل من كنوز العلم والفكر والشعور، وجمال الشكل والمضمون، وروعة الصدق والإِلهام ما لا تحمل، وتؤثّر ما لا تؤثّر؟

هؤلاء هم آيات النهضة الحقيقيّة والخلاص، وطلائع المستقبل الإِسلاميّ والإِنسانيّ المأمول

❧❧❧❧❧

كيف أخشى شيئاً على هذه الأرض، ومعي ربُّ السموات والأرض؟! وكيف يملِكُني حاضرٌ حقيرٌ محدود، وأمامي مستقبلٌ واعدٌ لا يعرفُ الحدود؟!

❧❧❧❧❧

كيف أنفصل عن الأمل أو ينفصل عنّي، وهو شيءٌ من عقيدتي وفكري، وقلبي ودمي، وهو النورُ الذي أُبصر به الحاضرَ والمستقبل، والكونَ والحياةَ، وما وراءَ الحياة؟!

❧❧❧❧❧

أَنْ أَحترِقَ وأموتَ شُعْلةَ أملٍ وجهادٍ، خيرٌ لي، وأفضلُ عندي، من أنْ أعيشَ حَفْنَةً خابِيَةً ساكنةً من رَماد

تموتُ أجسامُنا الفانيةُ، ولا تموتُ أرواحُنا الباقيةُ، ولا آمالُنا السامية، ولا أعمالُنا الجديرةُ بالحياة

قد يقف إنسانٌ مسلمٌ في مرحلة من المراحل، أو لحظة من اللحظات أمامَ هذا الخيار:

أن يغتربَ عن إخوان وخُلاّن وأصحاب -كما اغتربَ من قبلُ في سبيل الله عن أوطان- أو أن يغتربَ عن الله ليحتفظ بإخوان وخُلان وأصحاب لا يواصلونه إلاّ إذا مشى مثلَهم في رَكْبِ الهوى أو السلطانِ والدنيا، أو سمحَ بمواصلته الطاغوت!!

فماذا يختار؟!

أنا أختار على كلِّ شيء أنْ أكون مع الله، ومع النّاس بما يرضي الله، فإن أعرض بعضُهم لذلك عني، طَلَباً لدنيا، أو خوفاً من طاغوت.. فَهِمتُهم وعذرتُهم، ودعوتُ الله لهم أن يردَّهم إلى الحقّ ويثبّتَهم عليه، وإن أحزنني الفِراقُ والإعراض

قال لي صديقٌ قديمٌ لقيتُه مصادفةً بعد فراقٍ طويل:

- لا تؤاخِذْني إن شَتمتُك وافتريتُ عليك، فسلامتي ومصالحي رهينةٌ بأنْ أشتُمَكَ وأفترِيَ عليك!!

قلت للصديق القديم:

- سامحك الله، وإن كان الدينُ والخُلُق ومصالحُ أمّتِك وبلادِك تقتضي منك غيرَ هذا الموقف

أنتَ يا من طعنتَني اليوم، لا أنسى لك أبداً يدكَ التي مسحتَ بها على جراحي أمس؛ وطعناتُك العميقةُ الأليمة لن تقتلَ ما لك في نفسي من الحبّ والوداد..

يا أخي الذي غيّرتْه الأيامُ والدّنيا.. عفا الله عنك

❀❀❀❀❀❀

لا تتساءلوا من أقصدُ بكلامي وأَعْني.. هم ناس لا تعرفونهم ولن تعرفوهم، وإن كانوا حقائقَ حَيّةً تَدِبّ في بعض الأماكن على الأرض، أو دَبَّت عليها يوماً من الأيام

❀❀❀❀❀❀

لا يجمعُ الصفوفَ ويُنشِّطُ الخُطى كالنجاح، ولا يُفَرِّقُ الصفوفَ، ويَشُلُّ الخُطى كالإخفاق. أمّا المؤمنونَ المؤمنون، فهم -وإن فرحوا بالنجاح وحزنوا للإخفاق- أقوى وأسمى من أن يُفَرِّقَهم، أو يشلَّ خُطاهم، أو يوقف مسيرتهم شيءٌ إلاّ الموت

❀❀❀❀❀❀

ما أصغَرنا في واقعنا، إذا كنّا نقيس أنفسنا بنظرِ «السلطان» إلينا، ورأيه فينا: نكبر عند أنفسنا إن رضيَ أو أثنى، ونصغر عند أنفسنا إن غضب أو أغضى، ونَخْرُجُ عن حُرِّيَّتِنا وكرامتنا ونهجِنا إن بسط لنا يـــدَه بعـــضَ البسط!!

❀❀❀❀❀❀

إذا جهلتَ ذاتَك وخُصوصيَّتَك ومسؤوليّتَك، وقبلتَ أن تكون مُجَرّدَ رَقَمٍ من أرقام، أو فردٍ من قطيع، فلا تلومنَّ من يعاملك مُعاملةَ الأرقامِ أو البهائم لا مُعاملةَ الإنسان!!

❀❀❀❀❀❀

عندما تتفتّح الشخصيّةُ الإنسانيّة يتميّز كلٌّ بخصائصه، فلا يختـــلط أحـــدٌ بأحـــد، ولا يكـــون صـــورةً «فوتوغرافية» من أحد، دون إجحافٍ بالأصل المشترك، والمآلِ المشترك، والخصائصِ المشتركة بين جميع أفراد الجنس البشريّ

❀❀❀❀❀❀

لماذا يحاسَبُ الإِنسانُ منفرداً وحدَه، عن عمله وحده، ولا يحمل أوزار غيرِه، ولا يحملُ أوزارَه غيرُه.. أليس ذلك لأنه كائن مُتَمَيِّز مستقلّ عن كلّ من سواه، وإِن جمعتهم الإِنسانيّةُ والتكاليف والمسؤوليّات؟

اشعُرْ بذاتك وخصوصيّتك وشخصيّتك المتميّزة، وبأنك في ذات الوقت عضوٌ في مجتمع.. فذلك خيرٌ لك ولمجتمعك من أن تذوب فيه أو يذوب فيك

أين دهشةُ وروعةُ الاكتشاف: اكتشافِ النفس، واكتشافِ الآخرين، واكتشافِ العالم والكون والحياة؟!

مَنْ لنا بعيونِ الأطفال، وقلوبِ الأطفال، وفضولِ الأطفال وشغفِهم بالمعرفة والاكتشاف؛ فقد قَتَلَ الإِلْفُ والعادةُ كلَّ ما في أنفسنا، وما حولنا، وما يحفل به عالمنا، من عجائبَ تَبْهَرُ العقولَ والنفوس

من أُعْطِيَ موهبةً فلم يَرْعَها، ولم يَرُبَّها كان مضيّعاً للأمانة، كافراً بالنعمة، خائناً للإِنسانيّة والإِنسان

المسلم الأمين الغَيور يكتشفُ طاقاتِه الكامنة ويفجِّرُها ليرتفعَ بها، ويرفعَ المسلمين معه إِلى أبعد مدى، ويخدمَ بها الإِنسانيّة والإِنسان

أصحاب المواهبِ الذين لا يستثمرون مواهبَهم، والطاقاتِ الذين لا يستخرجون طاقاتِهم.. هم أولُ المسؤولين عن تخلُّف المسلمين، ونكبات الإِنسانيّة والإِنسان

من المهمّ لنا أن نمتلك ما نستطيع من قوّة وخبرة ومهارات، والأهمّ من ذلك أن نحسن توظيفها في طاعة الله عزَّ وجلَّ، ومصلحة الإِسلام والمسلمين، والإِنسانيّة والإِنسان

قد تكونُ بما تملكه من قوةٍ وإِمكاناتٍ ملاكاً، وقد تكونُ شيطاناً..
تُسَخّر قوّتك للحقّ والخير فأنت ملاك، وتُسَخّر قوّتك للباطل والشرّ فأنت شيطان

اللهمّ هبْ لنا القوّةَ أعظمَ القوّة، واجعلها في طاعتك ومرضاتك على الدوام

تَعِسَ امرُؤٌ آتاه اللهُ القوّةَ والإِمكانات، فأضاعها أو عطّلها، و لم يَدخُلْ بها الجنّةَ، ويظفَرْ بمرضاة الله

القوّةُ إِرادةٌ وجهدٌ مستمرٌ، وتوفيقٌ من الله عزَّ وجلَّ، فليستْ تُنالُ بالأمانيّ والأوهام

لا أستطيع أنْ أخرج من جلدي لأكون غربيّاً خالصاً؛ فلوني الأسمرُ ينادي أنني شرقيّ

هل يجبُ أن يتحوّلَ الشرقيُّ إِلى غربيّ، أو الغربيُّ إِلى شرقيّ، ليكونَ التواصُلُ والتعاون؟! أليسَ الأَوْلى أن يتلاقى البشر جميعاً من وراء جميع الفواصل على ما يمكن التلاقي عليه من الحقِّ والعدلِ والخيرِ مُطْلَقاً كان أو نسبيّاً، ومصلحةِ الإِنسانيّةِ والإِنسانِ المشتركة: الدائمة أو الموقوتة

الدرهمُ يسعى إلى الدرهم، والدينار إلى الدينار، من أقصى الأرض إلى أقصى الأرض في النظام العالميّ الجديد، دونَ حدود ولا تمييز، لأجل الكسبِ الماديِّ المشروعِ وغير المشروع

متى يسعى القلبُ إلى القلب، والفكرُ إلى الفكر، والإنسانُ إلى الإنسانِ، من أقصى الأرضِ إلى أقصى الأرض، لإنقاذ البشرِ في حاضرِهم ومستقبلِهم، من سُلطان الآلةِ الماديّةِ المهيمنةِ المكتسِحَة، التي لا روحَ لها ولا خُلُقَ ولا شعورَ ولا ضمير

❦❦❦❦❦

عَالميّةُ الإسلام تربط البشرَ جميعاً بروابط الأخوّةِ الإنسانيّة الشاملة، وقِيَم الإيمانِ والعدلِ والإحسانِ، والتعارفِ والتعاونِ على البرِّ والتقوى، لتحقيق مصالحِ الإنسانيّة والإنسان في الدنيا والآخرة

وعالَميّةُ هذه الأيام تَمُدُّ بِمُعْطَياتِها ووسائلِها التكنولوجية المذهلة أطرافَ الغاب -بقوانينِ الغابِ المعروفة- وتتجاوز الفواصلَ الوطنيةَ والقوميّةَ والإقليميّة، وتجمع الأرض ومن على الأرض، لمصلحة الأقوياء المتقدّمين، والمكَرَةِ المفسدين، على حساب المُثُلِ العُليا، والقِيَمِ الإنسانيّة والخُلُقيّة، والمستضعفينَ في الأرض، فَشَتّانَ شَتّانَ بين العالَميّتين!!

❦❦❦❦❦

عندما تكون المنافسةُ على صعيد القرية أو البلدة أو الدولة الواحدة.. تحتاج جهداً كبيراً مُتّصلاً للفوز؛ فكيف الآن وقد غدتِ المنافسة على صعيد العالم كلّه في النظام العالميّ الجديد، في كلّ شأنٍ من الشؤون، ومجالٍ من المجالات؛ ولا بدّ لنا -نحنُ المسلمين- من الفوز إذا أردنا أن ننقذ أنفسنا وأمّتنا وبلادنا، والإنسانيّة والإنسان من مصير رهيب؛ بل لا بدّ لنا من التقدّم كثيراً كثيراً إذا أردنا مجرّدَ الحياةِ والبقاءِ على أدنى مستوياتِ البقاء

❦❦❦❦❦

يجب أن تَدِبَّ الحياةُ والحركةُ في كلِّ خليّة من خلايا جَسَدِ أمّتنا العربية والإسلاميّة، وأن تنشط وتتفاعل وتتكامل كلُّ استعداداتنا وطاقاتنا وجهودنا الفرديّة والجماعيّة على كلّ صعيد؛ وإلاّ فاتنا الهدف، وسبقَنا الزمن، وسحَقَتنا أقدامُ هذا العالمِ المسرع المتدافع الظالم المجنون

❦❦❦❦❦

ما أروعَ أن يلتقيَ الحقُّ والفَنُّ، والعقلُ والقلبُ والبيان.. في هداية الإِنسانيّة والإِنسان، وحمايةِ الإِنـــسانيّة والإِنسان!

❦❦❦

القصيدةُ البارعةُ الباهرة، والأغنيةُ الصادقةُ الساحرة.. رسولٌ إِلى القلوبِ والعقولِ لا تنغلقُ دونَه الأبواب

❦❦❦

القولُ الجميل واللحنُ الجميل والصوتُ الجميل والريشةُ المبدعة في خدمة الحقّ والخير والجمال، والإِنسانيّةِ والإِنسان.. جهادٌ من أعظمِ الجهادِ في عالمنا وعصرنا الحاضر؛ بل في كلّ عصر

❦❦❦

مَن لم يَهُزَّهُ البيانُ العظيم واللحنُ العظيم والأداءُ العظيم والإِبداعُ العظيم.. فهو جَمادٌ جماد، أو أقـــربُ إِلى الجمادِ منه إِلى الإِنسان!

❦❦❦

الفنُّ العظيمُ قويٌّ غلاّب، يعترفُ بعظمته وروعته -طوعاً أو كَرْهاً- العدوُّ والصديق، ولا يكادُ يُفلِتُ من سلطانه وتأثيره أحد

وما أروعَ ما وصفَ به شاعرٌ عربيٌّ سِحْرَ قصيدته وإِحكامَها وتأثيرها إِذ قال:

خُذْها إِذا أُنشِدَتْ في القومِ من طَرَبٍ　　صُدُورُها عُرِفَتْ منها قوافيها
يَنْسَى لَها الراكبُ العَجْلانُ حاجَتَهُ　　ويُصْبِحُ الحاسدُ الغَضبانُ يُطْرِيها

❦❦❦

كان جهادُ «حسّانَ بنِ ثابت» بلسانه أبقى وأقوى وأبلغ من جهاده بسيفه وسنانه..

أليس هو -رضي الله عنه- الذي يقول:

لسانيَ وسيفي صارِمانِ كلاهُما   ويبلغُ ما لا يبلغُ السيفُ مِذْوَدِي(28)

ما أعجبَ هؤلاءِ الذين ينتقصون الشِّعرَ -كلَّ شِعْرٍ-، ويتحرّجون كُلِّيّةً من إنشاده أو سماعه!!

لقد استمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم الشعر، واستَنْشَدَه، وتَمَثَّلَ به، واحتفى بأصحابه، ونَقَدَه، وقال فيه:

- «**إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكْمَةً**» و«**إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكْمَةً**» رواهما البخاري

ما أبعدَ الفرقَ بين شِعْرٍ يُشيع الكفرَ والفسادَ والشرّ، وشعرٍ يُشيعُ الإيمانَ والصلاحَ والخير! فكيف نُصنِّفُهما في خانة واحدة، ونحكمُ عليهما بحكم واحد؟!

ما أبعد الفرق بين شعر يحمل رسالةً ويُؤدّي واجباً، ويسمو بالإنسانيّة والإنسان، وشِعرٍ يشغل عن كلِّ رسالةٍ وواجب، ويُهبط بالإنسانيّة والإنسان!

لا تُخطِئوا فَهمي:

لا يوجَدُ شِعْرٌ بلا صدق، ولا يوجدُ شعرٌ بلا إبداع، ولا يوجد شعر بلا فنّ، فالذين ينظمون المواعظ الدينيّة أو الأخلاقيّةَ المتكلّفةَ الميّتة.. ليسوا من الشعرِ في شيء

عندما يولَدُ الشاعرُ المسلمُ العبقريّ يولَدُ الشعرُ الإسلاميّ العظيم، فالشعرُ صورةٌ من صاحبه، والأُسلوبُ هو الإنسان نفسه كما يقول "بوفون" Le style est l'homme méme

(28) المِذْوَدُ هنا: اللسان

كم أحلُمُ وأتمنّى أن يكون لنا شعراءُ إِسلاميّون عِظام كشكسبير، وجوته، وهوجو، والمتنبّي

وروائيّونَ عظام كبَلْزاك، ودوستويفسكي، وديكنز، ونجيب محفوظ

وفنّانون عِظام، ومفكّرون عظام، وكتابٌ عظام، ومبدعون مبدعون عِظامٌ في مختلف العلوم والفنون والآداب، ومجالات النشاط والإِبداع الإِنسانيّ

ذلك شيءٌ رائعٌ حقّاً لو كان

ذلك سموٌّ وجمالٌ وكمال، وضرورة حيويّة للإِسلام والمسلمين على المستوى المحلّي، ومستوى العالم، ومستوى الحاضر والمستقبل

ماذا أصنع؟!

إِنّ هاجِسَ الحرّيةِ والكرامةِ الإِنسانيّةِ لا يكادُ يُفارقني في الشعور أو اللاشعور

ما إِنْ أجلس للكتابة حتى يفجأني العقل الباطن والعقل الظاهر بألوان من الخواطر والمشاعر والأفكار في هذا الموضوع، فآخذُ بعضها وأتركُ أكثرها خوفَ التكرارِ والإِملال

إِذا استسلم الإِنسانُ للباطل والظلمِ والطغيانِ فلا معنى لحياة الإِنسان، ولا مستقبلَ كريماً للإِنسانيّة كلِّها على هذه الأرض

بِذرة الإِباءِ والتمرّدِ الصغيرةِ في قلبك اليوم قد تكونُ شجرةَ الحرّيّة والكرامة الوارفة في الغد

عندما ندافعُ عن حرّيَّتِنا وكرامتِنا ندافعُ بذلك أيضاً عن حرّيّة الإِنسانيّة وكرامتها، وننهض بواجبٍ شخصيٍّ واجتماعيٍّ وإِنسانيّ عظيم

أن تموت في سبيل الله عزَّ وجلَّ حُرّاً كريماً شامِخَ الرأس خَيْرٌ لك من أن تعيشَ عبداً ذليلاً ملايينَ السنين

قال لي صديقٌ تقدّمتْ به السنّ:

– عَبَثاً أُحاولُ أنْ أنفُضَ الرمادَ عن بقايا جَمَراتِ الفؤاد! فالقلبُ كلُّه آلَ إلى رماد!

– عَبَثاً أنادي الشبابَ الذي كان مِلءَ إِهابي، فتحدّياتُ الحاضرِ والمستقبلِ لا يُواجهها إلاّ الشبابُ، وروحُ الشبابِ، وعزائمُ الشباب!..

لم يعُدْ في إِهابي المُخَدَّدِ العتيق إلاّ الهرمُ العاجزُ الذي يجرُّ خُطاه، أو تجرُّهُ خُطاه، إلى الموت

– إنّنا نقول للناس كثيراً: لا تيأسوا.. إنّ الفجر قادم ولَوْ طال بكُمُ الليل، ولا نقول لهم: إنّ النَّهارَ الجديد سيَعْقُبُه أيضاً ظلام!!..

قلت لصديقي:

– هذا كلام لا يقوله إلاّ من فقد الإيمان ويَئِسَ من رَوْحِ الله!

جَدِّدْ إيمانَك -يا أخي- وصِلَتَكَ بالله عزَّ وجلَّ، وسترى كيف يتحوّلُ رمادُ قلبكَ إلى جَمْرٍ لا ينطفِئ، وكيف يمتلئُ إهابُك المخدّدُ العتيقُ بشبابٍ جديد لا يُدْرِكُهُ هَرَم: شبابِ الإيمانِ الخالدِ الواثق القادر على أن يرتفع بك دائماً إلى فوق، ويَمْضِيَ بك دائماً إلى أمام، ويفتح أمامك دائماً آفاق الأملِ والعملِ والحياة

فَلْيَطُلِ الليلُ -يا أخي- أو يقصُرْ، ولْتُشْرِقِ الشمسُ أو تَغِبِ الشمسُ ويَعُمَّ الظلامُ.. سِيّان! فقلبُ المؤمن يستمدُّ ضياءَه من نور الله عزَّ وجلَّ الذي لا يحتجب ولا يغيب، وينشرُ سَناه في القلوب والعقولِ والدروبِ في ضوءِ النهار وظلمةِ الليل على السَّواء..

وإذا كنتَ بكُلِّيَّتك، وسِرِّكَ وعَلَنِكَ، مع الله.. سَمَوْتَ على الزمان والمكان والأحداث، وكنتَ في مختلف الظروف، أقوى وأكبرَ من كلِّ الظروف

قال الظالمُ للمظلوم:

– عفوتُ عنك!!

يا لها من سُخْرِيَةٍ بالعدلِ والعقل!!

إنّنا نعفو عن الظالم إن تاب، ولا نعفو أبداً عن الظُّلْم

إِنّني أنتشي بكلمات الحريّة والكرامة والشّهامة، ومعاني الحريّة والكرامة والـشّهامة، ومواقــف الحريّــة والكرامة والشّهامة، وأبكي عندما أستحضرها -خالياً- في نفسي، أو أسمعها في حادثة، أو أقرؤها في كتاب..

ويلٌ للذين يقتلون هذه الكلمات والمعاني والمواقف في حياة الأفراد والشعوب

إِذا كان «عربُ هذا الزمان» يديرون خدَّهم الأيسر لمن يَلْطِم خدَّهم الأيمــن، فلمـاذا لا تتــوالى علــى وجوههم وأقفيتهم اللطماتُ والصفعات؟!!

إِنّنا لا نلومُ قادةَ العرب على الحالة المهينة التي أوصلوا شعوبَهم إِليها، بمقدار ما نلومُهم أنّهم لا يَخرُجــون بأنفسهم وأمتهم وبلادهم منها، ولا يتّخذون لذلك الوسائل والأسباب!!

أيُّ أمانٍ وأيُّ ضَمانٍ في هذا العالم، إِذا كان رئيسُ أعظمِ دولة فيه، لا يُبالي أن يُشعِلَ بعضَ أرجائِه -ظُلْماً وعُدْواناً- ناراً ودَماراً، ليشغلَ مواطنيه عن فضيحةٍ جنسيّةٍ خسيسة في فراشه أو مكتبه في «البيت الأبيض»؟!!

ما أخطرَ وما أوجعَ أن تتحوّلَ المؤسّساتُ الدوليّةُ أكْثَرَ فأكْثَرَ إلى أداةٍ بيد الدول الكبرى لتحقيق مطامعها ورَغائبها على حساب الدولِ الأصغر والأضعف، وحسابِ الحقِّ والعدالةِ وحقوقِ الإِنسان

أيّها المسلم:

- كُنْ قويّاً، حتى لا يأكلك أو يسحقكَ الأقوياء

كُنْ عادلاً، حتى لا تأكل -إِن قَويتَ- سواك على الناس

وكن إنساناً رحيماً، حتى تستشعرَ الأُخُوّةَ الإنسانيّة على امتداد الزمان والمكان، وتمدَّ يدَ الأُخُوّةِ والمحبّة والعون إلى سائر بني الإنسان، فهذا من الإسلام، ومن رسالتك الإسلاميّة في هذا العالم والعصر

***

كيف تطمعُ أن تحلّق كصَقْر، وليس لك قلبُ الصقر وجناحاه؟!

***

ما أعجبَ قابلياتِ الإنسان؟!

يمكن أن يكونَ سيدَ الدنيا وأشرفَ مخلوقاتِها، ويمكنُ أن يكون عبدها وأحقرَ مخلوق فيها

***

من آمنَ باللهِ، وعاشَ مع اللهِ، صارت تيجانُ الملوك في نظره أرخصَ من الحصى، وأهونَ من التراب؛ فكيف يَذِلُّ المؤمنُ الصادق بعد ذلك لسلطانٍ في الأرض، أو يَعْنُو وَجْهُه لِغير خالق السموات والأرض

***

قَدْ ذَلَّ من عَبَدَ الدّنيا وَزِينَتَها   وعَزَّ مَنْ عَبَدَ الرحمانَ إيمانَا
فالمؤمنُ الحقُّ حُرٌّ ليسَ يَمْلِكُهُ   سِحْرُ الدُّنى وفُتونُ العيشِ أَلوانَا
والمؤمنُ الحقُّ لا يَعْنُو لِطاغِيةٍ   ولو تَفَجَّرَ هذا الكونُ طُغْيانَا

***

خَفَضُوا الجِباهَ لِغاصبٍ ومُقاتِلٍ   وتَنَمَّرُوا للأهلِ والأوطانِ
لِعَدُوِّهِمْ لِينُ الجوانبِ منهمُ   ولأهلِهِمْ قَلبٌ من الصَّفْوَانِ[29]
فإلى متى هذا البلاءُ بأرضنا   يأتي من الأعداء و«الأخوانِ!!»
الليلُ طالَ وقدْ أَضَرَّ بأهلِنا   جَوْرُ العدُوِّ وصَوْلَةُ الطُّغْيانِ

---

(29) الصفوان: الصخر الأملس

حَسْبُ الكريمِ من الكَرامةِ أنّهُ حُرٌّ كَريمُ

حَسْبُ الذّليلِ مِنَ المهانَةِ أنّهُ عَبْدٌ ذَليلُ

جَناحِي حَطَّمَتْــهُ يَدُ الليــالي وأَثْقَلَني المواجِعُ والهمــومُ
ولكنَّ العَظَائِــمُ لَــمْ تُفــارقْ فؤاداً دونَ هِمَّتِــهِ النجــومُ
إذا سُــحُبُ المواجعِ ظَلَّلَتْنــي ذكرتُ الله فانزاحَــتْ غُيــومُ
أُنادي في ظَلامِ الكرْبِ رَبّــي فَيُدْرِكنــي بِرحْمَتِــهِ الكريــمُ
ويَغْمُرُني الضِّيــاءُ فلا ظــلامٌ ويَتَّسِــعُ الرجاءُ فلا يَريمُ(30)

عندما أخرج من إسار اللحظة الحاضرة والمكان المحدود، ويسرح بي الفكر والتأمُّلات إلى بعيد بعيــد في الزمان والمكان.. أشعر بمسؤوليتنا الكبيرة ليس عن أجيالنا الجديدة وحدها؛ ولكن عن أجيال كثيرة لم تولــد بعد؛ وليس عن عالمنا الراهن وحده؛ ولكن عن عوالم أخرى ما تزال أَجِنَّةً أو احتمالات في ضمير الغيب؛ فما نفعله اليوم له أُثره الممتدّ في غَدِ الأجيالِ المتعاقبةِ، والإنسانيّةِ والإنسان، ولا ينتهي بانتهاء اليــوم، أو بانتــهاء أعمارنا وحياتنا على سطح هذه الأرض؛ فما أفدحَ المسؤوليةَ وما أعظمها في الدنيا والآخرة!!

لو كان هنالك مرآةٌ صادقة، ينظر فيها الإنسان، فلا يَرى ظواهرَ جسمهِ؛ ولكن بواطنَ نفسهِ؛ كم منّا يــا تُرى كان يطيقُ النظرَ في هذه المرآة، ولا يغلبه النفور والاشمئزاز؟!

(30) لا يَريم: لا يُفارق

❦❦❦❦❦

ما أكثر عيوبي وأخطائي!

وما أكثر عيوبك وأخطاءك أنت أيضاً!

لماذا نجاهد ونتعب في إِخفائها أو تبريرها، ولا نجاهد ونتعب في التحرّر منها بوعي وصدق وإِخلاص؟!

❦❦❦❦❦

كثيرون هم الذين يلعنون الشيطان أمام الناس، ويعبدونه واقعيّاً في دخائل أنفسهم، أو تحت أستار الظلام!!

❦❦❦❦❦

الصِّدْقَ الصِّدْقَ أيها المسلمون، فهو طَوْقُ النجاةِ في الدنيا والآخرة

❦❦❦❦❦

وا شَوْقَاهُ إلى المسلم الصادقِ المشاعرِ والمواقفِ والكلماتِ والمقاييس!

❦❦❦❦❦

كثيرون من المسلمين يقتربون منك أو يبتعدون، ويبسمون لك أو يعبسون، ويمدحونك أو يذمّون، ويسالمونك أو يحاربون.. بمصالحهم الخاصّة، وظروفهم المتقلّبة، ويدوسون من أجل مصالحهم -مهما صَغُرَتْ- كلَّ المبادئِ والقيم، وبواعثِ الواجبِ والخُلقِ الكريم!!

❦❦❦❦❦

لمسةُ يدٍ حانيّةٌ أبلغُ تعبيراً وأعمقُ أثراً من ألفِ كلمةٍ وكلمةٍ تنطلقُ من اللسان، ولا تنبعُ من الضمير والوجدان

❦❦❦❦❦

رحمها الله!

كم قلتُ لها -أحياناً- وقالت لي، دون أن ننطق بكلمةٍ واحدة!

عندما أجلس إلى نفسي أحياناً ألمحُ فيها أعماقَ البِحَارِ، وقِمَمَ الجبالِ، وزُرقةَ السماء، ووجوهَ الأحبـــاب: مَنْ واراهُمُ الترابُ، ومَنْ يخطِرونَ على سَطح الأرض.. فأعيشُ في عالمٍ خاصٍّ رائعٍ واسعٍ ليس لهُ حدود

تُرى كيف يُطيق الجلوسَ إلى نفسه من يَضيقُ عالمه الداخليّ ويضيقُ حتى يختنق فيه إن طال به المُقام؟!

رأيته يضحك أحياناً ويبكي لأحداث ومشاهد لا نراها!!.. هل عالمه الداخلي أوسع كثيراً وأغنى كثيراً من عالمنا، أم هو مجنون؟!!

هنالك ناس لا تذكرهم ولو عاشوا بجوارك سنوات وسنوات، وهنالك ناس لا تنساهم ولو عبروا حياتــك أيّاماً أو ساعاتٍ أو لحظات

إذا سرتَ في طريق الحقّ والواجب فلا تَسألْ: ما هو كَسْبيَ الدُّنيويّ الشخصيّ؟! فَسَيْرُك في طريق الحـــقّ والواجب هو أعظم كسب، وثوابُ الله عزَّ وجلَّ أثمن من الدنيا ومن ألف دنيا

كم من جَمْرٍ له لونُ الجمر، وليس له حرارةُ الجمر، ومن رمادٍ لا يزال فيه بعضُ حرارة النار

إذا لم تتحوّل كلماتي إلى لَهَبٍ في الصدور، ونورٍ في العيون، وعملٍ فَعّالٍ خَلاّق، فما أَقَـلَّ غَنَـاءَ هــذه الكلمات، وما أعظمَ خيانتَها لِما يشتعلُ في جوانحي من المشاعرِ والآمال

أحلامُنا وآمالنا هي التي تعبّر عن حقيقتنا لا واقعُنا الراهن؛ ولو كانت حقيقتُنا كما هو واقعُنا الآن لكنّا أحقرَ الناس، وكان الموتُ أجدرَ بنا من الحياة

ويُشْـرِقُ الحقُّ في قلبي فلا ظُلَمٌ ... ويَصْدُقُ العَزْمُ، لا وَهْنٌ ولا سَأَمُ
دَرْبٌ سَلَكْناهُ والرحمانُ غايَتُنا ... ما مَسَّنا قَطُّ في لأْوائِهِ نَدَمُ[31]
نمضي ونمضي وإن طالَ الطريقُ بنا ... وسَالَ دَمْعٌ على أطْرافِهِ ودَمُ
يَحْلُو العَذابُ وعَيْنُ اللهِ تَلْحَظُنا ... ويَعْذُبُ الموتُ والتشريدُ والأَلَمُ

نعم، في تاريخنا الماضي صعودٌ وهُبوط، وخيرٌ وشرّ؛ ولكن يجب أن نسجِّل أنّ السموَّ والخير في مواقفنا الفردية والجماعية كانا حيثُ جَسَّدْنا الإسلام، وأنّ الهبوطَ والشرَّ كانا حيثُ ابتعدنا عنه؛ فتاريخُنا الماضي بخيره وشرّه شهادةٌ للإسلام لا شهادةٌ عليه

أُكافح وأكافح وأكافح.. ثمّ أجدني في موضعي لا أتقدّم كما أشتهي!!

لو كنتُ شاباً أو كهلاً لاقتربتُ أَكْثرَ فأكثرَ من الغاية والأهداف؛ فلا تُضيعوا فُرَصَ الشَّبابِ والتقدّمِ يا شّباب!!

أُكافح وأكافح وأكافح.. ثمّ أجدني في موضعي لا أتقدّم!!، ولكنّني لن أقعدَ لحظةً واحدةً عن الكفاح، فالكفاحُ الخالصُ البصير هو في نفسه شَرَفٌ عظيمٌ، وانتصارٌ عظيم

(31) اللأواء: الشدّة والمحنة والمرض وضيق العيش

أسأل الله عزَّ وجلَّ ألاّ يَقْبِضَني إِليه مُتَولِّياً عن الزَّحْفِ، أو قاعداً عن الواجبِ مُتثاقِلاً إِلى الأرضِ.. أَلاّ يَقْبِضَني إِلاّ على طريق الواجبِ والجهاد، والغاية والأهداف

ما أجملَها وما أمتعَها وما أنفعَها من سياحة: أَنْ تجولَ في نفسِ إِنسانٍ عظيمٍ وفكره!

النظرُ والتأمُّلُ في آفاقِ النفسِ والفكر، ليس أقلَّ رَوْعَةً من النظر والتأمّل في آفاق السموات والأرض.. ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:21]

ما أكثر ما يستطيع الإِنسان أن يقدّم لأخيه الإِنسان من الخير والشرّ! وما أكثر ما يقدّمه من ذلك بالفعل، بوعي منه أو بغير وعي!

ما هي نسبةُ الذين يَرْسُفون في قُيودِ الطغاة إِلى الذين يرسفون في قُيودِ الجهل والمطامع والأهواء؟
هل هي نسبة الساقية الصغيرة إِلى البحر الكبير أم هي أقل؟!!

يجب أن يتحرّرَ الإِنسانُ معنويّاً ومادّياً من داخل نفسه وخارجها، ولا يحرّره شيءٌ كالعلم والفكر والإِيمان

الشمسُ والقمرُ والنجومُ تتلألأ للأنظار.. والربيعُ والخضرةُ والأزهارُ.. والينابيعُ والأنهارُ والبحارُ.. وزقزقةُ عصفورٍ جميل.. وابتسامةُ طفلٍ صغير.. ولَعِبُ قطٍّ أليف.. وغناءٌ شَجِيٌّ يأتي من بعيد.. والحياةُ تدبّ في كلِّ

مخلوق.. سعادةٌ كبيرةٌ، وثروة عظيمة، يملكها من ملك حِسَّ الحياة، وذوقَ الجمال، ولو كان أفقــرَ الفقــراء، ويُحْرَمُها بليدُ الحسِّ سَقيمُ الذّوق، ولو كان أغنى الأغنياءِ مِنْ درهمٍ ودينار

الحياةُ تبسِم للناس بثغور الناس، وتَعْبِس في وجوه الناس بوجوه الناس؛ فلا تكن ممن تعبس بهم الحيــاةُ في الوجوه، و«**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**» كما أوصانا رسول الله صــلى الله عليه وسلّم (رواه مسلم)

يجب أن يحبَّ الإنسانُ الإنسانَ لينتصر في حياة البشرِ الحبُّ والخير، والتعاونُ الصادقُ المثمــرُ علــى الــبرّ والتقوى

إذا لم تحبَّ أخاك الإنسانَ كما تحبُّ ولدَك.. كيف تسعى في خيره وسعادته أســاءَ إليــك أو أَحــسن، وغضبتَ منه أو رضيتَ عنه، ولا تُقصِّرُ في هدايته ورعايته ومساعدته مهما كان؟!

من المحبة للإنسان أن تُقيم الحقَّ والعدلَ بين الناس، وأن تَقْدِر على القصاص العادل كما تَقْدِرِ على العفــو الكريم، لحماية الأفرادِ والمجتمعات، والأمنِ والحياة، والحقِّ والخير والتقدّم الصحيح؛ وإلاّ طغى الباطل والظلــم والفساد، وتقطّعت أسبابُ الأمنِ والتقدّمِ والحياة، وتكاثرت أسبابُ الخوف والعذاب والهلاك

علامةُ الصدق في محبة الناس، والرغبة في المشاركة والمساعدة والعطاء.. أن تمتلك ما يحتاجه الناس، ويَسْعَدُ به الناس؛ فأنت لا تستطيع أن تقدّم إلاّ ما تملك، و«فاقدُ الشيء لا يُعْطيه»

كم من إِنسانٍ مثقّفٍ كبير ليس له من عظمةِ النفسِ ونُبْلِها شيء، وإِنسانٍ بسيط بسيط له من عظمةِ النفسِ ونبلها أَوْفى نصيب

❊❊❊

كم من كنز ثمين في جوانح إِنسانٍ متواضع مَغْمور، ومن خَواء عقيم في جوانح إِنسانٍ دَعِيٍّ مَغْرور

❊❊❊

إِنّ العالَمَ الإِسلاميّ بمساحته الجغرافيّة، وثَرَواتِه الطبيعيّة، ومواقعِه الاستراتيجيّة، وحضاراتِه وأمجادِه التاريخيّة، وسُكّانِه الذين يُشكّلون خُمُسَ سكان العالم، مُؤَهَّلٌ بهذه المعطيات وغيرها ليكونَ واحداً من القوى الرئيسة العظمى -على الأقل- في هذا العالم والعصر؛ ولكنْ ينقصُه -وا أسفاه!- أهمُّ شيءٍ من الأشياء: أن يَرْتَقِيَ إِنسانُه إِلى مستوى إِنسانيّته!!.. ولا أقول إِلى مستوى رسالته الكونيّة الخالدة التي غيّرت الدنيا!!، وهذا بعض ما يكشف لنا أهميّة التربيّة الصحيحة الفاعلة الشاملة، ومدى الحاجة إِلى تكوين المسلم الحقيقيّ الذي يستطيع أن يرتفع إِلى مستوى إِنسانيّته ورسالته، وعالمه وعصره على كل صعيد

❊❊❊

التحدّيات الصهيونيّة، والهيمنة الأمريكيّة، والتحالف الإِسرائيليّ التركيّ، وحصار العراق وإِيران، والسودان وليبيا، و.. و.. وأشياء كثيرةٌ أخرى.. توجب على الدول العربيّة والإِسلاميّة تجاوزَ خلافاتها وصراعاتها، وتوحيدَ مواقفها وجهودها؛ فهي في هذه الأيام، أكثرَ من أيّ وقت مضى بين خيارين: إِمّا أن تتفاهم وتتآزر وتتقدّم، وإِمّا أن تستمرَّ في نزاعاتها وصراعاتها وسخافاتها وتخلّفها.. فتزدادَ ضعفاً إِلى ضعف، وهزيمة إِلى هزيمة، وانقساماً إِلى انقسام، وهواناً إِلى هوان.. وتتحطّمَ وتُستْعبد في حَوْمَةِ المواجهات والمنافسات والمؤامرات الإِقليميّة والدوليّة.. ويدوسَها التاريخ ويمشي!!

ولن يكون في سِجلِّ الأمم أو الدول أحدٌ أعظمَ خيانةً، وأنذلَ نَذالةً، من حكّامٍ من حكّامها، أو زعماء من زعمائها، أو ناسٍ من عامّة ناسها.. أداروا ظهورهم للأخوّة والمحبّة، والتفاهم والتعاون، والنجاة والحياة، وسلكوا بأنفسهم وأمتهم وبلادهم طريق العداوة والبغضاء، والتمزّق والتفكّك، والخنوع والضياع والهلاك!!

❊❊❊

إنّ من أخطر الأشياء على المبادئ والقيم الإنسانيّة والإنسان في الحاضر والمستقبل: أنّ قوّةً كبيرة بلا حدود يملكها ناسٌ صغارٌ بلا حدود، لا يوثق بهم، ولا يُطْمَأَنُّ إليهم، ولا تُؤمن بَوادِرُهم(32) في حقٍّ أو باطل، وخيرٍ أو شرّ!!

رئيس الولايات المتحدة الأمريكيّة -مثلاً- يكذب على أسرته، وعلى قضاته وشعبه، وتغلبه شهواته الآثمةُ المحرّمة -أو غيرُ اللائقة حسب تعبيره!- على نفسه، وعلى أمانته وصدقه ومسلكه، في أقوى مراكز السلطة في العالم كلِّه: في «البيت الأبيض»!!

و«كونغرس أمريكي» لا تُبالي أكثريّته الكبرى من أجل مصالحها الحزبيّة، ومطامعها السياسيّة، وأهوائها الشخصيّة، أن تدوس تعاليمَ الدين والأخلاق والإنسانيّة، دونَ حياءٍ ولا رحمة، فتنشر على الدنيا بالحرف والصوت تفاصيل فضائح رئيس بلادها، وجُزْئيّاتِ ممارساتِه الجنسيّة الشائنة..، دون حاجةٍ إلى ذلك للحكم في أصل الموضوع؛ وكأنها -أعني هذه الأكثريّة- صحيفة من الصحف الرخيصة «الصفراء»، التي تعيش على الإثارة والفضائح، والتي ينظر إليها كرامُ الناس باشمئزاز واستنكار!!

يا قرّائي الأعزاء:

وَيْلٌ ثمّ ويْلٌ لمن يقع بين فَكَّيْ هذا التنّين الأمريكيّ القويّ المخيف!!

وويلٌ ثمّ ويلٌ أَلْفَ مَرَّة.. للأمم والشعوب التي لا تأخذ بأسباب القوّة لتحمي نفسها من هذا المصير الرهيب!!

* * *

الولايات المتحدة الأمريكيّة تزعم أنّها تحارب الإرهاب، وتريد أن يكون العالم كلُّه معها في محاربته، وهي -في الوقت ذاته- تستمرّ في أعمالها الإرهابيّة الوقحة، دون شعور صادق بالمسؤوليّة، ولا منطق ولا خجل ولا ضمير، فتضرب -على سبيل المثال- مصنع الأدوية في السودان، وتحتضِنُ المعارضةَ العراقية، وتُسلِّحُها وتُموِّلُها، -جِهاراً نَهاراً- للقيام بأعمال إرهابيّة في العراق!!

* * *

لا يعاني المسلمُ في البلاد العربيّة والإسلاميّة من اضطهاد حكومته وحدها؛ ولكنّه يعاني أيضاً من ملاحقة الولايات المتحدة الأمريكيّة وغيرها من خِلالِ هذه الحكومات!!؛ فالولاياتُ المتحدة لم تَعُدْ تكتفي بالهيمنة على الدول في بلادنا؛ بل تريد أن تُهَيْمن أيضاً على الشعوب وعلى الأفراد!

(32) البَوادِر: مفردها بادِرَة: وهي الغضبة السريعة، والكلمة القبيحة، وما يبدرُ من رجل عند غضبه من خطأ أو سَقط

كيف تكون الولايات المتحدة صديقتنا، أو صديقة بعض أقطارنا وزعمائنا، وهي تعمل على خنقِ شعبنا وإِذلاله وتحطيمه في العراق، وسلب أرضنا منّا والتمكينِ للمغتصبين المعتدين في فلسطين، وإِخضاعِ دولنا وشعوبنا، وسحقِ كرامتنا وإِرادتنا، ومطاردة الإِسلام والمسلمين في كلِّ مكان؟!!.. واحسرتاه! واحسرتاه!

بعضُ الحكام العرب يُرَدِّد دون كَلَلٍ في كلِّ مناسبة ما تردّده الولايات المتحدة الأمريكيّة: يجب على العراق أن ينصاع لجميع قرارات الأمم المتحدة، وأن ينفّذها تنفيذاً كاملاً قبل أن يُرْفَع عنه الحصار؛ ولكنّهم لا يقولون لنا ما الذي لم يُنَفِّذْهُ العراقُ بَعْدُ من القرارات؟!!

ألا يلعب هؤلاء -من حيث يُريدون أو لا يريدون- لعبة الولايات المتحدة الأمريكيّة، التي تريد إِذلالَ العراق وتدميرَه؛ لا لمصلحةِ الخليج، ولكن لمصلحتِها هي، ومصلحةِ إِسرائيل؟!!

لقد ظهر لِلْعِيان في كلّ مكان، أن لجنة التفتيش الدوليّة عن أسلحة الدمار الشامل العراقيّة، تتعاونُ أوثق التعاون مع مخابرات الولايات المتحدة وإِسرائيل، وتتجسّس -أو يتجسّس بعض أفرادها- لحسابها، وتخترعُ الأكاذيب والمبرّرات، لتساعد الولايات المتحدة الأمريكيّة وبريطانيا، على معارضةِ رفعِ الحصار عن العراق، والحيلولة دون إِزاحةِ بعضِ الشدّةِ الشديدةِ البالغةِ القسوةِ عن أبنائه المنكوبين!!

فإِلى متى يقف العربُ والمسلمون هذه الوقفة الذليلة المعيبة، ويقف بعضهم وقفة الشماتة اللئيمة، والتحريض الظاهر والخفيّ، والمساعدة الآثمة المنكرة في صفوف الأعداء، وهم يتفرّجون جميعاً على تصدّع العراق وانهياره، وآلامه ومآسيه التي تجاوزت كلّ الحدود؟!!!

الله يعلم أننا لا نحبّ الأنظمة الدكتاتوريّة ما حضر منها وما غَبَر، ولا نراها إِلاّ بلاءً وشرّاً على الأمة والبلادِ والعباد، وأنّنا لم نُؤَيِّد قطُّ أيَّ نظامٍ من الأنظمة الدكتاتوريّة، في أيٍّ يوم من الأيام، أو لحظة من اللحظات، لا في العراق ولا في سواه

ولكنّ القضيّة هنا ليست قضيّة النظام الدكتاتوريّ البغيض القائم في بغداد؛ ولكنّها قضيّة شعبِ العراق ومصيرِ العراق.. ومصير العالم العربيّ والإسلاميّ كلِّه عند من تنفسح أمامهم مساحةُ الرؤية والرُّؤْيا، ويفكّرون جادين مخلصين في احتمالات الحاضر والمستقبل

❦❦❦❦❦

إنّ الذين يؤجّجون نار الخلاف والعداء والصراع بين «طالبان» و«إيران» شرٌّ على الإسلام والمسلمين من الولايات المتحدة الأمريكيّة، ولو رفع بعضُهم شعارَ الإسلام!!

أما كفانا ما وقع بنا نحن المسلمين بأيدي بعضنا بعضاً من وَيْلات ونَكَبات، وما سالَ مِنّا بأيدي بعضِنا بعضاً من دُموعٍ ونُفوسٍ وجِراحات؟!!!

اتقوا الله في دينكم وأمتكم وبلادكم وأنفسكم أيّها الناس!!

❦❦❦❦❦

نحن ندعو «طالبان» وسائر الفصائل الإسلاميّة الأخرى دون استثناء.. إلى التلاقي، وإلى المصالحة المخلصة، والتعاون المشترك السليم البصير، في مختلف المجالات الأساسيّة في البلاد؛ فدون هذا التعاون البصير المخلص، لا تستطيع أفغانستان أن تتجاوز الفتن والصراعات في الحاضر والمستقبل، ولا أن تنهض بواجب البناء وضروراته الملحّة في مختلف الميادين والمجالات، ولا أن تحقق للدولة الأفغانيّة، والشعوب الأفغانيّة، والإنسان الأفغاني، بعض ما ينتظرونه ويتطلّعون إليه من الأمن والسلام والاستقرار والخير

ما أعظم أن يرتفع إخوانُنا وأحبابُنا جميعاً في أفغانستان على الأنانيّات والعصبيّات والأحقاد والأهواء، وأن يكون أمرُهم شورى بينهم -كما أراد لهم الإسلام العظيم- وأن يكونوا رحمةً لا نقمةً، على أنفسهم، وعلى سائر الناس، وأن يُعْطُوا أخيراً أخيراً صورةً مشرقة جميلة صحيحة عن الإسلام والمسلمين

❦❦❦❦❦

من أعدى أعدائنا، وأهمّ أسباب هزائمنا ونكباتنا: الجهلُ، وغيبةُ الوعي، وتعطيلُ العقل، وقلّةُ الشعور بالمسؤوليّة، وضعفُ الوازع الخلقيّ، والإحساسِ الإنسانيّ..

أما آن لنا أن نستفيد من دروس الماضي وعِبَره البليغة، وأن نرتفع فوق الأنانيّات والعصبيّات والأهواء، وأن نسلك الطريقَ الإسلاميّ الصحيح: طريقَ الإيمانِ والإخلاص، والعلمِ والعقل، والوعي والفكر، والشعورِ المرهف العميق بالمسؤوليّة الإسلاميّة والوطنيّة والإنسانيّة على كلّ صعيد؟!

لا يُمكن أن تُنال القوةُ في أَبعدِ مَداها إِلاّ بالعلم والفكر

ولا يمكن أن تُفهم الأمورُ بمختلف حقائقها وجوانبها إِلاّ بالعلم والفكر

ولا يمكن أن تتصرّف تصرّفاً صحيحاً سديداً -بعد توفيق الله تعالى- إِلاّ بالعلم والفكر

فمن كان يريد القوّة فسبيله إِليها العلم والفكر، ولا يوجد أيُّ قوّةٍ حقيقيّة في هذا العالم والعصر دون علم وفكر

ومن كان يريد الفهم العميق الدقيق، والصواب والسداد، فلا سبيل إِليهما إِلاّ بالعلم والفكر..

الإِيمان والإِخلاص، والعلم والفكر، والعملُ الدائب البصير.. هي أسبابُ النجاءِ والبناءِ، والفوزِ في الدنيا والآخرة

إِذا كنتَ تحبُّ لوطنك الخير، فعليك أن تهتّم بسائر الأوطان

وإِذا كنت تحبُّ لقومك الخير، فعليك أن تهتمّ بسائر الأقوام

وإِذا كنت تحبّ لنفسك الخير، فعليك أن تهتمّ بالإِنسان في بلدك وفي كلّ مكان من الأرض

نحن في عالم وعصر، ومرحلةٍ من حياة البَشَر، لم يعد يستطيع فيها -غالباً- إِنسان بمفرده، ولا بلدٌ بمفرده، ولا قومٌ بمفردهم، أن يدفعوا عن أنفسهم كلَّ ما يهدّدهم من شدّة، وأن يرفعوا عن أنفسهم كلَّ ما يترلُ بهم من بلاء؛ فلا بدّ من تَضافرِ خيارِ البشر، وأصحابِ المعرفة والرؤية والقُدْرة على الخصوص، لحماية أنفسهم وبلادهم، وحماية الإِنسان والإِنسانيّة في كلّ مكان، وتحقيق أقصى ما يمكن أن يتحقّق لهم من الخير، ومنع أقصى ما يمكن أن يمنع عنهم من الشرّ..

ولا بدّ من نظامٍ عالميّ جديد يكون أوفى بالغاية وبالحاجة من النظام القائم الآن، أو إِصلاحٍ عميقٍ عميق، شاملٍ شامل، عادلٍ عادلٍ نزيه للنظام الحالي

ومهما يكن منْ أَمْر، فإِنّ علينا نحن المسلمين أن نتقدّم باستمرار، ونُصْلِح من أمورنا باستمرار، ونُعِدّ كل ما نستطيع من قوّة ماديّة ومعنويّة، للدفاع عن أنفسنا وأوطاننا، وعقائدنا وشرائعنا وأخلاقنا، ومصالحنا ومصالح الإِنسانيّة والإِنسان العُليا، وإِن كنّا منفردين، دون نصير ولا معين

عندما ننقد سياسة الولايات المتحدة الأمريكيّة، وتصرفاتِ إدارتها ومؤسّساتِها ووسائلِ إعلامها، ومواقفَها الخاطئة الظالمةَ منّا ومن قضايانا.. لا يعني ذلك أبداً أنّنا نكره الشعوبَ الأمريكيّة، أو نريد بها ولها السوء، أو أن ينقطع بيننا وبينها كلُّ اتصالٍ وحوار، فذلك غيرُ ممكن، وغيرُ مرغوب، وغيرُ مفيد..

ودينُنا الحنيف يدعونا إلى التعارف مع سائر الشعوب، وإلى البحث عن القواسم المشتركة بيننا وبين سائر البشر، ومَدّ جسور التعاون لِدَرْءِ المخاطر الكبيرة التي تهدّد الجميع، وتحقيق الخير المشترك للجميع

والشعوب الأمريكيّة -كما هو معلوم- ضحيّةُ بعضِ فئاتها القويّة الغنيّة المستغلّة المقتدرة، وإعلامِها الضخم المتقدّم المُهَيْمن المؤثّر.. يُصَوِّرُ لها -إن أراد- الحقَّ باطلاً، والباطلَ حقّاً، ويدفعُها، ويدفعُها حسب مصالحه وأهوائه.. إلى وَلاء أو عِداء، ويمين أو يسار.. هذا كلُّه -أو أكثرُه- مُسَخَّر لتشويهِ صورة الإسلام والمسلمين، وحربِهم -بالحقّ أو بالباطل- في كلّ مكان هذه الأيّام، وإنه لَتَحدٍّ كبيرٌ خطير نواجهه في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وفي سائر الغرب على درجات مختلفات، وفي مناطق أخرى من العالم

يجب علينا -أيّها الإخوة الأحبّة- أن نمتلك -من خلال الإيمان والإخلاص، والعلم والفكر، والإرادة والعمل الدائب والزمن- القدرة على أن نصل بحقيقة إسلامنا، وحقيقتنا، وبقضايانا المصيريّة العادلة.. إلى القلوب والعقول والجماهير.. وأن نجعلها في قوّتها ووضوحها، وجَلالِها وجَمالِها وإشراقِها وتأثيرِها.. تتلألأُ كنجومِ السماء في الليلة الظلماء.. لا يحجبها باطلٌ أو مُبطل، لا تزويرٌ أو مُزَوّر، ولا عداوةُ متآمر، وإرهابُ طاغيةٍ جبار

إنّه تحدٍّ مصيريّ كبير عسير؛ ولكنْ أليس من واجبنا أن نؤهّل أنفسنا لمواجهة كلّ التحدّيات، وأن نواجهها بالفعل، وننتصر عليها بعون الله

في كلمات العدد الماضي من الرائد جرى القلم بهذه الأبيات:

ويُشْرِقُ الحقُّ في قلبي فلا ظُلَمٌ	**ويَصْدُقُ العَزْمُ، لا وَهْنٌ ولا سَأَمُ**
دَرْبٌ سَلَكْناهُ والرحمانُ غايَتُنا	**مَا مَسَّنَا قَطُّ في لأْوائِهِ نَدَمُ**(33)
نمضي ونمضي وإن طالَ الطريقُ بنا	**وسَالَ دَمْعٌ على أطْرافِهِ ودَمُ**
يَحْلُو العَذابُ وعَيْنُ اللهِ تَلْحَظُنا	**ويَعْذُبُ الموتُ والتشريدُ والأَلَمُ**

وهذا البيت الأخير: «يحلو العذاب..» إنّما يُصَوِّر بعضَ لحظاتِ السموِّ العجيب، والارتفاعِ المُذْهِل، والصِّلَةِ العميقةِ العميقة، الحَميمةِ الحَميمة بالله عزَّ وجلَّ؛ كأنَّك تراه، وهو على كلِّ حالٍ يَراك

(33) اللأواء: الشدّة والمحنة والمرض وضيق العيش

وهذه لحظاتٌ نادرات في حياة الإنسان، يمتلئُ بها قلبُه وفكرُه، وإحساسُه وشعورُه، وكيانُه كلُّه.. بالله تباركَ وتعالى، ويسمو بها الإنسانُ فوقَ ذاتِه وطبيعتِه البشريَّة إلى مَقامِ العبوديّة الكاملةِ الخالصة، ويَرْتفع فوق اللذّةِ والألم، والحياةِ والموت، وكلِّ شيءٍ من أشياءِ الدنيا.. فطُوبَى لمن عرف هذه اللحظات وجَرَّبها، فما في حياة الإنسان في هذه الدنيا ما هو أعظمُ وأروعُ وأحلى منها.. وإلاّ فالعذابُ -خارجَ هذهِ اللحظاتِ الخارقة- لا يحلو، والألمُ لا يعذُب؛ ولكنّنا نصبرُ على الألمِ والعذابِ، ونُصابِرُهما في سبيل الله، وننتصرُ عليهما وعلى غيرهما بعونِ الله

ونَصْبِرُ عَمّا يُذْهِبُ[34] الصَّبْرَ فَقْدُهُ   ونَثْبُتُ للشّدائِدِ والمآسِي

معَ الرحمنِ نَمْضِي.. لا نُبالي   ونَغْرِسُ في الدُّنَى أَزكى غِراسِ

* * *

قال لي:

- إنّك تقسو بكلامك أحياناً على الناس

قلت:

- أقسو عليهم لأنّني أحبّهم، وأحبّ لهم النجاة والفوز، وأكره لهم الهلاك والخَسار؛ ولأنّني أؤمن بالخير الكامن في الإنسان، وبقدرته على التحرر المستمرّ من قيوده وعيوبه وتخلّفه، والسموّ المستمر إلى تحقيق رسالته في الوجود

* * *

عندما أشتدُّ -أحياناً- على الناس أشتدُّ بذلك على نفسي، فأنا واحدٌ من الناس، وبي كثير من العيوب والأخطاء التي أُنكرها، وأجاهد للتحرر منها، وتحرير سِواي

* * *

هل دَرَى بعضُ من يدَّعون حملَ رسالة الإسلام أنّهم بقلّة علمهم، أو سوء فهمهم وتطبيقهم، أوّلُ من يصدُّ عن سبيل الإسلام، وأنّ بعضهم يبلغ في ذلك -أحياناً- ما لا يبلغه جُلُّ الأعداء، وأنّ واجبهم الأول -إن كانوا صادقين في الدعوة إلى الله- أن يكملوا العلم، ويُصَحّحوا الفهم والسلوك وأساليب البلاغ

---

(34) أذهب الصبر: أزاله

كمالُ الإِنسان في سعيه المستمرّ إِلى الكمال. أمّا الذين يتوهّمون أنّهم اكتملوا فلا يفتقرون إِلى مزيد، ولا يشتاقون إِلى مزيد، ولا يجاهدون للمزيد.. فما أبعدهم عن الكمال وألصقهم بالنقص!!

إِنّني لا أُقدّم بكلماتي -ولا أستطيعُ أن أُقدّم- أجوبةً نهائيّة عن كلّ سؤال؛ ولكنني أحفزك بها -يا قارئي- للسعي وراء المعرفة والصواب الذي قد تختلف صُوَرُه باختلاف الأزمنة والأعراف والظروف

كيف يحلّق في آفاق السموات من تربطه مطالبُه ورغائبُه كلُّها بالأرض وحُطام الأرض، ولا يُحاولُ حتى مجرّدَ النظرِ إِلى فوق؟!

كيف يسمو إِلى الخالد الباقي من لا يتعلّق قلبه إِلا بالزائل الفاني، فلا يرى في يقظته ومنامه، وتفكيره وأحلامه شيئاً سواه؟!

كيف يسمو على الدنيا من لا يؤمن بشيء وراءَ هذه الدنيا.. أبقى منها وأكرم؟!

لو كان عدد العاملين بالقرآن كعدد حَفَظَةِ القرآن.. لكانت الدنيا بخير؛ ولكنْ مِنْ آفاتنا -وما أكثرها- أننا نقرأ -أحياناً- ولا نفهم، ونعلَم -أحياناً- ولا نعمل!!

ما أبعدَ الفرق بين العمل تعملُه لوجه الله، والعملِ نفسِه تعمله لغير وجه الله!

الأمرُ الأولُ إيمانٌ وإخلاص، والأمرُ الثاني نفاقٌ ورياء

***

طوبى لمن انطبعوا بالإسلام، فصاروا يمارسونه بعفويّةٍ وبساطة كما يتنفّسون، وكما يأكلون ويشربون

***

إذا كان بروزُك وتقدّمُك في مجتمعك وعالمك، لأداءِ رسالةٍ، وقيامٍ بواجب.. فهو عبادةٌ لله تعالى
وإذا كان بروزك وتقدّمك لإشباع شهوتك، ومجاراةِ هواك بالحقّ أو الباطل.. فهو عبادة للشيطان
والله أعلم بالظواهر والسرائر ﴿...**وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:282]

***

إذا سلكتَ طريق الحقّ فلا تنظر إلى كثرة الأنصار فيه أو قِلّة الأنصار، فليس لك -إن صدق إيمانك بالله- طريقٌ سواه.. وماذا بعدَ الحقّ إلاّ الباطل والضلال

***

إذا اعتزلتَ الناس في ظُلُماتهم، ومعك المصباح الهادي في الظلام، فقد خنتَ الله ورسوله، وخُنتَ هؤلاء الناس

***

لقد ناديتُ كثيراً -وما أزال أنادي- بتجاوز الصراعات المدمّرة في بلادنا وعالمنا العربيّ والإسلاميّ، كضرورة من ضرورات النجاة والبقاء والتقدّم؛ ولكنّ هذا وحده لا يكفي، فنحن جميعاً متفرّقين ومجتمعين، حاكمين ومحكومين، ظالمين ومظلومين.. دونَ واجبنا، وتحدّيات عالمنا وعصرنا بألفِ مرّة ومرّة؛ فهل يدرك حكّامُنا، وتدرك شعوبُنا، هذه الحقيقة الفاجعة؟ وهل تتوجّه قلوبُنا وعقولُنا وجهودُنا إلى نهضة أصيلة عميقة وشاملة، تتجاوز بنا التجزئةَ والتخلّف والعجز، والهزيمة النفسيّة والفكريّة، والأَثَرَةَ والصغائر والتفاهات، وتنقلنا نقلةً نَوعِيّةً إلى مكان متقدّم من الركب البشريّ في القرن الميلاديّ الواحد والعشرين؟!

إنّني أنادي كلَّ عربيّ ومسلم مخلص: أن يحاول التقدم في مجال استعداده أو اختصاصه أو عمله ما استطاع، وكلَّ مجتمع عربيّ وإسلاميّ إلى محاولة التقدّم في مختلف المجالات الحيويّة الضرورية ما استطاع، فهذا سبيلٌ من أهم سُبُل إنقاذ العرب والمسلمين وبناء مستقبلهم الكريم، وسبيلٌ من أهم سبل خدمة الإنسانيّة والإنسان

يا فتيان العرب والمسلمين

إنّني ألمح في وجوهكم مستقبلَ العرب والمسلمين المشرق، أو نهايتهم الفاجعة.. فماذا ستكونون ويكـون منكم يا تُرى في مُقبلات الأيام؟!

اللهَ اللهَ في دينكم وأمتكم، ومسؤوليّاتِكم الكبرى، ومستقبلِ الإنسانيّة والإنسان

هل تعلم -أيّها الأب المسلم- أنّك عندما تحتضن طفلك تحتضن مستقبل الإسلام والمسلمين والإنسان، وعندما تُربّي طفلك تصنع بذلك مستقبل الإسلام والمسلمين والإنسان؛ فما أخطرها وأعظمها من مهمّة ومن مسؤوليّة في الدنيا والآخرة

يجب أن ننتصر في معركة التربية والتعليم مهما قلّت في أيدينا الوسائل، وعظُمت أمامنا العقبات، فهي معركة مصيريّة لنا ولأبنائنا، ولكلّ ما نؤمن به من المبادئ والقيم، ونرجوه لأبنائنا وأنفسنا في الدنيا والآخرة من الثواب والخير

إنّني أدعوك إلى أَحاسِنِ الأخلاق، وجلائل الأعمال؛ ولكن أنت وحدك الذي تستطيع أن تتخلّق بها أو لا تتخلّق، وأن تنهض بها أو لا تنهض

من حُرِمَ الإِرادة الصارمة حُرِمَ العملَ المثمر والإِنجاز الكبير، و لم تتحوّل قَطُّ آمالُه وأحلامُه وأفكارُه إلى واقع ملموس

❧❧❧❧❧❧

لا تكفي الوسائل الكبيرة وحدها؛ بل لا بدّ من الإِرادة العظيمة، والهمم العظيمة، والمُثل العظيمة، والأفكار العظيمة.. وأن تتكامل كلُّها للقيام بجلائل الأعمال

❧❧❧❧❧❧

لا يُبلِغُ المرءَ جُنْحاهُ وإِنْ عظُما أُفْقَ السماء إِذا ما ماتتِ الهِمَمُ

❧❧❧❧❧❧

الإِرادة العظيمة، والهمم العظيمة، والحاجات المُلِحَّةُ، والتحدّيات الكبيرة.. تصنع الوسائل، وتُهيّئ الأسباب؛ أمّا الوسائل وحدها فلا تُشَكِّل حافزاً، ولا تؤدّي رسالة، ولا تحقّق هدفاً

❧❧❧❧❧❧

قلت في صِبَاي في سياقٍ لم أعد أذكره:

إِنّا إِذا ما دَعا الدَّاعي فَأَسمَعنا ثُرْنا شيوخاً إِلى الداعي وشُباناً
كلٌّ يُسابقُ للجُلّى فلا أحدٌ لم يرضَهُ المجدُ إِقداماً وإِحساناً[35]

وأقول اليوم:

– ليتنا نكون كذلك!، ولو كُنَّا كذلك لما استهان بنا المستهينون، وعدا علينا العادون، وتخلّفنا عن الركبِ البشريِّ فصرنا في ذيله على كلّ صعيد

❧❧❧❧❧❧

---

(35) الجُلّى: الأمر الشديد والخطب العظيم. وفي المثل: «لا يُدعى للجُلّى إِلاّ أخوها»: أي لا يُندبُ للأمر العظيم إِلاّ من يقومُ به ويصلُح له. المجد: النبل والشرف، والمكارم المأثورة عن الآباء

العظمة الحقيقية أن تكون عادلاً رحيماً ومع من هو أضعف منك، ولو كان أعـــدى الأعـــداء، وأشـــدَّ الخصوم؛ أمّا ظلمُ القويِّ للضعيف -كما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية بالعراق- فليس مـــن العظمـــة في شيء؛ ولكنّه إِجرام من أبشع الإِجرام

❧❧❧❧❧❧

أجبن الجبناء، وأنذل الأنذال، أولئك الذين يحاربون بوسائلهم التكنولوجية المتطوّرة أعداءهم مـــن بعيـــد؛ ويسحقونهم سَحْقاً دون أن يواجهوهم في ميدان، أو أن يكون لهم أيُّ فُرصة من فُرصِ الدفاع!!

❧❧❧❧❧❧

الناس الذين يصفّقون لأكابر المعتدين وهم يذبحون ضحاياهم الأبرياء أو الـــضعفاء.. شـــركاءُ المجـــرمين المباشرين في الإِثم والعدوان

والناس الذين يمرّون بالمذابح والمآسي لا مبالين.. هم ناسٌ فقدوا الضمير، والإِحساس، والشعور بالمسؤولية، والشجاعة الأدبية.. وما قيمةُ الإِنسانيّة والإِنسان دونَ هذه الخصال؟!!

❧❧❧❧❧❧

يفزعني ويؤلمني ألاّ أسمع صوت الضمير الإِنسانيّ في بعض بلاد الغرب التي يرتفع فيها أصـــوات شـــياطين السياسة والحرب، وزمجرةُ التهديد والوعيد والآلة الحربية المرعبة التي تتحرك للقتل والتدمير!!

أين الضميرُ الإِنسانيّ في هذا الغرب المتمدّن المتقدّم؟!

وأين حقوقُ الإِنسان، والغيرةُ على حقوق الإِنسان؟! هل هي عند الأكثرين مجرّدُ شـــعاراتٍ وكلمـــاتٍ فارغات، أو أدواتٍ في يد المصالح والمنافع والأهواء، والتمييزِ العنصريِّ في بعض الأحيان؟!

أيها الضميرُ الإِنسانيُّ.. تنبّه وتحرّك.. إِذا انطفَأت شُعْلَتُك انطفأ الأمل، وعَمَّ عالمنا الظلمُ والظلام

❧❧❧❧❧❧

أنا أَقْلَقُ أشدَّ القلق كعربيّ

أقلق أشدّ القلق كمسلم

أقلق أشدّ القلق كإنسان.. عندما أرى قوّةً طاغيةً باغيةً تتجاوز كلَّ شَرعيّةٍ قانونية، وكلَّ مؤسّسة دوليّة، وكلَّ اعتباراتٍ دينيّةٍ وأخلاقيّةٍ وإنسانيّة.. لتفرض إرادتها القاهرة الجائرة بما تملكه من حديد ونار، وأسلحة دمار ليس لها حدود

ما هو مستقبلُ الإنسان يا تُرى، وما هو مستقبل الجنس البشرّي مع هذه القوّة الجديدة الرهيبة، التي لا يحكمها قانونٌ دوليّ ولا منطقٌ ولا ضمير؟!

أنا قلقٌ أشدَّ القلقِ على مستقبل الإنسانيّة والإنسان

❦❦❦❦❦❦

أشاد «كلينتون» بتضامن العرب معه ضدّ العراق! وبتضامن «دُوَلِ إعلان دمشق» التي حمَّلت النظام العراقيّ وحده المسؤوليّةَ كلَّ المسؤوليةِ عن الأزمة الراهنة وعواقِبها، وعن ما قد يترل بالعراق من ضربات قاصمة!!

هلاّ ذَكَّرتْ هذه الدول «كلينتون» – وهي تُبَرِّئه وتسانده- بمعانَاة الشعب العراقيّ «الشقيق!!»، وبضرورة رفع الحصار عن أبنائه التعساء المغلوبين على أمرهم، الذين يموتون بالألوف من الجوع والمرض واليأس والعذاب!! يا لها من صفحة عار في تاريخنا المعاصر.. هيهات أن يمحوها الزمان!!

❦❦❦❦❦❦

قلت لصديق خبير:

– لقد لوحظ فتورُ الموقف الفرنسي والصينيّ من العراق، واقترابُه أكثرَ فأكثرَ من موقف الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا!

قال مداعباً:

– فلماذا تُنْكِرُ إذن ما لبعض الدول العربية من نشاطٍ فعال، ومن تأثير عالميٍّ وراء الكواليس؟!

قلت:

– يا ليتَ ذلك يكون لإنقاذ «القُدس» لا لضرب «بغداد»!!

❦❦❦❦❦❦

إنّني لأستحي -والله- لمواقفِ بعض حكام العرب التي يقفونها مختارينَ أو مضطرين؛ ولكنّهم هم أنفسُهم – وا عجباه- لا يستحون!!

يا إلهي! ما هذه الوجوهُ الصَّخرية المميتة التي لا تعرف الحياء والخجل؟!!

نعم أنا ثائر على هذا الواقع العربيّ والإِسلاميّ والعالميّ الراهن. كلُّ خليّة من خلايا قلبي وفكري وكياني بركانٌ يتفجّر؛ ولكنها ثورة من أجل الحق والعدالة والخير.. والأخوة والمحبة والسلام.. والإِنسانيّة والإِنسان حيثما كان

من لَمْ يكنْ مع الحقّ كان مع الباطل، ومن لم يكن مع العدل كان مع الظُّلم، ومن لم يكن مع الخير كان مع الشرّ.. دَرَى أو لَمْ يَدْرِ، وأراد ذلك أو لم يُرِدْ؛ فإِيّاك إِيّاك أن تقف في هذا كلِّه مَوْقفَ التفرّج أو الحياد، أو النُّكُوص عن الواجب

لا تيأسْ أن يولَدَ خيرٌ في أحضانِ شَرّ؛ فالواحةُ النّدِيّةُ لا تَنْبُتُ إِلاّ في قلبِ الصحراءِ المحرِقة

ما الحياةُ عندما تنطوي صفحةُ الحياة؟! وصفحةُ الحياةِ تَنْطَوي كلمحةِ بصَرٍ في مجرَى الزمان

ما أخْسَرَ الذينَ تَغُرُّهُمْ وتستعبدُهُمُ الحياةُ الدنيا!

يُحْتَضَرُ إِنسانٌ عزيزٌ عليَّ في بلدٍ بعيد، وأكابد معه على البعد سكرات الموت بخيالي وعاطفتي

ماذا أملك لك يا أخي الحبيب، وماذا أملك لنفسي إِذا أزِفَتْ ساعتي؟

أعانك الله وغفر لك ورحمك، فما أضيعَ الإِنسان لولا رحمةُ الله وعونُه ومغفرتُه

كلماتي الصغيرة هذه، هي -في أكثرها- حصيلةُ معرفتي وفكري، وتجربتي وعاطفتي، وليستْ هي المقدّمات والتفاصيل، ولا الدّراسة والتحليل.. فلا تلتمسوا فيها، ولا تلتمسوا منها، ما لا تنطوي عليه، ولا تُعْطيه

مفتاحُ وحْدَةِ المسلمينَ اليوم، هو ما رُوِيَ عن الرسول صلى الله عليه وسلّم: « أَنْ تَصِلَ مَـــنْ قَطَعَـــكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»

ما أعظمَ قُصور المعلِّم، الذي يهتمّ بالعِلم والتعليم، ولا يهتمّ بالمتعلِّم: أَيْ لا يهتمّ بالإِنسان؛ والإِنسان هنـــا هو الأصل، وهو الوسيلة والهدف

وسائل الإعلام المتطوّرة المؤثّرة ليس في أيدينا منها شيء. غَيْرُنا في بلادنا وعالمنا هو الذي يصِلُ إلينا، وإلى أبنائنا، وإلى سائر الناس، بكلّ ما يريد من الخير والشرّ، حتى في غُرَف النوم، ونحن لا نـــستطيع -أو لا نكـــاد نستطيع- الوصول إلى أحد!

فكّروا في هذا الأمر الخطير، فإمّا أن نجد الحلول المناسبة، تفكيراً وتنفيذاً، وإمّا أن نضيع

كلّما اشتقتُ إلى أحبابي الذين أبعدني عنهم الزمان، أغمضتُ عينيَّ ونظرتُ في أعماقِ قلبي فرأيتُ صُوَرَهم فرداً فرداً كما عَهِدتُهم من قَبْل، وبُعِثَ في قلبي الماضي الذي محاه الزمان -أو أَوْشَكَ يمحوه- عند سائر الناس

آه يا أحبابنا.. ما أصعبَ الفراق -وإن صبرنا على لَذْعِ الفِراق-!!

يشتدُّ بيَ الشّوقُ أحياناً إلى أهلي وأصدقائي في بلدي الأَوّل، وحيثُ سارتْ بِهِمُ المقادير في أنحاء الأرض، فأهبُّ من مجلسي، وأفتح نافذتي، في الليلة الدافئة أو الباردة، وأحَدِّقُ في الظلام، وكأنّني سأراهم بعيني!! أمّـــا قلبي فهو يراهم على كلِّ حال، من وراء كلِّ الظلمات والمسافات

يا أحِبّايَ وَقَدْ شـــطَّ النّـــوَى   هَلْ عَرَفْتُـــمْ حالَنـــا بَعْدَكُـــمُ

إنّ جِسْـــمي هَاهُنَا مُطَّـــرَحٌ   وَفُـــؤادِي ســـــاكِنٌ بَيْنَكُـــمُ

كُلَّمَا أَرْسَـــلْتُ طَرْفِي لا أَرَى   مِـــنْ ثَنَايـــا دَمْعِـــه غيرَكُـــمُ

فَمَتَى عهدُ نَواكُــمْ يَنْقَضِــي ومَتَــى يَجْمَعُنــا رَبُّكُـــمُ

هل دَرَى أَحَدٌ بأنّني أَسْرِي كلَّ ليلةٍ بخيالي وروحي وفكري من الغرب إلى الشرق.. إلى بيتنا في «......» فأجلسُ إلى سرير أُمّي المريضة التي نَاهَزَتِ المائةَ من العمر.. أَنظُر إليها، وأُحَدِّثُها، وأُقَبِّلُ يــديْها الــضامِرَتيْن المعروقتيْن بِشَفَتَيْ روحي، وأَذرِفُ أمامَها ما شاءَ الله أن أَذرِفَ من دموعِ القلب، أُوَدِّها قبل أن ترحل عن هذه الدنيا؛ وإِن كانت هيَ لا تراني، ولا تسمعُ صوتي، ولا يعلمُ بِي إلاّ عالمُ السرِّ والنجوى

أَيُّ نعمةٍ عظيمة أن تكون بجوار أبيك وأمّك وأحبابك الغَوالي في أيّامهم الأخيرة؛ فأنا ما كنتُ بجوارِ فِراشِ أبي عندما مَرِض أبي مَرَضَهُ الطويلَ الأخير، ولستُ الآنَ بجوارِ أمي في شيخوختِها الضعيفةِ المتقدِّمة، ومات أخي صِنْوُ حياتي، ورفيق طفولتي وشبابي هذه السنة، فما رأيته قبل موته، ولا مشيتُ في جنازته، ومات لي أحبــاب وأحباب، لا أستطيع حتى أن أسمّيهم.. رحمهم الله جميعاً ورحمنا، وتقبّلنا وأعاننا

دَرْبٌ سَــلَكْناهُ والرحمــنُ غايتُنــا ما مَسّــنا قَــطُّ في لأْوائِــهِ نَــدَمُ
نَمْضِي ونَمْضِي وإِنْ طالَ الطريقُ بِنا وســالَ دَمْــعٌ على أَطْرافِــهِ وَدَمُ
يحلُــو العَذابُ وَعَيْــنُ اللهِ تَلْحَظُنَــا ويَعْذُبُ المــوتُ والتَّشْــرِيدُ والأَلــمُ

خاتمـة

وبعد؛ فهذه «كلماتٌ» من الماضي؛ نبضاتٌ من قلبي وفكري، ولمحاتٌ من حياتي، وحياةِ أمّتي وبــلادي. سمحتُ بنشرها، دون أيِّ تعديلٍ أو تبديل، فقد عَمِلَتْ عملَها فيمن قرأها وتأثّر بها، وحملتُ وزرَها أو نلــتُ أجرَها، وغدتْ من مِلْكِ التاريخ في الدنيا، ومن ســطورِ كتــابٍ ﴿...**لا يُغَــادِرُ صَــغِيرَةً وَلا كَــبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**...﴾ [الكهف:49] ولَعلّها -أو لعلّ بعضها- مما لا يزال العرب والمسلمون يحتاجونه أمسّ الحاجة؛ بل لعلّ الحاجة إليه وإلى أمثاله قد زادت و لم تنقص

سمحتُ بنشر هذه الكلمات، وأنا أتطلّع بقلبي وفكري وجهدي إلى المستقبل، وإلى عمل أو أعمال أفضل

لقد ناهزتُ الآنَ الخامسةَ والسبعين من العمر، ووهنَ الجسم، وأَلَحَّ السُّقْم؛ ولكن لم يَهِنْ قَطُّ – والحمــدُ لله– عَزْمي، و لم يَضْعُفْ قطُّ إيماني وأملي، ولا قَلَّ تصميمي على متابعة المسير بكلّ ما أملك من جهد

جُلُّ ما أرجوه -بعدَ رحمةِ اللهِ ومغفرتِه- أَلاّ تنتهي حياتي إلاّ على طريق الحقّ والواجب، في خدمة الإسلام والمسلمين، والإنسانيّة والإنسان

عصام العطار